الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم: التاريخ

القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء

(خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)

مذكـرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ
تخصص : التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر

إعدادالطالب:
بوترعة علي

إشراف الأستاذ :
الدكتور / بوصفصاف عبد الكريم

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.مشري الطاهر	أستاذ محاضر (أ)	**رئيسا**	**الجامعة الإفريقية-ادرار**
أ.د.بوصفصاف عبد الكريم	**أستاذ التعليم العالي**	**مشرفا و مقررا**	**الجامعة الإفريقية-ادرار**
أ.د.خير الدين شترة	أستاذ محاضر (ب)	**عضوا**	**الجامعة الإفريقية-ادرار**
أ.رمضان بورغدة	أستاذ محاضر (أ)	**عضوا**	**جامعة 08 ماي 45-قالمة**

السنة الجامعية: **1430-1431هـ / 2009 - 2010 م**

9 B 12 MASTER

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجـــــــــامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية – أدرار-
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم: التاريخ

القوافل التجارية ودورها في ربط العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء

(خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)

مذكـرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ
تخصص : التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر

إعدادالطالب:
بوترعة علي

إشراف الأستاذ :
الدكتور / بوصفصاف عبد الكريم

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.مشري الطاهر	أستاذ محاضر (أ)	رئيسا	الجامعة الإفريقية-ادرار
أ.د.بوصفصاف عبد الكريم	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	الجامعة الإفريقية-ادرار
أ.د.خير الدين شترة	أستاذ محاضر (ب)	عضوا	الجامعة الإفريقية-ادرار
أ.رمضان بورغدة	أستاذ محاضر (أ)	عضوا	جامعة 08 ماي 45-قالمة

السنة الجامعية: **1430-1431هـ / 2009 - 2010 م**

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والدتي العزيزة ووالدي رحمه الله

إلى أخي العزيز

إلى زوجتي وأبنائي الأعزاء، الذين وقفوا إلى جانبي لإنجاز هذا العمل

إلى أستاذي المحترم الدكتور الطاهرذراع الذي أنار الطريق أمامي ولم يبخل في أي وقت من الأوقات بتوجيهاته المنهجية الحكيمة .

إلى كل طالب علم وباحث، وهب نفسه وحياته للتطور العلمي.

الشكر والعرفان

أتقدم بأسمى معاني الشكر والعرفان إلى كل من :

الأستاذ المشرف ذراع الطاهر

الأستاذ بوصفصاف عبد الكريم

كل أساتذتي في كل الأطوار التعليمية

الأصدقاء والزملاء.

مقدمة

المقدمة:

يعد موضوع هذا البحث من الموضوعات الحيوية التي تعالج موضوعا تاريخيا،ذا أهمية كبرى، والذي تناوله الكتاب العرب، والأوربيين بشئ من الدقة ، اما هذا البحث يعالج القوافل التجارية ودورها في ربط العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان الغرب جنوب الصحراء خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة والقرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد.

لقد كان لهذه القوافل دور أساسي في نشر الحضارة العربية الإسلامية ومبادئها الراقية وما ترتب عنها من اكتساب عادات وتقاليد سامية ، خلال القرون الوسطى، ومنذ بداية القرن التاسع عشر، وظهور الحركة الاستعمارية بدأ الأوربيون يولون اهتماماتهم لهذه المناطق التي كانت معبرا تجاريا وحضاريا بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، ولذلك يلاحظ الباحث أن القوافل التجارية قد لعبت دورا أساسيا ومحوريا ، في نشر الحضارة العربية الإسلامية والدين الإسلامي بصفة خاصة ، على الرغم مما تميزت به مجتمعات غرب إفريقيا بالديانة الوثنية والتخلف الحضاري ، مما ساعد على إنتشار الإسلام بسرعة في هذه المناطق خلاف الديانة المسيحية.

2/ أسباب إختيار الموضوع :

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع بالذات للأسباب الآتية :

أولهما: توجيه بعض الأساتذة المختصين في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الذين أرشدوني للبحث في هذه الفترة الزمنية من تاريخ إفريقيا، على أساس أن الأخصائيين فيه قليلون جدا في الجامعات العربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص.

وثانيهما: اهتمامي الشخصي بالتاريخ الإفريقي ، وتاريخ الرحلات خلال العصر الحديث والمعاصر ذات العلاقة بموضوع القوافل التجارية ودورها في ربط العلاقات الاقتصادية بين بلدان المغرب العربي والسودان الغربي جنوب الصحراء وما شد انتباهي في هذه الدراسة

اهتمام الأوربيين بهذه الدراسة وتحيزهم ، كما جانب الباحثون العرب والأفارقة ، هذا المجال وربما كانت الدراسات تصب في موضوع واحد ، كإهمال الدراسة الاقتصادية للقوافل التجارية ، وعدم تناول دور المرأة الإفريقية ، في تاريخ غرب إفريقيا ، إذ كان دورها واضحا سواء في مجال الإصلاح ، أو الدور الجهادي الذي عرفته المرأة الإفريقية بصورة عامة ، ولاشك أن انعكاسات التجارة عبر الصحراء اوجد مجتمعا جديدا إن صح التعبير ، يحمل إلى جانب عاداته وتقاليده ميزات اجتماعية جديدة ، صقلت تلك العادات الوثنية وأدت إلى ميلاد حضارة جديدة يمكن تسميتها " افرو سلامية " ، فإمتزاج الحضارة الإسلامية مع الحضارة الإفريقية ، أوجد جيلا جديدا متعلما ومتحضرا .

3/ إشـــكـــالـــيـــة البـــــحـــث :تتمثل هذه الإشكالية في البحث عن دور التجارة الحضاري في المنطقة وهي نقطة مركزية تتطلب جملة من التساؤلات .

اولا: كيف استطاع العرب المسلمون أن يؤثروا ويتأثروا ، في هذه البيئة الصحراوية الصعبة ، مع رسم معالم الحياة الفردية والثقافية خلال هذه الفترة ، ودور العلماء العرب في تسجيل كل ما حدث معهم وما رأوه بنزاهة وإخلاص ؟

ثانيا: ما هي أسباب اهتمامات الرحالة العرب والأوربيين بهذه الطرق التجارية ، التي كان لها صدى كبير جعل من منطقة إفريقيا الغربية محطة تجارية هامة ، وربط عرب إفريقيا بشمالها وبأوربا ؟

ثالثا: ما هي أهدافهم القريبة والبعيدة المدى من تلك الطرق ، خاصة أطماع الأوربيين في كشف هذه المنطقة واستغلال خيراتها، واستعباد سكانها، وهذا ما حدث بالفعل في تجارة الرقيق ، وما تلا ذاك من أفعال الاستعمار الأوربي الحديث ؟

رابعا: ما هو الدور الحضاري في التأثير والتأثر ، بين شمال إفريقيا وجنوبها الغربي؟ ماديا وروحيا وأدبيا ؟

4/ اطار البحث : لقد اخترت حقبة القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة والقرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد ، إطارا لهذا البحث نظرا لتحولات التي عرفها تاريخ أفريقا عامة ، وإفريقيا الغربية خاصة ، بانعقاد المؤتمرات الدولية والأوربية كمؤتمر فيينا 1815 م ، ومؤتمر برلين الأول والثاني 1864 م ، 1884 م ، وظهور مبادئ حقوق الانسان .

و قانون تحريم الرقيق الذي ظهر في أوربا ، كان له صدى كبير ا في ارتفاع أصوات المطالبين بحقوق الإنسان على المستوى العالمي في هذه الفترة .

5/ مـــنـــاهـــج الـــبـــحـــث:

اعتمدت في دراسة المادة الخبرية، وتنظيمها وتحليلها وتبويبها وتحريرها ، واستنباط النتائج منها على مجموعة من المناهج منها:

أــ المنهج الوصفي : وقد سلكته لاستعراض المادة الخبرية ، ذلك أن بعض الأحداث والوقائع التاريخية تتطلب عرض النصوص واقتباسها بكل أمانة علمية ، ومناقشتها وأخذ النتائج الموضوعية منها .

ب ــ المنهج التحليلي : وقد اعتمدته في دراسة وتحليل المعلومات العلمية ، إذ يعتبر منهجا أساسيا في الدراسات الأكاديمية وفي تحليل المعطيات العلمية .

جــ ــ المنهج المقارن : إستعملته في المقارنة بين الوقائع التاريخية وتبسيط المعلومات التاريخية المعقدة في النصوص التي تناولت هذا الموضوع ، لاستنباط واستخلاص النتائج.

6/ صعوبات البحث : أثناء إعداد هذه الرسالة اعترضتني صعوبات جمة لا يقدر أهميتها إلا من خاض تجربة البحث العلمي ، لا سيما في العلوم الإجتماعية والإنسانية عموما يمكن تحديدهما في النقاط الآتية :

أـ ندرة المصادر في هذا الموضوع ، مع العلم أن جل ما كتب كان يتعلق بالجانب الديني أكثر من مجالات أخرى ، دون الدراسة الإقتصادية ، والسياسية والإجتماعية والثقافية .

ب ـ ضيق الوقت لإنجاز هذه المذكرة ، والمحدد بسنة فقط .

جـ ـ صعوبة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية لغة الدراسة .

دـ مع هذا كله فقد حاولت بقدر الإمكان جمع أطراف الموضوع بالبحث عن المصادر والمراجع وقراءتها وتمحيصها لاستخلاص المادة الخبرية منها ، وبوبتها تبويبا يتفق مع الخطة المرسومة لهذه المذكرة منذ البداية، ولا أدعي أنني أحطت بجميع جوانب هذا الموضوع، لأن الطاقة البشرية محدودة بالزمان والمكان.

فإن وفقت فبعون الله وتوفيقه، وإن أخفقت فحسبي أنني بذلت قصارى جهدي.

7/ الدراسات السابقة حول الموضوع :

اهتم الدارسون بهذا الموضوع ، وخاصة الأوربيون الذين حاولوا دراسته وبحثه من كل الجهات ، كما أقيمت مؤتمرات دولية وإقليمية لبحثه ودراسته ، (المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، ومنظمة اليونسكو) ، ودراسات المؤرخ الألماني ناختغال التي قدمها في خمس مجلدات ، ترجمت إلى اللغة الفرنسية والانجليزية ، ويبذل حاليا المعهد الليبي للجهاد جهدا في ترجمة هذا العمل إلى اللغة العربية ، وصدرت حوله كتابات متنوعة أهمها :

1) أطروحة دكتورا لـــ : اوليفي بلييز ، التحول الإقليمي لمنطقة فزان ، 16 ديسمبر 2000، (MMSH-Aix-en-province) ، صفحة 279

قدم في هذه الاطروحة دراسة مفصلة لإقليم منطقة فزان والدور الذي لعبه في الربط بين المجموعة المغاربية بإفريقيا جنوب الصحراء .

2) ـ رسالة دكتوراه : رحال بوبريك :المدينة في مجتمع البداوة ،التاريخ الاجتماعي لولاتة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مع تقديم ونشر تاريخ ولاتة (ولاتا) الرباط ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، 2002 م.

8/ المصادر والمراجع:

– أما أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الرسالة فيمكن تصنيفها حسب أهميتها على النحو الآتي:

أولا المصادر:

الكتب الدينية : تعتبر الكتب الدينية بصفة عامة من أهم مصادر التاريخ الحديث والمعاصر ، لا سيما فيما يخص تحريم الرق ، فالتوراة والإنجيل حرمت نصوصها الرق وأهم مصدر ديني يمكن اعتماده في هذا البحث هو القرآن الكريم فهو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.فهو أساس الدراسات السابقة للإسلام وذكر أحوال الأمم، فهناك آيات كثيرة تحرم الرق، عتق الرقبة.وأما الحديث النبوي، فهو مصدر تاريخي هام لأنه تفسير للقرآن الكريم وبيان له من جهة، غير أن هناك الأحاديث الصحيحة والأحاديث الموضوعة (صحيح وحسن وضعيف وموضوع ومتروك).

ثانيا المراجع :

وبجانب المصادر التي وقفنا عند بعضها ، سنتناول الآن بعض المراجع الأساسية التي إعتمدناها في هذا العمل ولعله من الأهمية بمكان أن نبدأ بكتاب :

التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية لمؤلفه : أ.ج.هوبكنز ، وقد إستفدنا منه الممارسات التجارية ، للقوافل التجارية والدور العالمي آنذاك لتجارة القوافل ومدى تطورها ، وهناك مرجع هام لا يمكن الإستغناء عنه في هذا الموضوع ، وهو كتاب يعتمد على الدراسة التحليلية والموضوعية فيما يخص نوع التجارة ومدى تطورها بين شمال إفريقيا وغربها التي كانت تمثل آنذاك التجارة الدولية بالمفهوم الحالي، في الوقت الذي كانت فيه التجارة في أوربا متخلفة عنها، وهذا ما دفع أوربا أن تهتم بإفريقيا.

كتاب أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا ، لصاحبه: س.هوارد .ترجمة : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، والذي يتناول أهم الرحالة الأوربيون إلى غرب إفريقيا وشرقها ، كما يتناول بالدراسة والتحليل المجتمع الإفريقي .

كتاب تاريخ غرب إفريقيا : لصاحبه فيج.جي.دي. ترجمة الدكتور: السيد يوسف نصر، هو مرجع ومصدر مهم يتناول تاريخ إفريقيا الغربية، من الناحية السياسية والإقتصادية

والإجتماعية، كما يركز على المسائل الحساسة كتجارة الرق في إفريقيا الغربية، وذلك بتقديم الدلائل بالأرقام والإحصائيات ومقارنتها.

9/ خطة البحث :

تتكون خطة هذه المذكرة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وملاحق وببليوغرافيا وفهارس .

تناولت في المقدمة الخطوات المنهجية التي تم تصنيفها على النحو الآتي : التعريف بالموضوع ، أسباب اختيار الموضوع ، إشكالية البحث ، إطار البحث مناهج البحث ، صعوبات البحث ، الدراسات السابقة حول الموضوع ، أهم مصادر البحث ومراجعه ولتوضيح ذلك ، سأستعرض باختصار للفصول وما جاء فيها :

الفصل الأول: " **البيئة الطبيعية لإفريقيا الغربية** " تناولت في مبحثه الأول: " **الدراسة الطبيعية**" لمنطقة غرب إفريقيا من حيث التضاريس والأنهار والمناخ.

أما المبحث الثاني: "**الثروة النباتية والحيوانية**"، خصصته لدراسة السكان ونشاطاتهم المختلفة. والثروة الحيوانية ، وعلاقتهما بالسكان ، ومدى تأثيرهما في الحياة الإقتصادية .

وتحدثت في المبحث الثالث : " **السكان ونشاطهم** "وضحت فيه أهم الفئات السكانية التي تقطن المنطقة ، وأهم اللغات المستعملة بالمنطقة ، والأديان الموجودة بالمنطقة خاصة إنتشار الدين الإسلامي ، وأهم النشاطات مثل الزراعة والرعي والتجارة ، وأنهيت هذا المبحث بالمفهوم السياسي لإفريقيا الغربية .

ويتضمن الفصل الثاني : " **تجارة القوافل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بإفريقيا الغربية** " ، ثلاثة مباحث ، تناولت في المبحث الأول "**التجارة الصحراوية** " ، أحوال التجارة الصحراوية وأهم القوافل التي كانت تمر بهذه المنطقة ، ثم إنتقال هذه التجارة من الصحراء إلى المحيط الأطلسي حيث بدأت تجارة الصحراء في التراجع .

كما تناولت في المبحث الثاني: " **أهم الطرق والمسالك التجارية** "، بالدراسة والتحليل المراحل التي مرت بها تجارة القوافل، خاصة الفترة المدروسة كما تناولت الطرق والمراكز والأسواق التجارية من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

أما المبحث الثالث: " **أهم الرحالة والرحلات** " تناولت فيه الرحالة الأوربيين والدور الذي قاموا به، ودورهم في اكتشاف القارة الإفريقية خاصة أنهارها.

وقسمت الفصل الثالث " **الأهمية الاقتصادية للقوافل التجارية** " إلى ثلاث مباحث:

تناولت في المبحث الأول " **تجارة الرقيق** "، بداية تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي والعلاقة بين تجارة الرقيق والتغيرات الاقتصادية التي أحدثتها هذه التجارة ، ثم الدوافع الحقيقية لإلغاء تجارة الرقيق ،وثم الآثار التي ترتبت على إلغاء تجارة الرقيق .

وتعرضت في المبحث الثاني " **تجارة الذهب والملح**"كانتا هاتان المادتان تمثلان أهم تجارة في المنطقة بعد تجارة الرقيق ، ومدى أهميتها في المبادلات التجارية ، واستعمالهما كعملة ودرست في المبحث الثالث " **تجارة السلع الأخرى** " أهم السلع التي تأتى في الدرجة الثالثة من حيث الأهمية التجارية ، وأهميتها في المجال الصناعي سواء في منطقة غرب إفريقيا ، أو شمالها ، أو حتى في أوربا . وعلاقتها بالتغير الاقتصادي والأرباح التي درتها على أوربا ثم جاءت بعد ذلك إلغاء تجارة الرقيق من كل الدول الأوربية ، هذا ليس حبا في الأفارقة وإنما سعيا وراء أهداف أخرى ، خاصة بعد ظهور الإستعمار الأوربي الحديث ثم ما هي الآثار التي ترتبت على تجارة الرقيق، (إجتماعيا واقتصاديا ونفسيا)، وكانت تجارة الذهب والملح من أهم التجارة التي عرفتها إفريقيا الغربية منذ القدم.

أما الفصل الرابع والأخير " **الدور الحضاري للقوافل التجارية الصحراوية**" فضمنته ثلاث مباحث شرحت في المبحث الأول " **الدور الديني والثقافي** " الدور الديني ، أي العوامل التي ساهمت في إنتشار الإسلام في غرب إفريقيا، وظهورالمراكزالثقافية والحضارية، والمؤسسات التعليمية التربوية ودورها في الإصلاح والتغيير.

في حين خصصت المبحث الثاني "**الدور السياسي والإقتصادي للقوافل التجارية**" للحديث عن الدور السياسي للقوافل التجارية من حيث أنظمة الحكم التي أصبحت سائدة والتغيرات التي حدثت في نظام الدولة في المنطقة ، والدور الإقتصادي الذي أدى إلى ظهور إقتصاد قوي إنعكس إيجابيا غلى تطور المنطقة ، وكان ذلك بسبب الدورالحضاري الذي لعبته دول المغرب العربي في تطور المنطقة وازدهارها في جميع المجالات .

في حين درست في المبحث الثالث والأخير "**الدور الإجتماعي للقوافل التجارية** "خصائص المجتمع الإسلامي في غرب إفريقيا ، والآثار المادية من مدن ومساجد التي تحمل طابع الحضارة الإسلامية المغاربية ، والآثار المعنوية والتي تتمثل في الجانب الثقافي والفني ، بظهور علماء من المنطقة ، وظهور المدارس والجامعات التي أصبحت ذات صدى إقليمي وعالمي لما كان لهما من تأثير مباشر على مجتمعات إفريقيا الغربية والعوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في المنطقة المحددة في الدراسة مما أدى إلى انتشاراللغة العربية وأدبها، ثم تناولت مراكز التعليم المختلفة والتي جعلت من علوم الدين والقضاء الإسلامي، المواد الأساسية للتعليم ، فكان مجتمعا مكتملا حضاريا.وقد ختمت هذه الرسالة ببعض النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا البحث طيلة مدة الدراسة، ثم شفعتها ببعض الملاحق التي رأيت أنها تكمل جوانب من الموضوع وهي ذات علاقة بمذكرتي.

وشفعت المذكرة بفهارس، الأعلام والبلدان والشعوب والقبائل والطوائف، وفهرس الموضوعات.

الفصل الأول: البيئة الطبيعية لإفريقيا الغربية

المبحث الأول: الدراسة الطبيعية

المبحث الثاني: الثروة النباتية والحيوانية

المبحث الثالث: السكان ونشاطهم

الفصل الأول: البيئة الطبيعية لأفريقيا الغربية:

نتناول في هذا الفصل البيئة الطبيعية لإفريقيا الغربية، ويتناول المبحث الأول الدراسة الطبيعية، والمبحث الثاني الثروة النباتية والحيوانية، أما المبحث الثاني،السكان ونشاطهم، من حيث الدراسة السكانية لغرب إفريقيا وأهم النشاطات والحرف التي يقوم بها سكان المنطقة.

المبحث الأول: الدراسة الطبيعية:

إذا أراد الباحث كتابة تاريخ غرب إفريقيا ، وجب عليه معرفة الجغرافية الطبيعية للمنطقة ، وذلك حتى يدرك التأثيرات التي ساهمت في سير الأحداث خلال فترة التاريخ الحديث بصفة خاصة ، فتأثير الصحراء الكبرى كان واضحا في سير هذا التاريخ ، وذلك للعلاقة الدائمة بين أهالي الصحراء الكبرى وشعب السودان الغربي ويشمل إقليم غرب إفريقيا المنطقة الواقعة جنوب غربي الصحراء الكبرى .

أولا– التضاريس: تقع أراضي غرب إفريقيا ما بين خطي عرض 4° و 16° شمال خط الاستواء في الجنوب وخط طول : 13° و 17° غرب خط غرينتش ، وتحدها من الشمال الصحراء الكبرى ، ومن الشرق الكامرون وبحيرة تشاد ، ومن الجنوب خليج غينيا ومن الغرب المحيط الأطلسي([1]) ، تتشكل إفريقيا الغربية من هضبة عملت العوامل الطبيعية في تغيير قشرتها الخارجية ، ففيها الصحاري الواسعة والأودية الخصبة والسهول المنبتة ،وتمتد تضاريسها من تشاد إلى الأطلسي تنقسم من الشمال إلى الجنوب إلى الأقسام الآتية :

1ــ المنطقة الشمالية : تقع بين الصحراء الكبرى شمالا إلى وادي النيجر الأوسط جنوبا وهذه المنطقة صحراوية في أغلب مساحتها تتخللها بعض الهضاب والوديان والواحات والعيون([2]).

2– المنطقة الوسطى : تمتد من بحيرة تشاد شرقا حتى منطقة "فوتا تورو" السنغالية غربا

[1])- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1428هـ/2007 م، ص ص19،20.

[2]) M.A.C , s.du s.de f. :Histoire complete des voyages et découvertes en Afrique, A paris , chez Arthus Bertra , Librairie, ble .Hautefeuille, n°.23. 1821, p 21 .

وترتفع في وسطها هضاب النيجر وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مراع خصبة([1]).

3- المنطقة الجنوبية: هي المنطقة المشرفة على خليج غينيا وتضم عدة كتل جبلية أهمها، "فوتا دجالون" "**Foutadjallon**" تغطى هذه المنطقة الغابات الاستوائية الكثيفة وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية ويدخل في إفريقيا الغربية القسم الأكبر من منطقة "الساحل " الشبه جافة والتي تقع جنوب الصحراء الكبرى ابتداء من السودان شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا مرورا بالسنغال وموريتانيا ومالي وبوركينافاسو والنيجر وأقصى الشمال الشرقي لنيجيريا .

يتكون سطح غرب إفريقيا من كتلة هضبية قديمة تنقسم إلى قسمين :

أ- منطقة داخلية التي تضم عدة مرتفعات أهمها : فوتا جالون ارتفاعها (1500متر) ولوما (1948 متر) و نيميا (1850 متر) في الغرب ، ومرتفعات أتاكورا (1825متر) ومرتفعات بوتشي (1780متر) في الشرق ، ويأتي بعد المرتفعات نحو الداخل عدة منخفضات أهمها : منخفض السنغال وتشاد والنيجر .

ب- منطقة ساحلية هي عبارة عن شريط سهلي منخفض ، يزداد عرضه عند مصبات الأنهار الرئيسة ، كالنيجر الفولتا والسنغال([2]).

ثانيا- الأنهار : تعتبر كتلة "فوتا جالون" مصدرا رئيسيا للمياه نظرا لكثرة أمطارها وطبيعة تركيبها الجيولوجي الذي يسمح لها بتخزين المياه ، حيث تنبع من ه ذه الكتلة جل أنهار إفريقيا الغربية ([3]) ، التي لعبت دورا هاما في حياة سكان أفريقيا الغربية وساهمت في تاريخ المنطقة ، وأشهر هذه الأنهار :

أ- نهر السنغال : ينبع من وسط غينيا (كونا كري) ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة"سان لويس" السنغالية ، القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة وهو المصدر الخصب للأراضي التي يمر فيها . يبلغ طوله حوالي 1600كيلومتر.

---

[1]) – عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص،المؤسسة الوطنية للكتاب،1989 الجزائر ص ص 3،4.

[2]) - يوسف روكز:إفريقيا السوداء سياسة وحضارة،المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت ، 1986م ،ص ص 41،44

[3]) - محمد فاضل علي باري وآخرون : نفس المرجع السابق ، ص 22.

ب- نهر النيجر: يبلغ طوله حوالي 4200 كيلومتر وينبع من الحدود الغينية(كوناكري) مع سيراليون ، يرفد هذا النهر كثير من الأنهار ويمر في كل من غينيا (كوناكري) ومالي والنيجر حيث يؤلف قسم من الحدود بين غينيا وبنين ثم يتجه نحو نيجيريا ليصب هناك في دلتا كبيرة وهو صالح للملاحة ويعد مصدرا هاما لعملية صيد الأسماك وقد قامت على ضفافه حضارات أهم المدن الإسلامية في مالي خاصة التي برزت في غرب إفريقيا خلال الفترة التي سبقت الاستعمار الأوربي،ويعتبر ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل والكونغو طولا ويتكون عند منبعه في جنوب باماكو "**Bamako**" من عدد من المجاري التي تنتشر في مساحات واسعة من الأرض مكونة ما يسمى بالدلتا الداخلية للنيجر حيث تتحول هذه الدلتا إلى بحيرة عظيمة في موسم الفيضان ، ويسير النهر بعد ذلك على هذه الصورة حتى يصل إلى تومبوكتو" **Tombouctou**"، وبعدها تتحد مجاريه ويصنع ثنية عظيمة يتجه بعدها نحو الجنوب حتى يصب في المحيط الأطلسي . ويمثل منطقة ثنية النيجر جزءا مهما في إفريقيا الغربية الفرنسية " **A.O.F**" وهكذا يعتبر نهر النيجر شريانا مهما من شرايين الحياة والعمران والمواصلات في السودان الغربي ، و يفصله عند الأنهار الأخرى كالسنغال أو نهر شاري مرتفعات كبيرة مما سهل على الفرنسيين التوغل في المنطقة ([1]).

ومنذ أواخر القرن الثامن عشرا لميلادي ، بدأت محاولات وصول الأوربيين إلى النيجر واستمرت هذه المحاولات حتى أوائل القرن السابع عشر ، وفي عام 1827م وصل ملاح فرنسي يدعى "رونيه كايي ""**Renécaillé**"، إلى تمبكتو قادما من غينيا الفرنسية ونجح في اختراق الصحراء حتى وصل إلى مراكش فحققت رحلته نصرا للجمعية الجغرافية الفرنسية الناشئة وفي عام 1854م قام "ليرد" " **laird**"، بتكليف من القنصل البريطاني "بيكروفت" "**beekroft**"، بمحاولة لاكتشاف منطقة النيجر الأدنى وأراد ليرد" **laird**"، التأكد من أن نهر "بنوى" هو أقوى و أهم فروع نهر النيجر وأنه صالح للملاحة والتجارة وطريق هام للمناطق الداخلية ([2]) بالإضافة إلى هذين النهرين هناك أنهار أقل

[1]) - جمال الدين الدينا صوري : جغرافية العالم دراسة إقليمية (إفريقيا ،استراليا)،ج2،طبعة القاهرة ،9 197، ص ص 144، 145

[2])-Des champ ,H:Histoire générale de l'Afrique noir ,(Paris 1975),Tome2,page.12

أهمية مثل نهر: "كاسمانس" " **Casamance** "، في السنغال ونهر غامبيا في دولة غامبيا وأنهار فولتا(الأبيض والأحمر والأسود) والتي تقع في بوركينافاسو أما البحيرات فتتمثل في بحيرة فولتا في غانا وعددها قليل ([1]).

ثالثا– المناخ: يلتقي في غرب إفريقيا الإقليمان الاستوائي والمداري لذلك نسيطر على المنطقة مناخ حار، ممطرا شمالا ويتميز بغزارة الأمطار في الجهات الساحلية التي تعرف بإقليم "المطر" وبأمطار صيفية متوسطة الكمية ، وتقل في المناطق الداخلية([2]). ويشمل مناخ إقليم غرب إفريقيا بين التطرف وخاصة النطاق الشمالي الصحراوي والذي يمتد حتى وسط الإقليم والذي ترتفع فيه درجة الحرارة في الصيف وتنخفض في تشاد وباستثناء المناطق المرتفعة التي تؤثر عليها الرياح الشمالية الشرقية حيث يتصف بالبرودة النسبية والجفاف ، وتسمى محليا الهرمتان تؤدي إلى إثارة الزوابع الرملية أما بقية أقسام الإقليم فيتصف مناخها بالمدارية وفيه تتجانس تقريبا درجة الحرارة ويبلغ متوسط المدى الحراري السنوي 2°م، في أكرا عاصمة غانة ويزداد هذا المتوسط حتى يصل إلى 16°م ، بشكل عام باستثناء النطاقات الجافة في جنوب شرق غانا وجنوب الطوغو، ويتعرض هذا النطاق للرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تتميز بالدفيء والرطوبة بالإضافة إلى الكتل الاستوائية وهذه تتغير بامتدادها من فصل لآخر ([3])، وتتوزع الأمطار في هذا الإقليم من دائمة طول العام وتزيد على 40 بوصة سنويا كما في إقليم غانا جنوب دائرة العرض 10°شمالا أما شمال هذا الخط فيتميز بأمطار صيفية تتناقص كمياتها شمالا حتى دائرة عرض 15°م تقريبا وتنتهي في الإقليم الجاف وأشباهه المتمثلة في الأقسام الجنوبية من الصحراء الأفريقية الكبرى([4]).

ويمكن استخلاص المناخات التالية :المناخ المداري: يتميز بارتفاع درجة الحرارة طول السنة، أمطار صيفية، شتاء جاف (السنغال ونيجيريا) ، المناخ الاستوائي: يتميز بارتفاع درجة الحرارة، وغزارة الأمطار طول السنة مع ارتفاع كمية الأمطار وارتفاع

---

[1]) - الهام محمد علي ذهني : جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850م – 1914م) ، دار المريخ للنشر ،الرياض المملكة العربية السعودية ،1408 هـ / 1988 م ، ص ص .19 ،25.

[2])- Delanoye,F:Niger et les exploration de l'Afrique centrale depuis Mungo p:36

[3]) - فؤاد محمد الصقار:دراسات في الجغرافيا البشرية،وكالة المطبوعات،ط2 ،الكويت 1975 م ،ص ص 50 ، 59

[4]) - يوسف روكز : المرجع السابق ، ص36.

الرطوبة (نيجيريا، الكامرون) ، المناخ شبه الاستوائي : يتميز بارتفاع درجة الحرارة وأمطار غزيرة طول السنة ويسمى "إقليم السفانا" (ساحل العاج).

المبحث الثاني:الثروة النباتية والحيوانية:

نتناول في هذا المبحث الثروة النباتية والحيوانية لإقليم السودان الغربي ، التي لعبت دورا كبيرا في اقتصاديات المنطقة.

يعد النبات الطبيعي بإفريقيا الغربية ، نتاج تفاعل بين المناخ والتربة فللظروف المناخية وطبيعة التربة الدور الفعال في إظهاره وتوزيعه وخصائصه، ولذلك كانت المناطق التي تسقط عليها أمطار طول العام ، تكثر فيها الأشجار الطويلة دائمة الخضرة وتتركز بشكل كثيف كما في جنوب نيجيريا وساحل العاج ، وعندما تقتصر الأمطار على فصل واحد تتحول النباتات إلى نفضيّة وتكون أقل حجما وطولا من الأولى وتتحول إلى سفانا غابية وتحتوي على الحشائش ، ومع الاتجاه شمالا تقل كمية المطر ويقل معها الغطاء النباتي وتنتشر السفانا الفقيرة وتتداخل مع الأشجار ، وعلى هوامش جنوب الصحراء الكبرى يوجد نطاق يمتد من الغرب إلى الشرق تسود فيه حشائش الإستبس(الحشائش القصيرة) التي تنمو في فصل المطر ([1]) أما الثروة الحيوانية فيلاحظ الدارس له ذا الموضوع أن إفريقيا الغربية غنية بثرواتها الحيوانية المتنوعة ، وهذا مرتبط بعوامل عديدة جغرافية ومناخية وتاريخية ، فالقارة الإفريقية واسعة جدا من حيث المساحة ، وقسم واسع من أراض يها ينتشر فيه مناخ استوائي ،ومداري ، مما ساعد على توفر بيئة طبيعية ملائمة لنمو الثروة الحيوانية،وتطورها وتنوعها تماشيا وتلك العوامل المساعدة،هذا بالإضافة إلى اتصالها التاريخي الوثيق بقارتي آسيا، وأوروبا ، الذي سمح بتسرب ثروة حيوانية إليها([2]).

و الملاحظ أن هذه الثروة الحيوانية ، تخضع لتنوع الأقاليم المناخية والنباتية ، ففي الإقليم المتوسط مثلا : تربى الأبقار والخيول والأغنام والماعز والحمير والجمال والدواجن و أن تربية المواشي في هذا الإقليم ضعيفة بسبب قلة أو انعدام المراعي الطبيعية

[1]) - عبد القادر مصطفى المحبشي وآخرون : جغرافية القارة الإفريقية وجزرها ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ط1،ليبيا 1430هـ / 2000م، ص.159،163

[2])- يوسف روكز : المرجع السابق ، ص 19

المساعدة على توفير البيئة الملائمة لتلك الحيوانات ، وفي أقاليم الصحاري والسهوب ، ينتشر الجمل والأغنام والغزال والنعامة والزواحف [1]، بأنواعها ويعتبر إقليم السفانا أغنى الأقاليم الإفريقية في ثروتها الحيوانية فبعضها يعيش من الأعشاب كالزرافة والوعل والأغنام والغزال والحمار الوحشي .

ويمكن القول أن الدول الإفريقية بدأت تعرف أهمية هذه الثروة الحيوانية ، كجزء من ثروتها الاقتصادية فاعتمد بعضها الأساليب العلمية في تربية الحيوانات ، وكافحت الأمراض التي كانت تفتك بها خاصة تلك الناتجة عن ذبابة "التسي تسي "، ولكنها لا تزال في بداية الطريق في هذا المجال[2].

المبحث الثالث: السكان ونشاطهم:

إن دراسة السكان بغرب إفريقيا ذات أهمية لما لها من دور محوري في اقتصاديات المنطقة ، والعمل الجبار الذي قام به سكان هذه المنطقة. يقدر عدد سكان دول غرب إفريقيا حوالي 212,739,000 نسمة سنة1993م حسب تقديرات الأمم المتحدة [3] ويتوزعون في مساحة قدرها 2.307.915 كيلومتر مربع ، وشعوب هذه المنطقة هم مزيج من الجماعات والقبائل التي أتت من الخارج ، وامتزجت مع السكان القاطنين فيها ، وحسب دراستنا لهذا الموضوع وجدنا أن الباحثين والمؤرخين ما زالوا يختلفون حول مس ألة أصول سكان إفريقيا الغربية ، وقد وجدت عدة فرضيات حول الوطن الأول لسكان غرب إفريقيا ومؤداها أن إفريقيا الشرقية ووادي النيل كانا في عهود بعيدة المنطلق الأول لإعمارها متابعة إلى غرب القارة عن طريق تشاد أو الصحراء الكبرى [4] معتمدين في رأيهم على التقارب في الأصول اللغوية ، والكلمات المشتركة بين بعض اللغات الإفريقية هي تطور للغات مصر ا لقديمة[5].

---

[1]) محمد سعيد القشاط :صحراء العرب الكبرى،دار الرواد للطباعة والنشر طرابلس ليبيا ،ط1، 1994 م،ص ص51، 63

[2])- يوسف روكز : المرجع السابق ، ص20

[3])- عبد القادر مصطفى المحشبي وآخرون : المرجع السابق ص. 161.

[4])- محمد فاضل علي باري وآخرون : المرجع السابق ،ص23.

[5])-comevin r . « fulani » encyclopedia of islam ,new edition,leiden :E.J.brille,1965.v2. p .9

أ – السكان : يمكن تقسيم مواطن إفريقيا الغربية إلى المجموعات السكانية الآتية :

1ــ: الزنوج والحاميون : يعتبر الزنوج أساس تكوين السكان الحاليين،للسودان الغربي ينقسمون إلى عدة أثنيات وقبائل، يمتازون بجماجم مستطيلة وبشرة سوداء وشعر مفلفل وأنف عريض وبأقدام مفلطحة وشفاه سميكة وغليظة ، ومنهم مجموعة زنوج البقمى"**pygmée**" ، قبائل من أصل إفريقي يتواجدون في الغابون والكاميرون يتميزون بقامة قصيرة يتراوح طول الشخص منهم ما بين 120–150سنتيمتر كحد أقصى ، يميل لون بشرتهم إلى السمرة وأرجلهم بالنسبة لأيديهم قصيرة وبطونهم بارزة وبياض عيونهم نقي لا يضم نقط سوداء ، خلافا لبقية الزنوج الآخرين.

أما الحاميون هم مجموعة من الشعوب التي تنتمي إلى العرق الأبيض القوقازي وتعود أصولها إلى آسيا ومن الأرجح إلى جنوب الجزيرة العربية وقد استقرت في القرن الإفريقي وغرب وشمال إفريقيا ،يمتازون بأنف رقيق وضيق وأجسامهم عموما نحيلة وأكتافهم عريضة ومنهم البربر ، الطوارق الذين يتواجدون في مالي،النيجر ، وليبيا والجزائر ، يعرفون بالملثمين.

2ــ الفولاني والمور: اختلفت أقوال المؤرخين والباحثين في أصل قبائل الفولاني فمنهم من يربطهم لغويا بالنوبة ومنهم من يرى بأنهم عنصر من البربر استقروا في منطقة أدرار وأعالي السنغال([1]) واستقرت طائفة منهم في ماسينا ثم أخذوا في التسرب شرقا حتى وصلوا إلى بورنو ووصل البعض منهم إلى الكامرون وشمال" أدماوا" "**Adamawa**"([2]).

وقد تألفت حياة الفولاني من عدة قبائل صغيرة متناثرة تحيا حياة رعوية ، واشتهروا بتمردهم عن الحكام ورفضهم الخضوع لهم ، رغم أنهم يعيشون في أراضي هؤلاء الملوك وقد يتصرفون تصرفات تنبئ عن تمردهم إذا أسيء إليهم هدموا منازلهم وارتحلوا إلى منطقة أخرى ، وقد اشتهروا بزراعة القمح والقطن ([3]) .

---

[1])- محمد فاضل علي باري وآخرون : المرجع السابق ،.ص:25

[2])-des champ,Hubert :peuplles et nation d'outre-mer (Afrique Islam-Asie du sud, ,paris,1954,pp,150,152

[3])-Sligmen,E: Races of Africa ,London 1959, pp; 48,50

يوجد الفولاني : **(Foulani)** أو الفيلاني ،أو الفولا ،أو الفلاتا **(Fellata)**، أو الفولبي **(Fulibe)**، في المنطقة الواقعة في أعال نهر النيجر وحتى نهر السنغال ، والفولاني إما رعاة مسالمون متنقلون ، وإما مستقرون بين شعوب غريبة عنهم ، بحيث يمثلون الطبقة الحاكمة ذات النفوذ والجاه وبخاصة في نيجيريا الشمالية ، ويعيشون في مدينة سوكوتو **(Sokoto)** ومدينة كانو **(Kano)**، ومدينة أداماوا **(Adamawa)** التي كانت تسمى سابقا يولا **(Yola)**، كما أنهم ينتمون إلى الحاميين الشماليين الذين أخذوا يوسعون نفوذهم في السودان الغربي وأعالي السينغال أثناء قيام إمبراطورية غانا ، وفي نهاية 1810م ، دعم الفولانيون نفوذهم في سائر ولايات الهوسا ، وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي اتسمت رقعة إمبراطورية الفولانيين فشملت الأقاليم الشمالية من نيجيريا فيما عدا منطقة البورنو و يعيشون في منازل عبارة عن بيوت صغيرة محاطة بأسوار من العصي الخشبية ، وسقفها من أعشاب جافة ، وفي الليل تأوي قطعان الماشية إلى حظائرها المسورة بالأشواك ، وتربط بعضها البعض أزواجا أزواجا بحيث تتجه رؤوسها إلى جهات مختلفة ويتكلم الفولانيون اللغة الفوفولدية **(Fufulde)**، وينقسم إلى"فولاني البقرة"" **"cowfulani"**. وفولاني الجيدا" **"fulanigidda**"أي فولاني المدينة (الذين يسكنون المدن)، وقد استقرت مجموعة من الفولاني في بلاد الهوسا شمال نيجيريا مكونة إمبراطورية كبيرة بزعامة عثمان دان فوديو . أما المـــــور يتواجدون بشكل أساس في موريتانيا وبنسبة أقل في كل من السنغال وغامبيا ومالي ، وهم خليط من العرب والبربر ،ويتكلمون اللغة العربية باللهجة الحسانية ويتصفون بسمرة البشرة وضمور الجسم وهم يشبهون إلى حد بارز عرب اليمن والحجاز.

وهم المور البيضان المور السود: البيضان (أو البيض) ([1]) ، يقطنون منطقة موريتانيا ، يتكونون من رجال الدين والتجار والمحاربين ، ويمثلون الفئة الاولى من المجتمع، أما المور السود تتكون من الرعاة والعمال ، وكانوا أفراد هذه الفئة في الماضي

[1]) ـ حماه الله ولد السالم : المجتمع الاهلي الموريتاني مدن القوافل (1591- 1898 م) ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 بيروت،مارس 2008 ، ص ص 169، 215

عبيدا لدى المور البيضان، إلا أن القانون الذي أصدرته الحكومة الموريتانية في عامي 1960م–1980م، ألغى كل أشكال الرق والعبودية([1]).

ب–اللغات والأديان : يوجد في إفريقيا الغربية مائة وخمسون لغة، ومع ذلك ف إن لغة المستعمر ما زالت طاغية في كثير من مجتمعات إفريقيا الغربية التي استعمرها إلا أن أكثر اللغات شيوعا في هذه المنطقة هي لغة (الهوسا) التي يتكلم بها حوالي خمسة وعشرون مليون شخص (25 مليون شخص)، منهم عشرون مليون في نيجيريا ، والباقي موزعون في النيجر وبعض مناطق الكامرون وغانا ، وتعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية في موريتانيا وهي الدولة العربية الوحيدة في غرب إفريقيا ، كما تسود اللغة العربية الدينية الإسلامية في باقي دول إفريقيا الغربية وخاصة في السنغال ومالي والنيجر .

يدين معظم سكان غرب إفريقيا بالإسلام الذي دخلها في القرن العاشر الميلادي فهو ديانة الأكثرية في كل من بوركينافاسو وغامبيا وغينيا كوناكري ، ومالي وموريتانيا والنيجر والسنغال وسيراليون([2])،وصل الإسلام إلى بلدان أفريقيا الغربية عبر بلدان المغرب العربي أو شمال إفريقيا الغربي ، خاصة الجزائر، والمغرب الأقصى ، منذ صدر الإسلام في القرن السابع الميلادي . واستمر في الانتشار والتوغل بين الشعوب والقبائل الزنجية الإفريقية حتى وصل إلى سواحل غانة جنوبا ، والى المحيط الأطلسي غربا وذلك عن طريق الغزو ، والتجارة ، والدعاة المصلحين ، والطرق الصوفية حديثا خاصة : القادرية (*) أسسها محيى الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبو صلاح موسى الحساني (ولد في جيلان بشمال إيران عام 1078م ، ثم انتقل إلى بغداد عام 1095 م عمل في التدريس والإفتاء في بغداد سنة 1133م ، توفي في بغداد عام(1166م) ، من أوسع الفرق الصوفية انتشارا وقد دخلت إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري على أيدي مهاجرين من توات (جنوب غرب الجزائر)،واتخذوا من مدينة ولاته (تقع جنوب موريتانيا حاليا) أول

---

[1])- بوفيل أي :الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة زاهر رياض القاهرة ، 1967 ص 290.

[2])- محمد فاضل علي باري وآخرون : المرجع السابق ص، 27 .

* القادرية : أسسها محيى الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبو صلاح موسى الحساني (ولد في جيلان بشمال إيران عام 1078م ، ثم انتقل إلى بغداد عام 1095 م عمل في التدريس والإفتاء في بغداد سنة 1133م ، توفي في بغداد عام 1166م) .

مركز لطريقتهم ثم لجئوا إلى تمبكتو في مالي .ولم يكتف أتباع القادرية بما عرف عن الطرق الصوفية من حلقات ذكر بل اتبعوا أساليب مختلفة في نشر الدعوة الإسلامية قرَبتهم من الجماهير، فكثير منهم جلسوا معلمين للصبية أو تفقهوا بالدين فأصبحوا علماء وخطباء وكتابا واتجه بعضهم إلى كتابة التمائم والتعاويذ. وكان أغنياء الصوفية يفتحون المدارس للطلاب أو يختارون أذكي الشبان ويرسلونهم إلى مراكز العلم والثقافة في شمال إفريقيا ليعودوا قادة بين أهلهم ([1]).

وفي مستهل القرن التاسع عشر الميلادي الثالث عشر الهجري نجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الإسلامي تأثيرا عميقا تدفع بأتباع القادرية الذين كانوا يقيمون في الصحراء الكبرى وفي السودان الغربي إلى حياة ونشاط جديدين وعلى يدهم تحول الدخول للإسلام من حالات فردية إلى حالات جماعية . وكانت ما يسمى اليوم غينيا كوناكري من أهم المراكز الرئيسة لتنظيم دعوة الفرقة القادرية ، وقد لعبت مدنها ومناطقها مثل كنكان **(Kankan)** وتمبو **(Timbo)** ومنطقة جبال فوتا جالو ن **(Fouta-Djalon)** وحوض نهر غامبيا دورا رئيسيا في تثبيت وإبراز النفوذ الإسلامي وسط شعب وثني رحب برجال القادرية باعتبارهم كتابا وفقهاء ومعلمين .وكان أول من نشر القادرية في بلاد السودان الغربي هو الشيخ (محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني: فقيه ومفسر ومحدث ، رحل إلى السودان الغربي لنشر أحكام الشرع وقواعده كان من أتباع الطريقة البكائية المتفرعة ([2]).

والتيجانية([*]) رابطة روحية تأسست في القرن السادس الهجري(الثاني عشر الميلادي) على يد أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية ولد عام(1737م– 1815م)،في قرية عين ماضي بجنوب الجزائر،أنشأ طريقته عام

---

[1]) ـ حماه الله ولد السالم: نفس المرجع ، ص 227 ، 228

[2]) ـ يوسف فضل حسن : الفقيه أحمد بابا زدوره في كتابة التاريخ الافريقي ،بحوث الندوة التي عقدتها ـ إيسيسكو بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته ،مراكش 22- 25 صفر الخير 1412هـ / 2- 5 سبتمبر 1991م ،ص ص 23 ، 41

[*] التيجانية : رابطة روحية تأسست في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ،على يد أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية ولد عام(1737م- 1815م)، في قرية عين ماضي بجنوب الجزائر.

1782م، بالجزائر ،ثم صارت مدينة فاس المركز الأول لهذه الطريقة منها انتشرت إلى" إفريقيا الغربية"وأول من نشر هذه الرابطة في غرب إفريقيا هو الحاج "عمر الفوتي " الذي ولد عام 1795م وأخذ الطريقة من الشيخ "علي حرازم صاحب كتاب "جواهر المعاني" والتلميذ الأكبر للشيخ أحمد التيجاني هذه الطريقة لها أنصارا عديدين في الصحراء الكبرى وغربي إفريقيا ووسطها وقد انتسب"محمد بللو بن عثمان " سلطان سوكوتو الواقعة في شمال غرب نيجيريا إلى التيجانية بعد أن اتصل به" الحاج عمر الفوتي" لنشر هذه الطريقة هناك([1]).

ارتبطت التيجانية بمسألة اللجوء للسيف والقوة عند الضرورة وبهذا اختلفت التيجانية عن القادرية التي عرفت بالتسامح ، وأهم الحركات الحربية التي قام بها أفراد من التيجانية هي تلك الحركة التي قادها" الحاج عمر الفوتي" الذي جاهد وحارب ضد الاستعمار ومن جملة المشايخ التيجانيين الذين نشروا هذه الطريقة في غرب إفريقيا السيد "أحمد سكيرج" صاحب كتاب "كشف الحجاب عمن تلاقى مع التيجاني من الأصحاب " الذي نشر في فاس عام 1325هـ ـ1907م أما أهم كتاب يجمع بين مذاهب أتباع التيجانية فهو كتاب " جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني" تأليف التيجاني نفسه والذي قام بجمعه تلميذه "علي حرازم" ونشر في القاهرة عام 1345هـ ـ 1926 م ، وللتيجانيين عموما ظهرفي هذا العهد قطب كبير هو الشيخ "إبراهيم عبد الله انياس" وهو أكثر المشايخ إتباعا في غرب إفريقيا([2]).

والسنوسية([*]) : فرقة دينية صوفية تهدف إلى إصلاح شأن الإسلام ونشر العقيدة الإسلامية كان لها أثر بعيد في نشر الإسلام في غرب القارة الإفريقية وفي حوض نهر النيجر بشكل خاص خلال القرن التاسع عشر الميلادي الثالث عشر الهجري أسس هذه الطريقة سيدي محمد بن علي السنوسي المولود عام 1205هـ / 1864م. بناحية مستغانم

---

[1]) ـ هادي حسن حمودي : الإسلام في غرب إفريقيا نت النفوذ إلى الانتشار ،بحوث الندوة التي عقدتها إيسيسكو بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته ،مراكش 22- 25 صفر الخير 1412هـ / 2- 5 سبتمبر 1991م ،ص ص 47 -49.

[2]) ـ حماه الله ولد سالم :المرجع السابق،ص 35 .

[*] السنوسية : أسسها سيدي محمد بن علي السنوسي (1205 هـ / 1864م).

بالجزائر " الذي أنشا زوايا وأربطة (جمع رباط)، في الواحات حول برقة وفزان في ليبيا وحول بحيرة تشاد في كانم (**Kanem**) وبرنو (**Bornou**) وعمل على نشر الإسلام والعلم في تلك الربوع، وقد ضربت السنوسية أمثلة رائعة للناس في مواقفهم الحاسمة مع فرنسا التي منها مدينة زندر (**Zinder**).

ودامت بأيديهم حتى استردها الفرنسيون منهم عام(1278هـ / 1940م)، كما تمكنوا من الصمود أمام القوات الايطالية حتى انهزامها في الحرب العالمية الثانية .إستطاع السنوسيون أن يقيموا دولتهم السنوسية وعلى رأسها الملك" إدريس الأول" الذي عين ملكا على برقة عام(1284هـ / 1947م)، وقاد ليبيا إلى التحرير التام عام (1288هـ /1951م) كما كان لهم فضل كبير في إسلام كثير من القبائل بعد أن كانوا مسلمين إسميا مثل شعب بيديات (**bideyat**) وتيبستي (**Tibesti**) وغيرهما([1]).

وفي ختام حديثنا عن الطرق الصوفية لا بد من أن نفيد أن ظهور هذه الطرق بدأ متأخرا جدا في غرب إفريقيا ولم يتضح إلا في القرن التاسع عشر ميلادي كما تبين من استعراض نشاط الطرق الثلاث التي قمنا بدراستها ، فقد سبق التجار رجال الطرق الصوفية بحوالي عشرة قرون ومن هنا نقرر حقيقة مهمة هي أن دور الصوفية كان استمراريا وليس تأسيسيا ، ومع هذا فقد كان له نجاح واسع المدى في مجال الدعوة وفي اعتناق الإسلام بشكل جماعي من قبل الوثنيين ففي عهد عقبة بن نافع الفهري،وخلال ولايته الثانية ، توسع جنوب المغرب الأقصى وفتح إقليم السوس الأقصى ، وأخضع قبائل (المصامدة) ، فأسلم على يده الصنهاجيين البرابرة ، ووصل إلى مدينة مامسة (تامسنا) و مدينة نفيس، قرب أغمات، وأخضع قبائل الموفيين ، بني مسجدا في بلدة نفيس وقيل بأنه وصل إلى بلاد التكرور، وغانة، في منحنى نهر النيجر بين النيجر والسنغال وفتحها ولكن هذه الرواية فيها نوع من المبالغة والذي لا شك فيه هو أن عقبة نشر الإسلام وفتح طريق التجارة سالكا الطريق إلى

[1]) محمد الظريف :التواصل الثقافي بين المغرب والسودان خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين بحوث الندوة التي عقدتها- إيسيسكو- بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته ،مراكش 22-25 صفر الخير 1412هـ / 2-5 سبتمبر 1991م ، ص ص60 ، 65 .

مدينة أوداغوشت على حافة بلاد السودان الغربي ([1]).

وفي عهد ولاية موسى بن نصير، تقدم إلى وادي درعه، فاتحا، وناشرا للإسلام، وقرّب إليه قبائل البربر، وحبب إليها الإسلام بحسن سياسته، ومعاملاته، وبإشراكه لرجالها في إدارة أعماله، فدخلت إلى الإسلام أفواجا وجماعات. بصفة تكاد تكون جماعية ، حسب رواية بن عذارى في كتابه :" البيان المغرب" وأكثر موسى من إنشاء وبناء المساجد خاصة بأغمات ونشر الإسلام في أوساط اللمتونيين الملثمين في المنطقة كلها ، وسار على هذه السياسة من جاء بعد موسى بن نصير ، من الولاة والأمراء المسلمين ، وقام عبد الرحمن بن حبيب الفهري بحفر الآبار على طول الطريق المؤدية إلى مدينة أوداغوشت ، في كل الواحات الصحراوية عبر هذه الطريق ، وكان عمله هذا سببا في انتشار الإسلام بين سكان هذه الواحات الملثمين وغيرهم ([2]).

وعندما قامت دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي حمل الملثمون على عاتقهم مهمة نشر الإسلام في معظم مناطق أقاليم السودان الغربي ، خاصة بعد أن سقطت مملكة غانة الزنجية الكبيرة ، وقد تزعم الحركة الإسلامية في السودان الغربي الأمير يحيي بن إبراهيم الڤدالي ، وعبد الله بن ياسين الجز ولي الذي اتخذ رباطا له في جزيرة صغيرة داخل منحنى نهر النيجر (وقيل السنغال) ، وجمع حوله حوالي ألف طالب ومعلم ، وأدبهم وفقههم في الدين الإسلامي الحنيف ، وطعمهم بأيديولوجية الإسلام النقية ، ثم شرع بعد ذلك في نشر الإسلام في المنطقة بشكل واسع قبل الاتجاه إلى الشمال مرة أخرى([3]).

وبعد المرابطين ظهر الموحدون كورثاء لهم في مطلع القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، وقاموا بنفس الدور السابق ، وعملوا على نشر الإسلام في السودان الغربي ، فانتشر بين سكان معظم الممالك و ا لإمارات الزنجية التي كانت قائمة جنوب

---

1)- يحيى بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2001 ، ص12.

2)- يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص14

3)- جلال يحيى : تاريخ افريقية الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ،مصر. 1984 م .ص ص .34.29

الصحراء مثل: غانا ومالي و غيرهما ، وتواصل هذا الانتشار حتى القرن السابع عشر الميلادي وما بعده ففي خلال الفترة الممتدة من القرن الحادي عشر إلى السابع عشر ميلادي انتشر الإسلام في السنغاي وبنين ، ونيجيريا ، وصوصو ، وكوكو ، والتكرور .

وابتدءا من القرن الثامن عشر الميلادي (عام 1101 هـ / 1758م) تكفلت الطرق الصوفية ومشايخها ، بنشر الإسلام وإيصاله إلى الأدغال الإفريقية، والواحات البعيدة وتواصل هذا الدور حتى عام (1246 هـ/ 1907م) تقريبا([1])، ومع قدوم الإرساليات التبشيرية المسيحية الأوربية مع الاستعمار الحديث إلى غرب إفريقيا في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين،دخلت المسيحية تلك الأصقاع وأصبحت الآن الديانة الثانية فيها بعد الدين الإسلامي وتركزت المسيحية في: سواحل غانا وليبريا وساحل العاج ونيجيريا و الطوغو وبنين.

أما الوثنية فتسود المناطق الداخلية حول الغابات مثل : غانا وساحل العاج وليبريا وغينيا بيساو بالإضافة إلى هذه المجموعات الدينية الثلاثة تتواجد أقليات بهائية (*) فرقة من الفرق المنحرفة التي أصبحت تمثل ديانة مستقلة و إن ا تسمت بالإسلام في مبدأ أمرها يزعم أصحابها بـأن الوجود المطلق لله لا يتحقق بالأسماء والصفات التي وصف بها نفسه في كتبه،وخصوصا في القر آن الكريم ، بل زعموا أن وجوده يحتاج إلى من يظهر أمره ويبشر بمظهره الأبهى الذي اعتقدوا أنه بهاء الله يعود تاريخ ظهورها إلى سنة (1260هـ/ 1921م) وانتهى تاريخ البهائية سنة(1279هـ/1940م) عندما أعلن المرزا حسين علي النوري المازندراني أنه هو المقصود بعبارة من يظهره الله الواردة في كتب الباب ، وادعى أن الباب كان مبشرا به ، وهذه هي البداية الفعلية لدعوة الملة البهائية إذ هي تنسب إلى المرزا حسين علي النوري الذي اتخذ لنفسه اسم بهاء الدين النوري المازندراني انه هو المقصود بعبارة من يظهره الله الواردة في كتب الباب ،وديانات أسيوية كالهندوسية ديانة تقوم على عبادة أكثر من إله، وقد اتخذ الهندوس من قوى الطبيعة كالمطر والشمس والعواصف والرعد والنار والماء آلهة، حسب زعمهم، وعد فلاسفتهم تلك الآلهة أشكالا للإله

[1])- محمد فاضل وعلي باري وآخرون : المرجع السابق ، ص ص 14،15.

* -البهائية: فرقة دينية تأسست سنة :1260 هـ/1921 م انتهت سنة : 1279 هـ / 1940 م.

الذي أطلقوا عليه براهما.أكبر ديانات الهند الوثنية، وإحدى الديانات القديمة في العالم، يمثل الهندوس نحو 83 % من سكان الهند.([1])

وللهندوسية أثر في كل مظاهر الحياة الهندية ويطلق الهنود على ديانتهم اسم سانتاندرا، أي الديانة القديمة أو الأزلية ، والبوذية([2]) : يعرف البوذي بأنه من آمن بالجواهر التي هي بوذا وتعاليمه والجماعة هي من أكبر الديانات الوضعية والفلسفات في العالم ظهرت قبل 2.000 سنة في شمال شرقي الهند ، وانتشرت في معظم أنحاء الهند ، وتعاليمها تشير إلى تعاليم بوذا التي تتضمن معنى الحقيقة والطريق الموصل إليها وتعلم عن طريق الحقائق الأربع النبيلة والطريق الثماني النبيل ، وكونفوشية([3]) تقوم الديانة الكونفوشية التي أنشاها الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس": المولود عام 550 ق.م. على أساس احترام كبار السن والوالدين، وحكم الرجال للنساء وحكم المتعلم للعامة، وتركز هذه الديانة على النواحي الروحية بشكل عام، كما أنها لا تدعوا إلى عبادة إله أو آلهة، ولا تنادي بوجود حياة بعد الموت، وقد دخلت هذه الديانات مع المهاجرين الأجانب العمال ورجال الأعمال.

يسكن السودان الغربي شعوب وقبائل زنجية كثيرة اختلطت دماؤها عبر التاريخ بدماء الساميين والحاميين الذين وفدوا على المنطقة من الشمال الشرقي والغربي، ومن أشهر القبائل الزنجية هذه: الماندي، السوننكي، التكرور،التوكولور،الولوف، الفولاني، اليوروبا، الهوسة،الموسى، الداجونبا ،الجورما وغيرها وتتحدث هذه القبائل عشرات اللغات واللهجات أهمها: اليوروبا ، والفولا ، والماندي . ويعتبر غرب إفريقيا خزانا أصيلا للجنس الزنجي الأصيل ([4]).

وعرف الإسلام طريقه إلى غرب إفريقيا منذ زمن بعيد أي اعتبارا من القرن الأول الهجري حوالي منتصف القرن السابع الميلادي، وذلك بعد الفتح العربي لمصر([5]) ولقد انتشر الإسلام في غرب إفريقيا عن طريق : التجارة ، الهجرات العربية الطرق

---

[1]) ـ محمد فاضل علي باري وآخرون : المرجع السابق ، ص ص 37 ، 42.

[2]) ـ البوذية : ظهرت قبل 2000 سنة بالصين

[3]) ـ محمود شاكر : سكان العالم الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، شركة الشهاب للنشر و التوزيع ، الجزائر ب. ت 1396هـ ، ص 59

[4])- يحيي بوعزيز : المرجع السابق ، ص9.

[5])- إبراهيم علي طرخان:"الإسلام واللغة العربية في غرب إفريقيا"،مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، مج27،القاهرة 1969م،ص 54.

الصوفية ، المصاهرة ، ا لإندماج ، الكتب ، المدارس والمساجد ، يضاف إلى ذلك ما قامت به المراكز الداخلية من جهود في هذا المضمار ممثلة في جهود إمبراطورية أودغشرت السنونكية الإسلامية وتعالي ملوكها في نشر الإسلام بين أهالي تلك المنطقة ولقد ل عب الملك الأودغشرتي "يبوتان" دورا متميزا في نشر الإسلام بين الزنوج الم جاورين لدولته من ناحية الجنوب([1]).

و لقد توفرت مجموعة من العوامل كان لها الدور البارز في تيسير عملية انتشار الإسلام في غرب إفريقيا منها:

أولا – إن الإسلام دين الفطرة ليس فيه تعقيد، كما أن فكرة التوحيد التي جاء بها لم تكن غريبة على أهل تلك المنطقة. "إن الإسلام لم يدخل إليها بالسيف فتحا " إن الإسلام بدخوله لم ينتج عنه تدميرا لنظم أهل البلد المحلية ، وعلى نفس السياق (نشاط المبشر والتاجر) ، تقدم موسى ابن نصير إلى وادي درعه غازيا وفاتحا،حيث قرب إليه القبائل وحبب إليها الإسلام بحسن سياسته ومعاملاته ، وبإشراكه لرجالها في إدارة أعماله وأكثر موسى من إنشاء وبناء المساجد خاصة بأغمات ونشر الإسلام في أوساط اللمتونيين الملثمين في المنطقة وسار على هذه السياسة من جاء بعد موسى بن نصير من الولاة والأمراء ، وقام عبد الرحمن ابن حبيب الفهري بحفر الآبار على طول الطريق إلى مدينة أوداغوشت، في كل الواحات الصحراوية عبر هذا الطريق وكان عمله هذا سببا في انتشار الإسلام بين سكان هذه الواحات الملثمين وغيرهم ([2]).

وفي عهد دولة الأدارسة ، أقبلت جماهير صنهاجة على الدخول إلى الإسلام خاصة اللمتونيين وكان ذلك عاملا هاما في ازدهار بلدان السودان الغربي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وعندما قامت دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي، حمل الملثمون على عاتقهم مهمة نشر الإسلام في معظم مناطق أقاليم السودان الغربي ،

---

[1])- حسن أحمد محمود:دور العرب في نشر الحضارة في غرب إفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، مج 14، مصر، جامعة عين شمس، 1968، ص 52.

[2])– عبد السلام بغدادي :الجماعات العربية في إفريقيا،دراسة في أوضاع الجاليات والأقليات العربية في إفريقيا جنوب الصحراء ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط 1 ،كانون الأول / ديسمبر 2005م ،بيروت ، لبنان ص ص 204،211

خاصة بعد أن ضعفت مملكة غانة الزنجية الكبيرة وقد تزعم الحركة الإسلامية في السودان الغربي ، الأمير " يحي بن إبراهيم القدالي " و "عبد الله بن ياسين الجز ولي " ، وبعد المرابطين ظهر الموحدون كورثاء لهم في مطلع القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وقاموا بنفس الدور ، وعملوا على نشر الإسلام في السودان الغربي ، فانتشر بين سكان معظم المماليك والأمارات الزنجية مثل مملكة كوكو ومملكة التكرور، وابتدءا من عام (1198هـ / 1858م) تكفلت الطرق الدينية ومشايخها ، بنشر الإسلام وإيصاله إلى الأدغال والواحات البعيدة وتواصل هذا الدور حتى عام(1246 هـ / 1907م) تقريبا([1]) .

وعلى ذلك مر الإسلام في انتشاره بغرب إفريقيا بالمراحل التالية :

أولا– مرحلة الاتصالات المستمرة والمتنوعة في الفترة التي سبقت منتصف القرن الحادي عشر ميلادي([2]).

ثانيا– مرحلة الانتشار العسكري والتي بدأها المرابطون أين كانت لهم دولتان بالمغرب دولة كانت قائمة جنوب الصحراء مثل غانة ومالي كانت قائمة جنوب الصحراء وتواصل هذا الانتشار حتى القرن السابع عشر الميلادي وما بعده.

ثالثا – مرحلة الانتشار المحلي حيث تولى سادة إمبراطورية مالي التي أسستها قبائل المادنجو أمر نشره وكان أكثر أهالي تلك المنطقة من حمس الإسلام عليه ، والى ملوك مالي يرجع الفضل في نشر الإسلام ببلاد الهوسا.

رابعا – مرحلة الانتشار الذاتي والتي تبنتها إمبراطورية سنغاي الإسلامية خصوصا في عهد "سن علي" حيث وصل الإسلام في عهد إلى فروع نهر النيجر كما لعبت أسرة الأسكيين الحاكمة دورا كبيرا ، أين بلغت الدولة في عهدهم اتساعا وقوة جعلهم يضطلعون بهذا الدور باقتدار، حيث بلغ من حماس "الأسكيا الأول محمد" أنه لقب نفسه بأمير المؤمنين كما اشتهر "مايات برونو" بحماستهم للدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية وقد عرف منهم " الماي عثمان بن زينب "([3]) ، الذي كان يعتقد في عروقه نسب أسرته وأنها ترجع إلى نسل "عثمان بن

---

[1])- يحيي بوعزيز : المرجع السابق ، ص ص، 10،11 .

[2])- عبد القادر زبادية : المرجع السابق .ص ص 51،53.

[3])- رولاند أوليفر وجون فيج :موجز تاريخ إفريقيا ،ترجمة الدكتورة دولت صادق الدار المصرية للتأليف، مصر 1965م ، ص67

عفان" كما ساعدت هجرة القبائل العربية إلى تلك البلاد واستقرارها في العهود السابقة للإسلام، في ازدهار اللغة العربية ، فبانتشار الإسلام فيها ازدادت هذه اللغة رسوخا في المنطقة ومن هذه القبائل تلك التي تعرف في إمبراطورية برونو الإسلامية باسم "الشواء " وهي قبائل عربية يضاف إلى ذلك ما حدث من م صاهرات ما بين قبائل الشواء العربية وبعض القبائل السودانية فنتج عنها أجيال من المولدين تعود بأصولها إلى العرب([1]).

خامسا – المرحلة الخامسة والأخيرة وهي مرحلة انتشار الطرق الصوفية ، وزواياها الدينية ودعاتهم ومقدميه م ، والتي تصادفت مع طلائع الاستعمار الأوروبي ، ومن أشهر هذه الطرق الصوفية ، القادرية التي انتشر دعاتها في أرجاء السودان الغربي ومن أهم مراكزها: مركز كنكا ، مركز تمبكتو ومركز بجبا ل فوتا جالون ومركز سكوتو في بلاد الهوسا ، ومركز توات في منطقة أدرار ، ومن أهم دعاتها وشيوخها الشيخ عثمان بن فودى ولد الشيخ عثمانبن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن جب بن محمد بن ثنب بن أيوب بن ماسران بن بوب بن جكل الملقب بابن فودي (وتعني بلغة الفلانيين " الفقيه") بقرية مرت ولاية غوبر (ولاية سوكوتو بنيجيريا حاليا) عام(1168هـ / 1752 م).

ينتسب عثمان بن فودي إلى جماعة فلانية كانت تعيش في وسط بلاد الهوسا وكانت تسمى ((الترونكاوا)) وقد عرفت بتمسكها بالإسلام وظهور الأئمة والعلماء والفقهاء والدعاة ، تلقى علوم الدين واللغة العربية عن أبيه وأعمامه وبدأ منذ عام 1774م ــ أي وهو في العشرين من عمره يعمل كداعية، وفي عام 1795م دعا أصحابه وأتباعه إلي حمل السلاح لأداء فريضة الجهاد في سبيل الله ، ضد من يمنعون نشر الدين والدعوة إليه من أمراء وسلاطين الهاوسا، ورؤساء الجماعات الأخرى الصغيرة وقد حاربهم البعض ووالاهم البعض الآخر، حتى استطاع أن يكوّن ملكا كبيرا يض م شمال ووسط نيجيريا، وعلى كل مدينة أو إمارة حامل راية من رايات الجهاد مع الشيخو ، ليعيد الإسلام إلى سيرته الأولى وليزيل آثار الجاهلية التي شابته ، واتخذ من سوكوتو عاصمة له وساعده في جهاده ، كل من ابنه" محمد بللو" وشقيقه "عبد الله" ، اللذين اقتسما الملك بعد وفاته سنة 1817م، والشيخ"

[1])- أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، ج2 ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ص102.

أحمدو لوبو الماسيني" والشيخ "أحمد الكونتي "، كما قادت هذه المرحلة الطريقة التيجانية ، التي اشتهر من دعاتها في الإقليم "محمد الكبير" و"محمد الصغير بن عيسى" و"محمد العابد" و" الحاج عمر"، الذي تم على يديه انتشار التيجانية في معظم ربوع وأصقاع السودان الغربي الواسع ، وقد اختلفت التيجانية مع القادرية المسالمة من حيث اعتمادها على القوة والسيف وعدم التسامح مع العصاة المخالفين لها والوثنيين ([1]).

يعتبرا لقطا ع الزراعي هو أساس الاقتصاد في إفريقيا الغربية و أهم المواد الزراعية: الأرز و يزرع في أودية نهر النيجر في منطقة السنغال وغامبيا، والدخن في مالي وتوجد زراعة النخيل والذرة والقطن والفول السوداني والبطاطا والبن والكاكاو والسمسم ، قصب السكر والموز والأناناس ، والأخشاب ، الفستق والصمغ العربي ونخيل الزيت وجوز الهند والحمضيات والكولا والكتان والزنجبيل والذرة البيضاء والمانغو والبرتقال والمانيهوت والمطاط والتمور . كل هذه المواد الزراعية كانت تدخل في المبادلات التجارية مع التجار المغاربة، وبدورهم كانوا يصدرونها إلى أوربا([2]).

تهتم إفريقيا الغربية بحرفة الرعي منذ القدم ، وتربية الأبقار والأغنام والماعز وكانت قبائل الجلوف أو الولوف ((**wolof**)): يحتل شعب الولوف الشريط الساحل الواقع فيما بين سان لويس والرأس الأخضر ،ومنطقة دكار، كما يحتلون الشريط الجنوبي لنهر السنغال ، ويمتد توزيعهم الجغرافي إلى الداخل بحيث يشمل منطقة متسعة ، والواقع أن شعب الولوف هو أشد الشعوب الإفريقية سوادا وأكثرها ثرثرة ،ولهذا فهم يعرفون تارة الثرثارون وتارة أخرى يعرفون بالسود والغالبية العظمى منهم تدين بالإسلام،وقليل منهم يدين بالمسيحية ، وعلى الرغم من ذلك فإن الطقوس الوثنية تنتشر فيما بينهم وينقسم شعب الولوف إلى ثلاث طبقات وراثية هي: طبقة النبلاء والتجار والمنبوذين من الأرقاء .

والتكرور الماندي: **(Mande)** أو الماندينجو **(Mandingo)** من أهم الشعوب التي يتألف منها السينغال الفرنسي ،إذ يحتل هذا الشعب الإقليم الممتد فيما بين المحيط الأطلسي

---

[1]) ـ رولاند أوليفر وجون فيج : المرجع السابق ، ص 120.

[2]) ـ عمر أفا : التجارة المغربية في القرن التاسع عشر ،البنيات والتحولات ، 1830- 1912 م، مكتبة دار الأمان الرباط المغرب ، ط1 ،1427 هـ / 2006 م ، ص ص 296 ،308 .

وأعالي نهر النيجر. وتضم الماندي قبائل الديولا والكاسونكي والبانمانا **(Banmana)** والسوننكى والمالنكي والفي **(Vei)** ويقال إن الماندي كانت لهم مكانة في السودان الفرنسي مشابهة لمكانة قبائل الهوسا في نيجيريا الشمالية ، ويعتبر إقليم الماندي الموطن الأول للشعوب المتكلمة بلغة ((الماندي)) ففي هذا المكان يوجد موقع مدينة مالي التي ترجع شهرتها إلى العصور الوسطى ، حيث ازدهرت وازدادت شهرة في القرن الثالث عشر الميلادي ، وبخاصة تحت حكم الملك "منسا موسى" الذي حكم في الفترة ما بين (1311– 1331م)، فكانت مالي حاضرة لأعظم ممالك السودان الغربي سطوة وبأسا ، وظلت قائمة حتى تلاشت من الوجود حوالي عام 1500م حين سقطت في يد " أسكيا ملك الصنغي" كما توجد أعداد كبيرة منهم في كل من ناميبيا وغينيا بيساو وساحل العاج .

ويعد المالنكيون أهم مجموعات المانديجو ، يتحدثون لهجات متعددة ، وهم مزارعون أو رعاة تهتم بحرفة الرعي لوفرة المراعي ، تستفيد من جلودها وصوفها وحليبها، في صناعة الجلود والنسيج ، والغذاء الحليب واللحوم دخلت هذه المواد في التجارة([1]).

أسهمت منتجات الذهب والملح والنحاس والكولا بدور بالغ الأهمية في اقتصاد إفريقيا الغربية كانت تمتلك مناجم عديدة من الذهب مما جعلها أكبر منتج له في العالم القديم (العصر الوسيط والحديث) وكانت تستغل ذهب" بوريه" وهي مقاطعة متاخمة للماندي ، قصر نشاط سكانها على هذا المعدن ([2]).

وكانت تومبوكتو وغالام الواقعتان على ضفاف نهر السنغال الأعلى ، وكان يستخرج من مناطق الغابات في جنوب مالي ، وكانت منطقة بيغو في بلاد البرون (غانا الحالية) مركزا كبيرا لتجارة الكولا والذهب والنحاس وكان التجار يبيعون الملح المستخرج من تغازة بالتجزئة في كل مناطق إفريقيا الغربية.

وتنتج المناطق الساحلية (السنغال وغامبيا)، الملح البحري ولكن هذا الملح لم يكن يصل إلى المناطق الداخلية وكانت منطقة " تاكيدة " آنذاك المركز الرئيسي لإنتاج النحاس

[1])- يحيي بوعزيز : المرجع السابق ، ص ص 12،13 .
[2])- تاريخ إفريقيا العام : الجزء الثالث ، منظمة اليونسكو ،1984م ، جون أفريك ، ص ص، 175،178.

وتسويقه وكان يوضع في شكل قضبان ويصدر إلى الجنوب حيث كان السكان يفضلون الذهب، وكانت إمبراطورية مالي تستورد جوز الكولا من بلدان الجنوب وكانت هذه الثمرة محل تجارة أقامت الصلات بين "الجبولا والونغارا" وعدد من بلاد الغابات من بينها شعوب "الأكان" "والغورو " (وهي أعراق تقطن حاليا غانا وساحل العاج) ([1]).

وقد اختص قبائل "السوننكة والمالنكة" بهذه التجارة وهم يعرفون لدى سكان الغابات باسم"الجولا والوانغارا " بمعنى التجار ، وأسس الماندينغ في مسعاهم لجلب الكولا والذهب محطات يأوون إليها على الطرق المؤدية من ضفاف نهر النيجر إلى منطقة "الكونغ"(ساحل العاج) و"بيغو " (جمهورية غانا) . وكانت قبائل "الج ولا " أو "الوانغارا" تسير باتجاه الغابة قوافل من الحمير المحملة بالملح والأقطان والأواني النحاسية وكانت تستعمل أيضا الحمالة ، من ذلك أن بعض الوانغارا من سكان منطقة "جيني" كانوا يملكون من العبيد عددا قد يبلغ المائتين مهمتهم نقل الملح إلى بلدان الجنوب حيث كانوا يستبدلون به الذهب ولا تزال هذه التقاليد وهذا الحس التجاري حتى اليوم من مميزات الماندانغ الذين ظلوا محرك النشاط التجاري في إفريقيا الغربية([2]).

يشمل التعريف السياسي لغربي إفريقيا الأجزاء ال واقعة ما بين حافة الصحراء الكبرى في الشمال ، وحدود تشاد في الشرق ومحور جبال الكامرون في الجنوب الشرقي بينما يحيطها المحيط الأطلسي من الجهتين الجنوبية و الغربية . تنقسم إفريقيا الغربية سياسيا إلى جزأين متوازيين رئيسيين هما([3]).

1- الجزء الغربي الذي يشمل السودان الغربي. يتمثل في الدول الموجودة في غرب السودان يشمل: بوريكنا فاسو ، الرأس الأخضر، غامبيا ، مالي ، النيجر،السينغال موريتانيا .

2- المنطقة الساحلية أو ساحل غينيا . : بنين ،ساحل العاج ،غانا ،غينيا بيساو ،ليبيريا،نيجيريا، سيرليون، الطوغو،غينيا كوناكري.

---

[1])- إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء الفاروقي : أطلس الحضارة الإسلامية ،ترجمة .عبد الواحد لؤلؤة مراجعة رياض نور الله ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،مكتبة العبيكان ،المملكة العربية السعودية ،ط 1،1419 هـ / 1998م ، ص ص 489 ،509 .

[2])- تاريخ إفريقيا العام: الجزء الثاني ، منظمة اليونسكو ، 1984م ، جون أفريك ، ص ص.181 ،182.

[3])- موريس كروزيه وآخرون : تاريخ الحضارات العام ، ج 1، ترجمة فريد داغو وآخرون ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت 2003 ، ص ص، 261،262.

نقــد و استنتاج:

بعد دراسة هذا الفصل نستنتج أن منطقة غرب إفريقيا من الناحية الإقليمية تتميز بتنوع مناخها وتنوع سكانها،وموقعها الجغرافي،أدى إلى تنوع المنتجات الزراعية،وكذا تنوع النباتات الطبيعية كان عاملا مساعدا في ظهور التجارة الصحراوية،وتنوع السلع التجارية،وبسبب التعامل التجاري بين القبائل العربية والقبائل الإفريقية، هذا التعامل بينهما أدى إلى تأثر الأفارقة بعادات وتقاليد العرب المسلمين،فبدؤوا يقلدونهم،خاصة في الصلاة،وهكذا بدا الدين الإسلامي ثم اللغة العربية في الانتشار،سرعة انتشار التجارة،فازدهر التعليم وازدهرا لمجتم ع في جميع المجالات إن العامل البيئي كان مؤثرا في الجانب التجاري ، أدى إلى تطور الحواضر الصحراوية التي كان ظهورها وازدهارها وثيق الصلة بحركة القوافل التجارية المترددة بين السودان الغربي وبلاد المغرب العربي ،عبر مسالك تجارية معقدة تشكلت عبر القرون بالتساوق مع تطور المبادلات الدولية والتحولات السياسية والبشرية في هذه الأقاليم ، وكان ذلك يتم عن طريق القافلة ،كانت تتكون من مجموعة من الجمال حسب أهمية التجارة تستأجرها مجموعة من التجار من قبل مجموعة ملاكها، ومعظمهم من البدو .

الفصل الثاني: التجارة والقوافل التجارية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين

المبحث الأول: التجارة الصحراوية

المبحث الثاني: أهم الطرق والمسالك التجارية

المبحث الثالث: أهم الرحالة والرحلات

الفصل الثاني: التجارة والقوافل التجارية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين:

بعد معالجتنا للبيئة الطبيعية لإفريقيا الغربية، في الفصل الأول من هذه المذكرة، نتناول في هذا الفصل الثاني التجارة الصحراوية.

المبحث الأول: التجارة الصحراوية:

متى بدأت القوافل التجارية بقطع الصحراء نحو إفريقيا ؟ ونحن في بداية هذا الفصل نطرح سؤالا عن بداية التجارة الصحراوية من خلال الكتابات الجغرافية ، وإذا عرفنا تاريخ بداية عبور القوافل التجارية نحو إفريقيا كان مع بداية القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، فالباحث في هذا الموضوع يطرح سؤالا مكملا للأول ، هل بداية التبادل التجاري مع إفريقيا كانت في نفس الفترة التاريخية التي عاصرت تاريخ عبور القوافل للصحراء؟ ([1]) ، منطقيا ليس هنالك ما يربط بين هذين الحدثين برابطة السبب ، بحيث لا يوجد دليلا علميا يؤكد ذلك التطابق بهذا الرأي فقد يكون الجغرافيون لم يبدؤوا بالحديث عن هذا الموضوع إلا بعد أن اشتهروا ، أي بعد أن مرت عليه مدة من الزمان ليست بالقصيرة ، سيما وموضوع الذهب ومناجمه كانت تقتضي شيئا من التكتم عن كشف الحقيقة .

ومن المعروف تاريخيا أن الفتوح الإسلامية كانت تتجه إلى الصحراء الغربية منذ أواسط القرن الثامن الميلادي لتصل إلى السودان الغربي ثم أن المؤرخين يذكرون قائمة فيها عدة أسماء أمراء صنهاجة الملثمين الذين حكموا في الصحراء قبل ظهور المرابطين ،وإذا أخذنا برواية ابن خلدون ، فـإن الإسلام بدأ ينتشر في صنهاجة إثر فتح الأندلس ، أي أثناء القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي وكانت رياستهم في لمتونة وملوكهم من بني ورت لان. ويلخص ابن خلدون نشاطهم في مرحلة البداية بقوله :" ودوّخوا تلك البلاد الصحراوية " وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الإسلام فدان به كثير منهم ، واتقاهم آخرون

[1])- محمد زنيبر : تجارة القوافل في المغرب ، مجلة المناهل العدد 38، السنة 15جمادى الأولى 1410هـ الموافق لـ يناير 1989 المغرب ، ص ص 111،112.

بالجزية فقبلوها منهم" ، ثم يشير ابن خلدون بعد ذلك إلى حدوث انقسام في صفوف صنهاجة الذي أدى إلى تكوين إمارات مختلفة، ثم عادت كلمتهم إلى الاجتماع بعد تولي محمد بن تيفاوت المعروف بتارشت الحكم والذي ظهر بعده المرابطون ، هاته الرواية على اقتضابها وما يعترضها من اختلاف ، حسب المصادر ، سواء في التواريخ أو الأسماء ، تؤكد شيئا مهما وهو وجود الإسلام بالمنطقة مبكرا وهو ما ينسجم مع ما ورد في المصادر الجغرافية ، ولذلك سجلنا معرفة وجود الذهب بالسودان الغربي في مصدر عربي هو كتاب الفلكي الفزاري (*) : أول من عمل إسطرلابا (آلة تشبه البوصلة) ، عاش في العراق ، وكان عالما بالفلك والآلات، له مؤلفات عديدة أهمها : كتاب الفلكي ، المقياس للزوال ، القصيدة في علم النجوم ، وكتاب العمل بالإسطرلاب المسطح زار عدة دول من بينها السودان الغربى المتوفى حوالي سنة 180هـ / 796م ، الذي كان الخليفة أبو جعفر المنصور كلفه بتأليفه ، استنادا إلى كتاب في الموضوع تلقاه من الهند والإشارة إلى وجود الذهب بالمنطقة موجودة عند ابن الحكم في كتابه "فتوح إفريقية" كما يجد الباحث عند استعراض قائمة المراكز المغربية لسك النقود ، من بينها عددا ، في عهد الأدارسة والمدراريين([1]).

ونلاحظ أن بعضها يوجد في محور الطرق ال مؤدية إلى الصحراء مثل منطقة أمعدن ، منطقة تجرجرا،منطقة تدغة، منطقة فاس، منطقة تلمسان،منطقة زيز،منطقة سجلماسة منطقة مريرة،منطقة زقور،والحقيقة أن هنالك ثلاثة مراكز تقع في منطقة سجلماسة وهي :مدينة سجلماسة ومنطقة تدغة ومنطقة زيز، بينما المراكز الأخرى أغلبها يقع في الطرق المؤدية إليها،ونلاحظ أن بعض هاته المراكز،كان ذات علاقة إما بالأمويين أو بالعباسيين مثل : منطقة "تاغصا أو تاغازا"الواقعة في مصب وادي تاغزا بغمارة وتدغة وتلمسان وطنجة ووليلي، وأن البعض منها وجدت به مسكوكات ذهبية مثل :منطقة"تلمسان وطنجة"وجدها الباحث " أوستاش وهو من الباحثين المختصين في النقود المغربية ،إلا أن دولة بني مدرار بسجلماسة كانت هي

---

* الفزاري :محمد بن إبراهيم بن حبيب بن جندب الفزاري المتوفى(؟ - نحو 180 هـ ، ؟ 796م) ،

[1]) - حسن ابراهيم حسن : مسالك الإسلام إلى القارة الإفريقية ، مجلة البينة ،العدد الأول ، السنة الأولى ، ماي 1963 ، المغرب ، ص ص ، 10 ، 21 .

أول من سكك نقود الذهب .

أولا: تجارة القوافل الصحراوية لقد حدث أن اعتنق معظم سكان السوداني الغربي الإسلام عن طريق التجار، وعن طريق الإسلام دخل كم كبير من الحضارة الإسلامية وبرز عدد كبير من العلماء الإفريقيين ، الذين كتبوا باللغة الإفريقية ، ثم بعد أن دخل الإسلام تأسست الدول الإسلامية في افريقية.

الثابت أن الثقافات وأقواها تأثيرا في حضارة شمال وغرب أفريقيا التي تعود إلى عصر الإسلام ، حتى أن العالم الأوروبي ظل لبضعة قرون متخلف ، و إن بلاد السودان عامة والصحراء في شمالها ليست سوى جزء من العالم الإسلامي ([1]) .

يعتبر العصر الوسيط هو العصر الذهبي في تاريخ البلاد الإسلامية الإفريقية أو تاريخ السودان الأوسط والغربي بمعنى آخر ، فمن القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، إلى حوالي القرن العاشر هجري (السادس عشر ميلادي) حفلت بلاد غرب افريقية ب عدد من العلماء والرحالة والتجار المسلمين من شتى أص قاع العالم من المشرق ووادي النيل وبلاد المغرب العربي ، ونهضت تلك البلاد التي أمها المسلمون الإفريقيون لشتى الأغراض علاوة على تبادل المنافع التجارية فظهرت مدن إفريقية زاهرة ومتطورة مثل مدينة كامبي صالح في غانة ومدينة جيني ومدينة تمبكتو ،ومدينة ولاتة ،ومدينة تكدة ومدينة ونقارة،ومدينة كانو وغيرها من المدن ([2]).

لقد تطلعت بلاد السودان الأوسط والغربي إلى البلاد الإسلامية شمال إفريقيا ، وشمال شرق إفريقيا من أجل العقيدة والمدنية،وكان للنشاط التجاري العربي والإسلامي عبر الطريق الصحراوي منذ القرن الأول هجري ، الثالث ميلادي. وحتى نهاية القرن الخامس الهجري السابع الميلادي، الدور البارز والواضح.

---

[1])- محمد محمد زيتون: العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المعرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد مسعود الإسلامية الرياض المملكة العربية السعودية، العدد 3، 1399هـ / 1979م، ص ص، 211، 212.

[2]) - صباح إبراهيم الشيخلي : النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري (ندوة .تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية) ،بغداد العراق ،1404 هـ / 1984 م ،ص ص 29،44.

ثانيا : تجارة الصحراء الكبرى والمحيط الأطلسي : إن إفريقيا ،شأن الصين لم تكن معروفة جيدا للعالم الخارجي قبل القرن التاسع عشر وكان مصدر المعلومات عن الداخل زيارات بين الحين والآخر قام بها رحالة مثل : ابن بطوطة ماركو بولو ، للمناطق الاستوائية ويفترض بأن القارة الإفريقية ، كانت معزولة عن الاتصالات الخارجية فهذا الافتراض غير دقيق من الناحية التاريخية ، والحقيقة أنه كانت لإفريقيا الغربية صلات تجارية خارجية وطيدة الأركان وعالية التنظيم عبر الصحراء الكبرى والمحيط الأطلسي وهذه الطرق رغم خطورتها كانت تربط المنطقة بالاقتصاد الدولي قبل أن تسمح الثورة الصناعية للدول الأوروبية الرئيسية لزيادة تغلغلها في العالم المتخلف بقرون عديدة([1]).

لقد مارست إفريقيا الغربية تجارة خارجية واسعة ، وتلك حقيقة وثيقة الارتباط بموضوع الثبات والتغير في السوق ، لأن التجربة التاريخية تفيد أن المجتمعات التي كانت تثبط عزائمها قيود محلية كانت في بعض الأحيان تكتشف طريقا إلى التنمية الاقتصادية من خلال التجارة الدولية([2]).

إن نظرية النمو الاقتصادي من خلال التجارة الدولية هي في الأساس تطبيق لمفهوم التخصص على الأمم والقارات كما قال بذلك في الأصل آدم سميث.

وحيثما قامت التجارة الخارجية بدور قاطرة للنمو، فإنها فعلت ذلك عن طريق إقامة صلة بين مجتمعات يختلف ما تتمتع به من موارد، سواء كانت طبيعية أو مكتسبة، في أوجه هامة معينة وفي هذه الحالة يكون باستطاعة كل من المجتمعات المعينة توريد السلع التي تحتاج إليها المجتمعات الأخرى، ولكنها لا تستطيع أن تنتجها بنفسها، أو على الأقل لا تستطيع أن تنتجها بثمن رخيص([3]).

---

[1])- أ-ج- هوبكنز : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، تقديم : محمد عبد الغني سعودي ، ترجمة :أحمد فؤاد بلبع المجلس الأعلى للثقافة مصر 1998م ، ص 155.

[2]) ـ محمد أغفيف : المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية (العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية) ، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، منشورات عكاظ ب.ت .ص ص 49 ،59 .

[3]) ـ ابراهيم أبو القاسم : التجارة بين غدامس وتونس في القرن التاسع عشر من خلال مراسلات محمد عبد الحميد الغدامسي ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد الحادي والعشرون ، سبتمبر 2000 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان ، جامعة تونس الأولى ، ص ص 11 ،22 .

ومن بين العوامل المتعددة المؤثرة في التكاليف النسبية كان النقل ذا دلالة خاصة في تاريخ التجارة بين الأمم وقد يستطيع أحد البلدان أن ينتج سلعة ما بثمن أرخص، ولكن تكاليف الشحن يمكنها بسهولة أن تلغي هذا التفوق ، وبذلك لا يكون هناك ثمة مجال للتجارة،غير أنه مع افتراض وجود المؤسسات التجارية الضرورية، والدعم السياسي، ودرجة من النجاح في التغلب على مشكلة النقل([1]) ، فإن الأطراف المختلفة ستجد من المفيد أن تتخصص وفقا للميزة النسبية لكل منها ، مما يؤدي إلى تنمية التجارة ويؤدي ارتفاع المدخول في قطاع التصدير إلى زيادة الإنفاق الاستهلاكي وإلى مزيد من الاستثمار في المشروعات الإنتاجية وبهذه الطريقة تتوزع منافع التجارة الخارجية على بقية الاقتصاد ومن المعتاد أن يتولد النشاط الاقتصادي الإضافي من خلال توفير السلع والخدمات لقطاع التصدير.

ومن خلال تنمية صناعات التجهيز باستخدام الواردات والنتيجة هي تعبئة عوامل الإنتاج التي لم يكن يستفاد منها استفادة كاملة من قبل ، إما بسبب ضعف الطلب ، أو نقص الإمدادات الضرورية أو نقص رأس المال، أو التكنولوجيا غير الملائمة و في الممارسة فإن قوة الروابط بين قطاع التجارة الخارجية و الاقتصاد المحلي ليست متماثلة على الإطلاق في كل الحالات ، ومن مهام نظرية التجارة الدولية أن تقيس هذه الفروق وتفسرها عن طريق إجراء دراسة تفصيلية لهيكل قطاع التصدير ، ولحجم وتنظيم الدخل المستخلص من التجارة الخارجية وقدرة الاقتصاد المحلي على الاستجابة للمنبهات الخارجية ([2]) .

المبحث الثاني:أهم الطرق والمسالك التجارية:

عرفت التجارة في بلاد المغرب أربع طرق رئيسة للقوافل في اتجاه السودان الغربي ، أولها كان بمحاذاة ساحل المحيط الأطلنطي ينتهي في بلاد السنغال ، ثانيها يتجه من مدينة سجلماسة: مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء و لم

[1]) ـ دونالد ويدنر : تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة الدكتور راشد البراوي ،مكتبة الوعي العربي ،القاهرة 1962م ص ص 67 ،93.

[2])- أ-ج: هوبكنز : المرجع السابق ، ص 157.

يعرف في قبليها ولا غربيها عمران بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة قليلة الماء يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان ليس لهم مدن و لا عمارة يأوون إلى وادي درعه وبينه وبين سجلماسة خمسة أيام مسيرومدينة سجلماسة محدثة بنيت في سنة 140هـ (757او 758م) أسسها مدرار بن عبد الله ، وكان رجلا من أهل الحديث يقال انه لقي بافريقية عكرمة مولى ابن عباس وسمع منه وكان صاحب ماشية ، كثيرا ما ينتج بسجلماسة وكان الموضع سوقا يجتمع فيه بربر تلك النواحي فاجتمع إلى مدرار قوم من الصوفية فلما بلغوا أربعين رجلا ، قدموا على أنفسهم مدرار وشرعوا في بناء سجلماسة فبنوها ثم سورها أبو المنصور بن أبي القاسم ابن مدرار ولم يشركه في الإنفاق في بنائه احد ، انفق مدى ألف مد طعاما .

وذكر آخرون ان رجلا حدادا اسمه مدرار كان من ربضية قرطبة خرج من الاندلس عند وقعة الربض فنزل بقرب سجلماسة ، وموضع سجلماسة اذ ذاك سوق البربر في تلك النواحي فانشا بها مدرار خيمة وسكنها ، فبنى الناس حوله فكان ذلك اصل عمارتها وكان رجلا اسود واولاده قد هجروا بذلك .ولمدينة سجلماسة اثنى عشر بابا ولها بساتين وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه ، وتمده عيون كثيرة ولهم مزارع كثيرة يسقونها من النهر في جنوب المغرب الأقصى مارة بتغازه تنتهي في أودغشت عند الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، وطريق ثالث كانت تبدأ من مدينة تاهرت عاصمة الرستميين بالمغرب الأوسط ، مارة إما بمدينة تغازة ومدينة أودغشت وإما في مدينة تادمكة (المعروفة اليوم بالسوق) ومنها إلى مدينة كوكو ،ثم "جاو" "**Gao**"عند منحنى نهر النيجر وأما الطريق الرابعة ، فكانت تبدأ من افريقية (القيروان أو طرابلس الغرب) . وتمر بمدينة غدامس ومدينة تادمكة ، وتنتهي عند نهر النيجر أو في كانم مارة بفزان([1]) ، وهذا في عهد الرستميين ، دولة أقامها الخوارج في المغرب العربي في الفترة من(137هـ – 297 هـ ، 754 م – 909 م) عندما قدم عبدالرحمن بن رستم بن بهرام الفارسي إلى المغرب جنديا فاتحا مع جيوش المسلمين التي

1) - أمين ألطيبي: مجلة الثقافة العربية، العدد الرابع، السنة التاسعة جمادى الثانية رجب 1391هـ الموافق لـ أبريل ماي 1982 ص 59.

كانت ترسلها الخلافة العباسية في بغداد .وكان يدين بمذهب الخوارج ، وكان من الذين فر بهم القائد أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وولاه على القيروان .اهتمت الدولة العباسية بخطر تيار الخوارج بالمغرب ، فبعثت جيشا للقضاء عليه قبل استفحال أمره ، واضطر عبد الرحمن إلى أن يترك قاعدته في القيروان إلى موضع مدينة تاهرت الحالية ،ثم ما لبث أن أعلن قيام دولته في هذه المنطقة ، فتقاطر إليه الخوارج الاباضية من جميع أنحاء المغرب والمشرق ، وأعلنوا عدم تبعيتهم للعباسيين ،وانتقدوا الأسس التي قامت عليها الخلافة العباسية مما جعل الخلافة العباسية تدخل معهم في حروب قاسية .تمكنت من الصمود في وجه العباسيين وتغلبت على مشاكلها الداخلية في عهد مؤسسها عبد الرحمن وخليفته ابنه عبد الوهاب ثم خليفتهما الثاني ميمون بن عبد الوهاب ، انهارت الدولة لعدة أسباب منها انتشار الفساد واللهو ثم تصدعت باغتيال يقظان بن أبي يقظان آخر الحكام من الأسرة الرستمية ، واتت الدولة الفاطمية على أنقاضها.([1])

وفي عهد الفاطميين(*) :أسرة حكمت في التاريخ ما يقرب من ثلاثة قرون ، (298-567 هـــ - 911- 1171 م)، نشأت في شمال إفريقيا وامتد حكمها إلى مصر وبعض بلاد الشام وتنتسب إلى مؤسسها أبي عبيد الله الشيعي الخليفة الفاطمي المؤسس .امتد نفوذها حتى مصر ، وترك أمر المغرب إلى حكم قبيلة صنهاجة البربرية الذين عرفت دولتهم باسم دولة بني زيري نسبة إلى أول ملوكها بلكين بن زيري الصنهاجي ، كما بسط الفاطميون نفوذهم على غربي البحر الأبيض المتوسط ليتحدوا مع الأمويين في الأندلس ضد عدوهم المشترك من عباسيين وروم والأيوبيين، الدولة الايوبية الكردية أولها صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو ابن أخ نور الدين محمود بن زنكي الكردي صاحب أيوب وهو ابن أخ نور الدين محمود بن زنكي الكردي صاحب الموصل في أواخر القرن السادس الهجري ، ثم تولى الوزارة المصرية في مدة الخليفة الفاطمي العاضد سنة 555هـــ وهو آخر خلفاء الفاطميين ومات هذا الخليفة

[1]) ـ حماه الله ولد السالم : المجع السابق ، ص ص 111 ، 144.

* الفاطميون :حكموا من (298 - 567 هـ / 911 - 1171 م)، أولا بشمال افريقيا .

سنة 567هـ ولم يخلفه غيره فبقي صلاح الدين نائبا في حكم البلاد المصرية عن عمه نور الدين صاحب الموصل واستمر كذلك حتى مات نور الدين سنة 570هـ فأشهر الاستقلال وسار سيرة كبار الملوك وأبلى في الحروب الصليبية بلاء حسنا ، ثم تولى بعده (الملك العزيز) بن صلاح الدين سنة 589هـ ، ومات سنة 595هـ فخلفه ابنه (الملك المنصور) وكان ابن تسع سنين فقام بالوصاية عليه بهاء الدين قراقوش الاسدي وهو سوداني الأصل فاختلف عليه أمراء البلاد واستدعوا عمه (الملك الأفضل) فاستولى على البلاد ولم يبق للملك المنصور إلا الاسم . ثم بدأ للملك الأفضل أن يفتح دمشق من عمه الملك العادل فانهزم وتبعه العادل إلى مصر وعزله ، وقام بكفالة الملك المنصور ثم خلع الملك المنصور وحكم البلاد بدله فسلك في البلاد مسلك حكماء الملوك ومات سنة 615هـ ثم خلفه ابنه (الملك الكامل) أبو الفتح ومات سنة 635 هـ ثم خلفه ابنه (الملك سيف الدين أبو بكر) ولقب بالملك العادل الأصغر فحدثت بينه وبين أخيه (الملك الصالح نجم الدين) فتن كانت نتيجتها أن قتل للهوه وإسرافه على يد أمرائه سنة 637هـ ، ثم تولى بعده أخوه (الملك سيف الدين) ([1]).

عرفت مصر صلات تجارية وثيقة بالسودان الغربي ، وكانت القوافل تصل إلى القاهرة عن طريق فزان (ليبيا) و كانم وعبر صعيد مصر ، وعن طريق هذه المسالك ، إذ كان ذهب السودان الغربي يصل إلى المغرب ، ومنه إلى بقية أنحاء العالم الإسلامي وجنوب أوروبا و الذي كان مصدر رخاء وازدهار للسودان الغربي ، فضلا عن الدول الإسلامية التي تعاقبت على الحكم في حواضر المغرب ومدنه الرئيسة مثل مدينة سجلماسة و مدينة أغمات ومدينة مراكش بالمغرب الأقصى و مدينة تلمسان ومدينة تاهرت ومدينة ورجلان بالجزائر والقيروان والمهدية بتونس ، وكذلك في الأندلس وصقلية ومصر([2]).

والحق فقد كانت السلع الرئيسية التي تنقلها القوافل إلى السودان الغربي، تشمل: الحبوب

---

[1]) ـ محمد السيد غلاب : العرب والإسلام في إفريقيا ، إفريقيا والثقافة العربية الإسلامية ،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاسيسكو) ،الرباط ،1408 هـ/ 1987 م ، ص ص 48 ، 50

[2]) ـ احمد ابراهيم دياب : " طريق درب الأربعين " بين سلطنة دارفور الإسلامية ومصر العثمانية ودوره الحضاري (تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1404 هـ / 1984 م ، ص ص 107 ، 117

و التمور والأقمشة والمصنوعات المعدنية والجلدية وصنوفا من الزجاج والأصداف،والخواتم والقطران والأخشاب والعطور والملح ،الذي كان أهل السودان في أمس الحاجة إليها ، وكانت بمدينة سبته سوقا لتفصيل (المرجان) وحكه وصبغه وثقبه وتنظيمه ، وأكثر ما يحمل إلى غانة وجميع بلاد السودان لأنه في تلك البلاد يستعمل كثيرا.

وكان التجار المغاربة يستبدلون هذه السلع بمنتوجات السودان وهي : الذهب والعاج، إلا أن السلعة الرئيسية كانت تبر الذهب من مناجمه في ونقارة في أعالي حوض السنغال والنيجر (بامبوك أو بوري ؟) ([1]) .

وكانت التجارة بين المغرب والسودان الغربي قائمة على نطاق واسع حتى أن نظام الصكوك استحدث تيسيرا للعمليات التجارية ، يقول ابن حوقل : الذي زار أودغشت ما بين عام(340م-952م) "ولقد رأيت بأودغشت صكا في ذكر حق لبعضهم على رجال من تجار أودغشت ، وهو من سجلماسة ، باثنين وأربعين ألف دينار ، وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبيها ولا نظيرا ، ولقد حكيتها بالعراق وفارس وخراسان فاستطرفت " ويبدو أن استعمال الصكوك في المعاملات التجارية كان أمرا مألوفا في المشرق في القرن الحادي عشر الميلادي أي بعد أن عرفها المغرب ، إذ أن الرحالة الفارسي (ناصر خسرو) (*): (394-481 هـ ، 1003 – 1088 م) ،ولد في قباديان ببلاد فارس من أسرة متوسطة ، وشغل بعض المناصب الحكومية المهمة في الدولتين الغزنوية والسلجوقية ، وكان واسع الاطلاع قرأ كثيرا في الديانات حتى كاد أن يصل إلى درجة الإلحاد ولكنه عزم بعد ذلك على الحج من مرو، سنة 1045 م ، وقد أقام بمصر ثلاث سنوات من سنة 1047م حتى سنة 1050 م وحج أثناء هذه الفترة ثلاث مرات ثم اتجه بعد ذلك إلى أسوان عن طريق النيل ثم إلى ميناء عيذاب، وحج مرة رابعة ثم عاد إلى بلخ عن طريق الحجاز والافلاج ، وقد كتب ناصر خسرو وسجل حوادث رحلاته يوما بيوم في كتابه" 'سفرنامة'" الذي يعد وصفا تفصيليا لمشاهداته .

---

[1]) - أمين الطيبي : التجارة وطرق القوافل عبر الصحراء في العصر الوسيط ، مجلة الثقافة العربية ، العدد الرابع – السنة التاسعة – جمادى الثانية – رجب 1391 هـ الموافق ابريل 1982 م ، ص ص 59،60.

* ناصر خسروا : ولد في قباديان (394-481 هـ ، 1003 – 1088 م) .

ويصنفه بعض الباحثين ضمن كتب الزيارات ، يذكر في رحلته أنه استعمل صكا في مدينة عيذاب المصرية على ساحل البحر الأحمر في سنة 431هـ،/ 1050م ، أي ما بعد قرن من رواية ابن حوقل([1])، ومعرفة المغاربة الصكوك في معاملاتهم التجارية بالسودان الغربي وهذا دليل على تطور التجارة بين الإقليمين وازدهارها.

على الرغم من قدم التجارة في التاريخ الإنساني عامة ، وفي التاريخ العربي بخاصة ، إلا أن تجارة القوافل تعد نقله نوعية كبيرة في تاريخ التجارة العربية ،انعكس أثرها واضحا في التاريخ العربي والعالمي القديم ([2]) ، ومع بداية الفتوحات الإسلامية تمكن التجار العرب من التوغل في مدن بلاد المغرب المختلفة ، ومن ثم في المراكز التجارية السودانية ومن خلال هذا التقدم كانت الصحراء هي الطريق الرئيس لعملية التوغل العربي التجاري إلى الجنوب . ويبدو هذا التوغل هو الذي هيأ المجال للعرب لممارسة تجارة الصحراء ، والالتقاء والاختلاط مع بربر الصحراء والتأثير عليهم ، و في مجال التجارة حدث مع ا لسودانيين الزنوج([3]).

ومن الجدير بالذكر ، أن التجار العرب بعد تغلغلهم في الصحراء الغربية واختلاطهم ببربرها الصنهاجيين كان هدفهم الرئيس الوصول إلى المراكز التجارية السودانية ، وكان لهم ذلك بل أن بعضهم استقر في مدن السودان يمارس أعماله التجارية ، فأصبحت تلك المدن بدورها مراكز لقاء بين العرب و السودانيين ، ويظهر أثر ذلك واضحا في التأثير الإسلامي الحضاري في تلك المنطقة منذ القرن الخامس الهجري مراكز لقاء بين العرب و السودانيين ويظهر أثر ذلك واضحا في التأثير الإسلامي الحضاري في تلك المنطقة منذ القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي على اقل تقدير ([4]) .

إن أهم ما تميز به مغرب العصر الوسيط هما ظاهرتان بارزتان في كل منهما على

---

[1])- محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص 113.

[2]) - رضا جواد الهاشمي: تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومعهد البحوث والدراسات العربية بغداد، 1404هـ /1984م، ص7.

[3]) - رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق ص29.

[4]) – صباح إبراهيم الشيخلي : المرجع السابق ، ص 39.

طرفي نقيض من الأخرى ([1]):

أولا : عرف المغرب في العصر الوسيط على مستوى الدول والحكومات أخطر استقرار سياسي وانعدام وحدة جماعية استطاعت أن تحقق الانسجام والتكامل لشعوب المنطقة بكاملها : فمنذ ظهور الفاطميين في بلاد المغرب وهو يعاني حتى القرن الخامس عشر الميلادي، التاسع الهجري، عدم استقرار القبائل بسبب الهجرات في فترات تاريخية متتالية حتى صعب على المؤرخين أن يضبطوا توزيعا جغرافيا دقيقا للقبائل التي كانت تتحرك في جميع الاتجاهات ، بحثا عن الأمن والاستقرار وتوفير ظروف معيشة ملائمة([2]).

ثانيا : تمس هذه الظاهرة صميم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الوسيط وهي ظاهرة تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في اتجاه بلاد السودان الغربي، أو نحو جزر المتوسط عبر الموانئ والسواحل المغربية، وإذا جاز لنا استعمال مصطلح العصر الذهبي في تاريخ المغرب الوسيط فهذا المصطلح ينطبق على الجانبين :الاقتصادي والاجتماعي، اللذين عرفا ازدهارا وتطورا وحركة نشيطة تحققت بها الوحدة الاقتصادية والفكرية على مستوى شعوب وسكان الصحراء والسودان عامة ، لقد كان هناك تكامل بين عنصرين أساسيين للسكان وهما العامل " الاقتصادي والاجتماعي" اللذان تحققا بواسطة تجارة القوافل ([3]) ،لقد خضعت الصحراء وتضاريسها المتنوعة من الجبال والوديان والسهول إلى إرادة الجماعات البشرية التي عرفت كيف تطوع وتستغل هذه الفيافي حيث اعتنوا بالواحات وشقوا الطرقات وحفروا الآبار، ووضعوا العلامات والأبراج وأتقنوا معرفة الأحوال والظروف المناخية ، و مواقيت تقلبات الزوابع الرملية ، كما حافظوا على الرأس المال الأساسي في هذه الصحراء الكبرى وهو الجمل .قال تعالى: " **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت** "([4])، بحيث تفطنوا لكل الصعوبات والعراقيل سواء كانت كبيرة أو صغيرة

---

[1]) - إبراهيم فخار : تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، العراق 1404هـ/1984م ص 47.

[2]) - محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص ص 104 ، 122.

[3]) - إبراهيم فخار : مرجع السابق ، ص48.

[4]) - سورة الغاشية: الآية 17.

وتغلبوا عليها ، بما بذلوه من جهد في تجاوزها حتى أننا وبفضلهم نلمس أن الواقع الجغرافي للمغرب وسير الأحداث التجارية حوله يقدمان دلائل وشواهد قوية على أن التجارة عبر الصحراء وواحاتها وقصورها، كان لها الدور الهام في دعم العلاقات وربط الصلات بين سكان الجبال والواحات وسكان المدن الكبرى في سواحل المتوسط وفي دواخل بلاد السودان([1]) ،إن الذي تحقق عند طريق القوافل التجارية عبر الصحراء من وحدة ف التفكير وانسجام في العمل صعبت السياسة عن تحقيقه بكل ما تيسر لها من معاهدات واتفاقيات ووسائل القمع المختلفة ، لهذا وجب علينا ونحن نؤمن بتقارب شعوب القارة السمراء أن نضع في اعتبارنا عنصرين:

1-العامل الاقتصادي والعنصر البشري اللذ ين اثبت التاريخ عبر مختلف مراحله جدواهما في تحقيق التقارب.

2- مدى تحكم تاريخ التجارة عبر الصحراء في دعم الروابط التاريخية المعاصرة، والعلاقة التي يمكن إقامتها بين الشعوب على ضوء نتائج ما تقدمه الدراسات في هذا المجال العلمي الهام ([2]).

تماشيا والمراحل التاريخية تعتبر العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسودان الغربي أقوى الروابط في تاريخ الاتصال بين هذين الإقليمين، وت عد المسالك التجارية أهم وسيلة لهذا الاتصال، وقد نتطرق في هذا البحث إلى عنصر الحياة التجارية وهي عديدة كانت تربط بين شمال إفريقيا وغربها عموما والطرق المشهورة هي ([3]):

الطريق الأول : كان يبدأ من سجلماسة إلى والاتا -تنبكت -جني -غاو .

الطريق الثاني : كان يبدأ من تلمسان إلى توات -تنبكت.

الطريق الثالث:كان يبدأ من تقرت و ورجلان إلى جاو،يتصل هذا الطريق بالموانئ الجزائرية

---

[1]) - الرشيد إدريس :علاقات المغرب العربي بإفريقيا، مجل ة دراسات دولية، العدد. 73، ابريل 1999 م، تونس، ص ص 5، 12.

[2]) – إبراهيم فخار : نفس المرجع السابق : ص49.

[3]) - الشيخ الأمين عوض الله: " تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، العراق، 1404هـ/1984م، ص74.

في الشمال.

الطريق الرابع:كان يبدأ من واحة الجريد في جنوب تونس مرورا ورجلان "فواد سوف" حتى غدامس بليبيا.

الطريق الخامس: يبدأ من طرابلس الغرب الواقعة على الساحل الليبي ، إلى غدامس ، ويمر فرع منه بفزان وينتهي إلى بورنو وجاو بمالي .

الطريق السادس : يبدأ من مصر إلى واحة سيوه –زاويلة –تادمكة –جاو –تنبكت ([1]).

وقد اختلف المؤرخون والباحثون في تحديد بداية هذه الطرق ونهاياتها، كما ركز بعضهم على أهمية بعضها دون غيرها، ونعرض بعض آراء المؤرخين حول هذه الطرق قصد دراستها واستخلاص ما أمكن من أرائهم لان هذه الطرق كانت وسيلة الاتصال الاقتصادي والثقافي، والسياسي ، في آن واحد .

وفي هذا السياق يشير البكري واصفا الماء : إن الماء متوفر في الصحراء ويوجد على مسيرة يومين أو ثلاثة من وادي درعه إلى وادي تارجا ومن جبل ادراده مجابة ماؤها على ثمانية أيام ، وهي المجابة الكبرى ([2]) .

وهكذا يتضح من نص البكري وفرة المياه في الصحراء الكبرى ، و من هنا نرى أن السفر عبر الصحراء الكبرى للتجار لم يكن أمرا شاقا وصعبا ، ولم تكن الصحراء الكبرى فيافي بلا ماء وعشب كما يقدره البعض ، ولكن قد تتوفر فيها المياه الضرورية لقوافل التجارة حتى وان كانت شحيحة وتحتاج إلى زاد من قبل التجار وعابري الصحراء وقد توفرت فيها المياه السطحية أحيانا مما ساعد التجار على مواصلة نشاطهم دون خوف أو خطر على رحيلتهم وأنفسهم خاصة وأن الوسيلة هي سفينة الصحراء التي تتحمل العطش لمدة كبيرة ، ولمسافة طويلة ، ولم تتعد أعماقها في أحيان كثيرة عدة أمتار ، كما أن بها عيونا ومياه جارية والبعد بين البئر والآخر لا يتعدى اليومين أو الثلاثة ، وثمانية أيام على الأكثر ([3]) .

---

[1]) ـ عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ص 27، 31.

[2]) – أبو عبيد البكري : المرجع السابق ، ص 174.

[3]) ـ الشيخ الأمين عوض الله: المرجع السابق ص 75.

ويؤكد بن خلدون في تاريخه : وجود آبار ارتوازية بالصحراء لقوله :((وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق الغربية في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى ، وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ، ثم تصعد الفعلة ، ويقذفون عليها زيرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعدا فيفعم البئر ، ثم يجري على وجه الأرض واديا ، ويزعمون أن الماء ربما اعجل سرعة من كل شيء))([1]) ، من خلال نص ابن خلدون أن الصحراء بلاد ماء ، خاصة المياه الجوفية ، وهذا يذلل صعوبات التجار والمسافرين ، خاصة أن الصحراء بلاد عطش.

ويتحدث ابن بطوطة عند مشكلة المياه فيقول أقاموا في تغا زة عشرة أيام في جهد لأن ماءها زعاف ،وهي أكثر المواضع ذبابا،ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها،وهي مسيرة عشرة أيام لا ماء فيها إلا في النادر ،ويقول إنهم وجدوا ماء كثيرا في غدران أبقاها المطر فشربوا منها وغسلوا ثيابهم([2]).

ويقدر ابن خلدون ((... انه في بداية القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري أصبح الطريق القديم الذي يمتد من ناحية السوس إلى والاتن "والاتا" ، قد أهمل نتيجة لاعتداءات الأعراب من البادية السوسية على سابلتها ، فتركوا تلك الطريق ، ونهجوا الطريق إلى السودان من أعلى تمنطيط (توات) ...)) ([3])، يشير ابن خلدون إلى المسالك التي كان يسلكها التجار في تلك الفترة، وهذا يدل على الاهتمام بالتجارة في ذلك الوقت ومدى تطورها خلال الفترة الزمنية الخامس عشر الميلادي.

وهكذا فانه بسقوط غانا على يد أمراء المرابطين انتهت أهميتها كمركز تجاري،وفي عام 1224م تحول التجار المسلمون بعيدا جهة الشمال الغربي إلى "والاتا "،وفي عام 1240م تحطمت غانا نهائيا ، وتغير الميزان الاقتصادي ومال جهة الشرق إلى منحنى النيجر الأوسط

---

[1])-عبد الرحمن ابن خلدون : العبر وديوا ن المبتدأ والخبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ،1979 ، ص119.

[2]) - ابن بطوطة الطنجي :(رحلة ابن بطوطة)المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج1، المطبعة الخيرية ، مصر ، 1322 هـ / 1904 م ، ص192.

[3]) – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 118

وأصبحت مدينة جنى ، ومدينة تومبوكتو ، ومدينة جاو، مراكز تجارة للإستيراد والتصدير، وخلف بفتح اللام ملوك مالي ملوك غانة في الإستفادة من ذلك التحول ([1]) .

وعن الطرق التجارية يقول " بارث" ((...كانت للتجارة الخارجية خاصة، ثلاثة طرق عظيمة: أولها : الطريق المحاذي للنهر من الجنوب الغربي والذي تحمل فيه التجارة المجلوبة من عدة مناطق ، وطريقان آخران من الشمال ، أحدهما من المغرب والآخر من غدامس)). ويدل ذلك على قوة التجارة بين بلاد المغرب العربي، وبلاد السودان الغربي، وتطور أساليبها. نظرا لأهمية هذه الطرق يرى المؤرخ الفرنسي بوفيل:((أن أهم هذه الطرق هو الطريق الممتد من تغازة إلى تنكبت ، وهو الطريق الذي اشتهر بتجارة الذهب ، واستمر في دوره في مجال الثقافة حتى القرن التاسع عشر ، وكان خراب سجلماسة في السنين الأخيرة القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، قد حرم هذا الطريق من ثغوره التاريخية في إفريقيا الشمالية ، بعد أن حلت مكانها حسبما يبدو مدينة أبوام المجاورة لها ، ولكن أغلب التجار تركوا تافيلالت واتجه بعضهم إلى عين صالح عاصمة توات ، وقد سافر التجار من وادي ابوام عبر عكا التي ورثت أعمال سجلماسة ، على طول الطريق القديم عبر تغا زة وتاوديني إلى تنبكت ، فبدلا من الاتجاه غربا إلى تاوديني ثم والاتا ، تتبع طريق الخط المباشر عبر ودان)) ([2]) ، واكتسبت طرق الشرق أهميتها بقيام سلطنتي كانم وبرنو ، كما أن انهيار سلطنة سنغي وقيام ممالك الهوسا قد نشط الطريق الشرقي وجعله أكثر أهمية من الطرق الغربية التي ضعفت أهميتها الاقتصادية والحضارية عموما .

وأصبحت مدينة كانو هي المركز الرئيس، الذي تنتهي عنده الطرق التجارية بدلا من مدينة تنبكت : تأسست تنبكتو في بداية القرن الحادي عشر الميلادي ، تقع بالقرب من الطرف الجنوبي للصحراء الكبرى على بعد ثلاثة عشرة كيلومتر تقريبا من نهر النيجر، اشتهرت تمبكتو بأنها ملتقى الإبل والكنو (زورق طويل خفيف) ففيها كان يتم تبادل البضائع القادمة من شمالي إفريقيا بمنتجات غابات ومراعي غربي إفريقيا كانت قوافل الإبل القادمة من

[1]) – الشيخ الأمين عوض الله: المرجع السابق، ص 77.
[2]) – الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ص ،78. 79

شمالي إفريقيا تحمل الملح والقماش ، والصوف ، والنحاس الأصفر الذي كان يستخدم كنقود ، والتمور والتين ، والصناعات المعدنية إلى تمبكتو وتعامل تجار تمبكتو في العاج وجوز الكولا والرقيق – وجميعها من الجنوب .

كانت تمبكتو خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين حاضرة من حواضر الثقافة الإسلامية ، وخرج منها كثير من العلماء والمؤرخين ، مثل أبي العباس التنبكتي ، ومحمود كعت التنبكتي ، تعرضت تمبكتو للهجوم بسبب موقعها ، وتغيرت القوى المسيطرة عليها مرات عديدة ، فقد سيطرت عليها إمبراطورية مالي ، وإمبراطورية صنغي، والمغرب ، وإمبراطورية توكلور ،ومنذ القرن السابع عشر الميلادي قلت أهميتها واضمحلت سكانيا ، وانهار كثير من مبانيها وبعد ذلك تعرضت للاحتلال الفرنسي من عام 1893 م حتى عام 1960م ([1]). وبعد الاحتلال الأوربي لسواحل إفريقيا الغربية ، تحول جانب كبير من التجارة ناحية الجنوب نحو الساحل،وأصبح القرنان السابع عشر والثامن عشر يمثلان فترة تدهور اقتصادي بالنسبة للمناطق التي كانت تتحكم في التجارة المسيطرة في وسط النيجر([2])، وأدى سقوط مملكة سنغي على يد السعديين إلى انهيار تجارة الصحراء بين المغرب والسودان الغربي وساعد في تنشيط تجارة الساحل مع الأوربيين كبديل للطرق الصحراوية مع المغرب ، علاوة على أن العلك من بين المواد الغالية الثمن ، التي تحملها القوافل التجارية إلى أقدز([3]).

فقد شهدت الصحراء الكبرى الإفريقية خلال العصر الوسيط ، مدا إسلاميا مكنها ، عن طريق بلدان المغرب العربي في الشمال أدى إلى ظهور بناء مدن وعمران وحضارة كان من أبرزها مدينة تنكبت، و مدينة قاو، (جاو) ، و مدينة جني ، تطورت إلي ممالك وإمارات وإمبراطوريات، بين القرن العاشر، والقرن التاسع عشر الميلاديين،اختلفت أعمارها

---

[1]) ـ محمد قرقزان : احمد بابا : علم النهضة الثقافية في غرب إفريقيا (احمد بابا التمبكتي ، بحوث الندوة التي عقدتها ـ ايسيسكو ـ بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته ، مراكش 22- 25 صفر الخير 1412 هـ/ 2- 5 سبتمبر 1991 م) ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ ايسيسكو- 1414 هـ / 1993 م ، ص ص 129 ، 132،

[2]) ـ الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ص ،94 ، 97 .

[3]) ـ عثمان سيد أحمد : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية بغرب إفريقيا ، مجلة دراسات افريقية العدد الأول ، السودان ، رجب 1405 هـ / ابريل 1985 م، ص ص 27 ،37 .

ومكانتها في غرب إفريقيا وشرقها ([1]) .

ففي غرب إفريقيا برزت مملكة غانة (300هـ – 1076 م) ، مملكة الصوصو غرب مالي ما بين القرن الثاني عشر الميلادي ، ومنتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، مملكة مالي (1225م–1670م) مملكة الصنغاي (1326م–1594م) ، مملكة الحوصا (الهوسا) شمال نيجيريا التي استمرت حتى القرن التاسع عشر الميلادي ، مملكة اليوروبا شمال نيجيريا وبقيت حتى سيطر عليها البريطانيون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ومملكة البورنو شرق نيجيريا التي عمرت من القرن الخامس عشر الميلادي، حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومملكة كانم شمال شرق بحيرة تشاد بوسط الصحراء ، وإمارة موسى وداجونبة بين نهر الفولتا ومنحنى نهر النيجر أ و مملكة البمبارا في سيجو ،و كادتا غرب مملكة الحوصا(الهوسا) : أقدم سكان غرب إفريقيا، ويبلغ تعدادهم حوالي سبعة ملايين نسمة ، ويشكلون تجمعا ثقافيا وسياسيا مهما في شمالي نيجيريا وجنوبي النيجر، ومعظمهم يدينون بالإسلام، وأن أول مستوطنات لهم تم بناؤها خلال القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الميلاديين ، وبحلول القرن الرابع عشر الميلادي ، تمت إقامة العديد من مدن الهوسا بما فيها مدن كانو وكاتسينا وسكوتو وزاريا ،أصبحت فيما بعد مدن تجارية مهمة . التي قضى عليها الفرنسيون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وفي شرق إفريقيا قامت مملكة النوبة "بد نقله "جنوب مصر ، ومملكة الفونج([*]) : دولة إسلامية حكمت السودان في الفترة الواقعة بين أعوام (910ـ 1237 هـ / 1504ـ1821 م)، وتسمى أيضا السلطنة الزرقاء ظهرت تلك المملكة نتيجة التحالف القوى الذي حدث بين الفونج والعبدلاب يعود أصل الفونج في بعض الروايات الى انهم من بقايا الامويين الذين فروا عقب سقوط دولتهم وقيام دولة بني العباس ، أما العبدلاب فهم سلالة "الشيخ عبد الله جماع" الرجل القوي الذي وحد القبائل العربية في السودان في ذلك الوقت ، وزعيم قبيلة القواسمة العربية ، وهو والد الشيخ "عجيب المانجلك" " أقوى شيوخ العبدلاب ،بدأت موجات الهجرة العربية الى السودان في القرن الثالث الهجري

[1]) - يحي بوعزيز : المرجع السابق ، ص 145.

[*] مملكة الفونج :دولة إسلامية حكمت السودان في الفترة الواقعة بين أعوام (910- 1237 هـ / 1504-1821م).

(التاسع الميلادي) وبلغت ذروتها في القرن الرابع عشر الميلادي ،وتدفقت من منافذ كثيرة حتى وصلت منطقة كانم ــ برنو في "سيار" بالسودان (1505م–1820م) ومملكة دارفور(1637م–1875م) ومملكة تغلى ، وجاب الرحالة ، والجوالون المسلمون الصحراء الكبرى خلال العصر وسجلوا ذلك في كتبهم ، ورحلاتهم ومنهم الجغرافي ابن حوقل في القرن العاشر ، والبكري قي القرن الحادي عشر، والإدريسي خلال القرن الثالث عشر ، وابن بطوطة أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، ومطلع القرن الرابع عشر الميلادي ، والعمري في القرن الرابع عشر الميلادي وابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي ، والحسن الوزان في القرن الخامس عشر الميلادي ، والمغيلي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ومطلع القرن السادس عشر الميلادي ، والعباسي والورتلاني وغيرهم ([1]).

وقد استهوى النشاط التجاري الواسع بالصحراء الأوربيين أواخر القرن الثامن عشر ، ومطلع القرن التاسع عشر ، فعزموا على غزوها واستعمارها ، وكان للفرنسيين دور بارز في هذا الميدان ، بعد أن احتلوا الجزائر في الشمال وبعض المناطق في غرب إفريقيا السنغال وكان من اهتماماتهم الرئيسة التغلب على مشكلة المواصلات الصحراوية ، خلال غزوهم وتوسعهم إلى جنوب الجزائر والصحراء من أجل تحقيق أهدافهم الاستعمارية التوسعية جنوب الصحراء للدول المجاورة لمستعمراتهم الجزائر وتكوين إمبراطورية المسطر لها والمتمثلة في: ([2]).

أولا : تسهيل عمليات نقل قواتهم العسكرية الغازية ،وتسهيل استقرارها في المراكز الإستراتيجية.

ثانيا: فتح أسواق القارة للتجارة والبضائع الفرنسية حيث عملوا على رسم طرق القوافل الصحراوية القديمة وتحديدها بواسطة الحملات العسكرية والبعثات الاستكشافية المكثفة طوال القرن التاسع عشر، ودرسوا كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين ، ومن ضمن من اهتم بدراسة

---

[1]) ـ ظاهر جاسم محمد : إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال دراسة تاريخية ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة .مصر .2003 م ،ص ص ، 70،84.

[2]) ـ يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب ، الجزء الثاني ،دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط1 ، السودان ، 1989 م ، ص ص 158، 165.

هذه الطرق من الأوربيين : كوداري ، والراهب بارجيس ، وكارين ، وادوارد بلان ، بوزودي بورقو ، وستوكلي ، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ([1]).

اشتهرت الصحراء جنوبا بعدة طرق للقوافل ،والتي كانت تبدأ من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة إلى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل الى المراكز الرئيسة المتواجدة في غرب افريقية([2]) : مثل مركز غانا القديمة وقد وصف المؤرخ " فاج " **Fage**"([3]) ، تلك الصلة التجارية التي كانت قائمة بين المغرب وغربي إفريقيا خلال القرن الثامن عشر ، حيث ذكر عدة طرق تجارية كانت وسيلة انتقال فيها بين المراكز المتواجدة آنذاك ويلاحظ الباحث من خلال دراسته هذه أن المؤرخ" بوفيل" " **BOVIL**" لقد حدد أربعة طرق رئيسة في تلك الفترة ،كانت تربط بين الشمال والجنوب وهي : ([4])

1- الطريق الممتد من سجلماسة إلى ولاته ثم تتجه إلى بلاد السنغال وأعالي نهر النيجر حيث معدن الذهب .

2-الطريق الممتد من غدامس حتى بلاد الهوسا الغنيةعن طريق غات(**GATT**) وأهير (**AHIR**).

3-الطريق الممتد من طرابلس الغرب (ليبيا) إلى البورتو ونهر تشاد مارة بفزان و كوار.

4-الطريق الممتد من" قورنيه" " **GYENAICAR**" إلى واداي عن طريق كفرة .

هذه الطرق الأربع التي حددها المؤرخ الفرنسي" بوفيل"" **Bovil**" والتي أشرت إليها بشيء من التركيز حتى أصل إلى أهم الطرق والمسالك وأتناولها بشيء من التوضيح والتوسع حسب المادة الخبرية المتوفرة لدي من خلال المصادر والمراجع التي تمكنت من الوصول إليها ، وهي في الحقيقة مادة شحيحة تحتاج إلى الغزارة أكثر حتى تغطي هذا الموضوع المدروس في هذا البحث وهي على النحو الأتي :

---

[1]) - يحي بوعزيز : المصدر السابق ، ص ص 126،128 .

[2]) - السر سيد أحمد العراقي : تجارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1404هـ /1984م ، ص 15.

[3])-Fage .J.An Atlas of African History, Cambridge1958.p17

[4])-Bovil .E.W.the Golden trade of the moors .London 1958.p.52-

أولا : طريق مراكش إلى تومبوكتو ويمر على تا رودانت وتاوريرت وتندوف ، ويخترق رمال ايجيدي وعرق شاش ، ويتجه إلى تاوديني ، كما يخترق صحراء الجوف شرقا ويمر بلونان ، وأوران ليتجه إلى تومبوكتو ، وقد سلكه الدكتور اوسكار لينز عام 1880 م ، ولهذا الطريق فرع من تندوف يتجه إلى الجرف الأصفر واو قلت العزل ، وقروية وزمور والقلتة وسماميت ، وحاسي بوتلان ، ومن هناك يتجه فرع منه إلى تومبوكتو، وفرع إلى قصر"البرشاف "، وأطار "**ATTAR**" ، واوجيفت ، وتيوروت على شاطئ المحيط الأطلسي بموريتانيا ([1]).

ثـــانيا :طريق فاس ومكناس إلى تومبوكتو وعبر قصبة المخزن ، وأم دريبينة ، ويتبع حوض وادي غير إلى ايجلي ، ثم حوض أم الساورة إلى توات ، وكابلي ، وبير تير بشومين ورالسن وعين رنان ومبروك وتومبوكتو . وهناك طريق آخر يخرج من مراكش ، ليتصل به ذا الطريق في توات ، ويمر على مسينة والمسينز ، والمعسف وت منطيط ، إلى أكابلي ، وبئر تيرشومين ، وسلكه روني كاييي (1827–1828م) ([2]).

ثـــالـــثـــا :طريق وهران وأرزيو إلى تومبكتو ، ويمر على الخيثر ومشرية ، وعين الصفراء و فقيق ، ويتبع مجرى واد زوزفانة إلى ايجلي حيث يلتقي بطريق فاس إلى تومبكتو ولهذا الطريق فرع آخر إلى شرق الأول ، مستقيم ، يبدأ من الخيثر ، إلى البيض ، والأبيض سيدي الشيخ ، والمنقب ، وتوات ،حيث يلتقي بطرق : وهران ، وفاس ، ومكناس إلى تومبكتو وقد سلكه الضابط كولونيو عام 1860م .لأنه أكثر أمانا ([3]).

رابـــعـــا :الطريق الممتد من مدينة الجزائر إلى توم بكتو، الذي يمر على البليدة ، وبوغار والأغواط ، وغرداية والقليعة ، وعين صالح ، وأكابلي ، وبئر تيرشومين ، حيث يلتقي بطريق توات المؤدي إلى تومبكتو ، وقد سلكه الضابط الفرنسي بالا :" **palla**"، ولهذا الطريق فرع

---

[1]) - يحيى بوعزيز : المرجع السابق ، ص 129.

[2]) - سعيد حراش : دور المدن الجنوبية في الربط الطرقي بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء كرونولوجيا ، مجلة المناهل،العدد58،السنة الثالثة والعشرون،المغرب، ذو القعدة 1418 هـ / مارس 1998 م، ص ص 169 ،191.

[3])-Devisse (gean)"Route de commerce et echange en afrique occidentale en relation méditerranée ", Revue d'hist.econ.et soc.L,1-3.1972.p.p.20.84.

آخر من عين صالح إلى بئر عسيو ، وتنتيلوست ، حيث يتفرع إلى فرعين هو كذلك ، فرع يتجه إلى أقادم وماو ،الواقعة شرق بحيرة تشاد ،يتجه إلى أقادم و جنوبها حيث مدينة كوكه. وفرع إلى الجنوب الغربي يتجه نحو أقاديس حيث يتفرع هو الآخر إلى فرعين : فرع إلى سوكوتو ، وفرع إلى كاتسنا.

خـــامـــسا : الطريق الذي يتجه من سكيكدة ،مرورا بقسنطينة ، والذي يتجه إلى باتنة وبسكرة وتقرت ، وورقلة ، والبيوض ،والذي يتجه إلى أمقيد ، ويتمساو وايفراون إلى مبروك وتومبوكتو ، أو إلى شط بوروم (برنوح) ، ولهذا الطريق فرع يبدأ من جنوب بسكرة ، ويتجه إلى وادي سوف ، ومن هناك إلى غدامس ، وغات ، وجبادو ، وبلمه ، واقاديم ، وماو وفرع آخر من البيوض إلى عين صالح وفرع ثالث إلى غات ([1]).

وكان لهذا الطريق فوائد كثيرة ، من بينها الأمن ، ووجود المياه ووفرتها .

ســـادســـا : الطريق الذي يتجه من طرابلس إلى توم بكتو:ويمرعلى سناون ، وغدامس ، وتيماسين ، والبيوض،حيث يتصل بطرق قسنطينة إلى توم بكتو،ولهذا الطريق فرع من غدامس إلى غات، وبيرعسيو، وأغاديس ثم إلى سكوتو،وكاتسنة غربا والى أقاديم ، وماو شرقا ([2]).

ســـــابـــــعـــــا : الطريق الذي يتجه من طرابلس إلى مرزوق : عبر سبها ثم إلى بئر بكر وتيجري وتومود (واحات كاوار) حيث يتفرع إلى فرعين : فرع إلى بلمة ، واقاديم ، وماو وكوكة بالتشاد وفرع اخر يتجه إلى ابشر شرقا بوداي ، وهذا الطريق سلكه فوجيل عام 1854م وبارث خلال عودته عام 1855 م ، وبورمان عام 1862م ، وروهلف عام 1866 م وناشتقال عام 1870 م ،ولهذا الطريق فرع من مسيدة وسلكه كل من بارث عام 1850 م ، وباري عام 1876 م وفرع من سكنة ، وسلكه كل من فوجيل عام 1854 م ودوفيري عام 1864 م ، ونشتقال عام 1870 م ولهذا الطريق فرع يمتد من مسيدة الى مرزوق وسلكه كل من بارث عام 1850 م، وباري عام 1876 م ، وفرع يمتد من سكنة الى مرزوق، وسلكه كل

[1]) - يحيى بوعزيز : المرجع السابق ، ص 128.
[2]) ـ الشيخ الامين عوض الله : نفس المرجع السابق ، ص ص ،74،75.

من فوجيل عام 1854 م ودوفيري 1864 م،وناشتقال عام 1869 م،وروهلف عام 1879م([1]).

ثـــامـــنـــا :الطريق الذي يتجه من طرابلس إلى واحة جغبوب بليبيا وسيوة ،والفرافرة والأقصر بصحراء مصر ، ويتصل هذا الطريق بعدة طرق أخرى آتية من مراكز العمران الشمالية الساحلية مثل سرت ، وبنغازي ، ودرنة والقصر الجديد .

تـــاســـعـــا : الطريق الذي يتجه من بنغازي إلى وداي : ويمر هذا الطريق على أوجيلة ، وجالو ، وسرهن ، وكيانو ، وتاهينة ، حيث تفرع إلى فرعين : فرع يتجه إلى ماو ، وفرع ثاني يتجه إلى أبشر وهو الذي سلكه روهلف عام 1864 م ([2]).

عـــاشـــــرا :الطريق الممتدة من أسيوط ، وأسنة ، وأسوان ، إلى دارفور بالسودان : ويمر على سليمة والفاشر ، وعندما يصل إلى الفوجة بالسودان يتفرع إلى فرعين : فرع يتجه إلى دنقلة القديمة عبر مجرى وادي مالية ، وفرع أخر يتجه إلى سنار ، أو الخرطوم ، ويمتد فرع الخرطوم إلى بربر وسواكن على سواحل البحر الأحمر شرقا ، وقد سلك هذا الطريق كل من براون ، وكوني عام 1858 م ، ونشتقال عام 1874 م ، وأنسور **الأمريكي** عامي : (1875،1876م) وموسون عامي : (1876، 1877 م) ومساري عام 1880 م، ووجود أسواق تستريح فيها، وتبيع منتجاتها، فما هي هذه السوق وما هو دورها ؟([3]).

أهم الأسواق التي كانت تقصدها القوافل التجارية عبر هذه الطرق الصحراوية يتضح لكل باحث في دور هذه الطرق التي كانت تسلكها القوافل تتجمع في ثلاث أسواق هامة هي:

أولا :أسواق السودان الغربي وأهمها: سوق تومبكتو ،الذي كانت له أهمية خاصة ، واستقطب

---

[1]) ـ أحمد إبراهيم دياب : طريق درب الأربعين بين سلطنة دارفور الإسلامية ومصر العثمانية ودوره الحضاري ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1404هـ/ 1984م ص ص111،114 .

[2]) – يحيى بوعزيز : المرجع السابق ، ص 129. 131.

[3]) ـ عبد العزيز الحلوي : الأحوال الاجتماعية لسكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي من خلال بعض كتب الرحلات أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب كلية الدعوة الإسلامية طرابلس – الجماهيرية ،أيام 15-17 محرم 1428 هـ / 12-14 ماي 1998 م مراجعة وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية العظمى طرابلس ،ط 1 1429 هـ / 1999 م .ص ص 577. 585.

القوافل التجارية حقبة طويلة من الزمن في العصر الوسيط ، ومطلع العصر الحديث ، و من أسواقه قورارة ، و سوق توات ، و سوق عين صالح بإقليم تيدكلت ، وبين سوق تومبكتو ، وأسواق قورارة ، وتوات ، على طول الطريق توجد أسواق : أروان ، و سوق مبروك وسوق الفرنان وتيميساو ، وسوق أونان وتاوديني ، وسوق والن ، وبير تيرشومين ، وأكابلي([1]).

ثـــــانيا :أسواق تشاد والسودان الأوسط : زمن ضمنها :سوتوتو ، وفاندو ، وكاتسنة ، وتاقليلي ، واقاديس ، وكوكه فبورنو ، وابشر في واداي ، وماو ، واقاديم ، وبلمة ، وتتيلوست ، وبير عسيو ، وحيادو وين ، وتومو ، وقد كانت توجد الى الشمال من هذه الأسواق أسواق فزان ، وأسواق واحات الكفرة بليبيا.

ثـــالـــثا : أسواق السودان الشرقي وم نها : أسواق دارفور ، وكورد وفان ، كالفاشر ، والفوجة والأبيض ، وسنار ، والخرطوم ، ودنقلة ، وبربر ، وسواكن ، وسليمه ، ووادي حلفا .ويتمثل دورها في : 1- وفرة المياه عبر الطريق 2- الطرق أكثر أمانا وسلامتها من قطاع الطرق3ـــ ضمان بيع السلع ـــ 4- وجود أدلاء للطرق وحراستها.

ب: بدأ قيام المراكز التجارية على أطراف الصحراء ، في أماكن الاستقرار الاجتماعي ، حول الواحات والوديان ، و تم التبادل التجاري بصورة نشطة في أول الأمر بين السكان المستقرين على أطراف الصحراء ، و البدو المتجولين لسد متطلباتهم ، نظرا للتباين الواضح بين إنتاج المنطقة الصحراوية والأقاليم المحيطة بها ، فاتسع نطاق هذا التبادل،عند ما تم عبور الصحراء، بصورة منتظمة ، منذ العصر الفينيقي([2]).

ودخلت سلع منطقتي حوض البحر المتوسط ، والسفانا ، جنوبي الصحراء في الميدان التجاري فازدادت الحركة التجارية في المحطات الواقعة على حوافي الصحراء الشمالية والجنوبية وتغيرت طبيعة الحياة فيها ، وقد شجعت هذه المراكز بعض الجماعات السكانية

---

[1]) ـ محمد أعفيف:المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية ،(العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية) منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، ص ص 49،59.

[2])– الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، ربيع الثاني 1420هـ /أوت 1989 م ، ص 294.

من المناطق المجاورة على الاستقرار فيها لتوفر فرص الكسب،وممارسة الحياة الجديدة المتمثلة في الحرف اليدوية البسيطة ، التي يتطلبها استقبال القوافل التجارية ، والعمل على راحة المسافرين، واشتغلت أعداد معتبرة من سكان هذه المراكز بالتجارة الداخلية والخارجية فكان التجار في الداخل، يقومون بمهمة جمع السلع من مختلف مناطق السودان الغربي، في المراكز الجنوبية حيث تصلها القوافل.

يلاحظ الباحث أن هذه المراكز قد استقر فيها التجار الوافدون من مصر ، والمغرب الأقصى وليبيا ، للقيام بمهمة التجارة بالأسواق المحلية ، والاتصال بشركائهم أو موكليهم والحق لقد استوعبت هذه المراكز الأيدي العاملة الوافدة من القبائل المجاورة لها ، وازدادت الهجرات إليها بنمو وتطور حركة القوافل ، حتى صار السكان خليطا من مختلف العناصر ، فتحولت الحياة البسيطة إلى حياة حضرية ،معتمدة أساسا على التجارة واستقبال القوافل ومساهمة بذلك في نمو بعض المراكز التجارية وتوسيع نطاقها ، فكونت الممالك المستقلة كما حدث في سجلماسة وأودغشت ([1]).

ولقد تنافست الدول التي تأسست على جانبي الصحراء ، من أجل السيطرة على هذه المراكز وإخضاع أو مصادقة بربر الصحراء الذين يمثلون الدعامة الكبرى لتحرك القوافل وحفظ الأمن داخلها كما عرفت المراكز التجارية ارتباطا وثيقا بالأمصار الكبرى ، شمال الصحراء وجنوبها مثل الجزائر وموريتانيا ، واتصلت بطرق التجارة العالمية البرية والبحرية مثل ايطاليا وفرنسا واسبانيا ، فكانت صلات هذه المراكز التجارية بموانئ و سواحل البحر الأبيض المتوسط ، والمحيط الأطلسي ، والبحر الأحمر، والمحيط الهندي([2]).

وفيما يلي نشير وبشيء من التركيز، وحسب ما توفر لنا من مادة خبرية، لأهم المراكز التي قامت على جانبي الصحراء الشمالي والجنوبي ومنها:

1-زويـــلـــة :تشتمل منطقة فزان ومجموعة من الواحات ، ذات الاتصال السهل شمالا

[1]) ـ نقولا زيادة : إفريقيات (دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي) ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط 1 ، لندن يناير 1991 م ، ص ص 362،374.

[2]) - الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص 294، 295.

بسواحل البحر المتوسط، وجنوبا بمنطقة بحيرة تشاد، وأشهر المراكز التي ظهرت في المنطقة مدينة زويلة وتقع إلى الجنوب من مدينة سبها، ظهرت كمركز تجاري مند القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي وبدأت تظهر مع بداية الفتح الإسلامي فصارت مقر الولاة قبل تأسيس القيروان ثم بعد ذلك قاعدة بلاد فزان ([1]) ، وكان لها دور بارز ، لارتباطها بثروات السودان الغربي ، وخاصة تجارة الرقيق ثم صارت سوق لتصديره ، وتعتبر مفترق الطرق للتجار لكلى الجهات ، وقد ارتبطت بالمراكز و الأمصار قبل اجدابيا و القيروان ، وكان أمير اجدابيا يفرض على القوافل الصادرة ، والواردة من بلاد السودان ضرائب لضبطها.

2-غدامس : تقع مدينة غدامس ، إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس بليبيا ، وتبعد عنها حوالي ثلاثمائة كيلومتر ، وهي من ضمن نطاق ليبيا ، عند التقاء حدودها مع تونس و الجزائر ولغدامس تاريخ قديم يرجع إلى العصر الفينيقي و الروماني فقد كانت حصنا تجاريا ، وحربيا لروما على طريق جر بة جنوبا ، وقد دخلت غدامس ضمن حدود الدولة الإسلامية في حملات عقبة بن نافع الفهري على المغرب ، قال عنها الحسن الوزان أنها أنهامنطقة كبيرة مسكونة بها قصور وقرى مأهولة بالسكان، وأهلها اعتياد، وتجار، ارتبطت تجاريا مع المدن التجارية للسودان الغربي تجاريا مع المدن التجارية للسودان الغربي اشتهرت بصناعة الجلود، فهي لها قيمة تجارية وإستراتيجية([2]).

3-فـــــزان :يصفها الحسن الوزان على أنها منطقة كبيرة ، تقوم فيها قصور وقرى كبيرة سكنها الأغنياء ، فهي مركز تجاري مهم ، من مراكز التجارة ، بين الشمال و الجنوب ، كانت تقدم خدمات للقوافل التجارية ([3]) .

4-ورجلان:تقع ورجلان على خطي عرض 30، 5°شمالا و5، 17° شرقا في حدود الجزائر

---

[1]) - عماد الدين إسماعيل بن علي بن جمال الدين بن محمد أبو الفداء: المختصر فـي تاريخ البشير ، مصر 1325ه - 1988.م ص 187.

[2]) - محمد مسعود جبران : العلاقات الليبية مع إفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر كما يجسدها دور داعية مسلم ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس – الجماهيرية ،أيام 15-17 محرم 1428هـ / 12-14 ماي 1998 م ، مراجعة وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ،كلية الدعوة الإسلامية ،الجماهيرية العظمى طرابلس ،ط 1 1429 هـ / 1999 م .ص ص 210،220.

[3]) - الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص ص، 296 ،299.

الشرقية، وافرة المياه، اكتسبت شهرتها الكبيرة لارتباطاتها التجارية الواسعة، والمركز الأول لتجارة الرستميين ، ولأهلها الدور الريادي ، في قيادة قوافل التجارة إلى بلاد السودان ، منذ زمن إمبراطورية غانة الوثنية ، قال عنها الحسن الوزان إنها مدينة أزلية بناها النوميديون ، سكانها أثرياء وذلك لاتصالهم بأقدز،وبضائعها تنقل إلى بلاد السودان و ونقارة مقابل التبر ، الذي تسك منه الدراهم والدنانير .

5-تـــيـــهـــرت : تقع ضمن نطاق الجمهورية الجزائرية لعبث دورا مهما كمركز تجاري مع السودان الغربي،قاعدة المغرب الأوسط كانت تتبادل البضائع مع بلاد السودان والمغرب الأقصى، خاصة مدينة سجلماسة.

6-الـــزاب : تقع بالجزائر ، كانت مركزا تجاريا وروحيا في آن واحد أهلها أغنياء ، وهي على خط الداخلة والخارجة من بلاد السودان الشيء الذي ربط تجارها مع تجار السودان الغربي برباط وثيق.

7-تـــوات : تقع جنوب غرب الجزائر تبعد عاصمة الجزائر 1500كم ([1]) وتعتبر مركزا من المراكز التجارية الهامة ، فهي واحة وسط الصحراء جعلها هذا الموقع حلقة وصل بين الشمال الإفريقي وبين السودان الغربي عملت على تزويد التجار بما يلزمهم عن ماء وغذاء كانت تعرض فيها البضائع الواردة من الشمال ([2]).

وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك قائلا : ((فمنها على ثلاث مراحل قبله سجلماسة ، و تسمى وطن توات ، وفيه قصور متعددة تناهز المئتين ، آخذه من الغرب إلى الشرق ، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت ، وهو بلد مستبحر في السودان ، لهذا العهد)) ([3]) ، كان اليهود المحرك الأساسي لتجارة توات ، كانوا أغنياء ، لهم علاقة بالسودان الغربي باعتبارها مركزا تجاريا ، تعبره القوافل المارة من الشمال إلى الجنوب([4])، وقد مارس اليهود إلى جانب

---

[1]) – فرج محمود فرج:إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977م– 1324،هـ ص1.

[2]) – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص–ص ، 66،70.

[3]) – ابن خلدون :المرجع السابق ، ص، 233 .

[4]) – عبد القادر زبادية : محمد بن عبد الكريم المغيلى ، مجلة الأصالة السنة الرابعة (4) العدد 26، الجزائر 1975 ،ص 211.

التجارة، صناعة الحلي وسك النقود ، ولعبوا أدوارا مهمة كوسطاء في التجارة إذ كانوا على اتصال بكبار أرباب التجارة وأرباب السفن والشركات الأوربية، التي كانت تتعامل مع المغرب آنذاك وخاصة أبناء ملتهم المقيمين بأوربا ([1]).

8- سـجـلـمـاسـة : أدى ازدياد الحركة التجارية ، في أول القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي في المنطقة الغربية من ا لصحراء الكبرى إلى ظهور محطة جديدة ، قدر لها أن تلعب دورا كبيرا في تاريخ العلاقات التجارية ، عبر الصحراء ، وهي مدينة سجلماسة ([2])، في الحدود الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية بدأت سجلماسة مرحلة التوسع والازدهار، في عصر أبي المنتصر اليسع 174هـ /790م . حيث ضمت درعه، وبدأت تقوم بدورها الطليعي في خدمة التجارة واستقبال القوافل من كل أنحاء المغرب والمشرق الإسلاميين، وكانا موقعها وخصوبة أرضها، حاملان صاعدان على تحمل الحركة التجارية وتوفر متطلبات القوافل الداخلة والخارجة من السودان الغربي وتوثقت علاقتها مع الاباضية بتيهرت ([3])، ودولة الأغالبة في تونس ، كما لها علاقة حميمة مع السودان الغربي .

9-درعـــة: تقع شرقي مدينة سجلماسة ، بنحو سبع مراحل ، ويمتد واديها على مسافة كبيرة جنوب المغرب الأقصى ، بلد زراعي بها معادن ، كانت مركزا تجاريا هاما ، ومحطة على أول الصحراء كثيرة في الأسواق والمتاجر ([4]) .

10-تـارودانـت : تقع جنوب مراكش ، بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي شرق أغادير الحالية وقد كانت حاضرة سوس لبعض الوقت عندما دخل عبد الواحد المراكشي ([5]) ،المغرب في القرن الثالث عشر الميلادي ، وكان موقعها ،موقعا تتنافس عليه الدول ، التي قامت بالمنطقة وظلت مركزا تجاريا مرموقا لتجارة الصحراء ، حتى قيام مراكش ، فبدأت التجارة

---

[1]) - محمد حجي:الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين،الرباط منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1977م 1324هـ ، ص 268.

[2]) - البكري : المصدر السابق ج 2 ، ص 837.

[3]) - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله احمد بن أبي بكر المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، ليدن، 1906، ص231.

[4]) - البكري : المصدر السابق ج2، ص-ص 845،846.

[5]) - الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق ، ص 305.

تتحول إليها ولكنها ظلت تستقبل القوافل التجارية إلى غاية مستهل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي.

11-ولاتـــة : هي إحدى مدن جمهورية موريتانيا الحالية ، لم يذكر تاريخ يحدد تأسيسها ، إلا أن النحوي يقول ربما تكون قد تأسست في القرن الهجري الأول ، ورد اسمها عند ابن بطوطة ايوالاتن. وذكرها ابن خلدون عرضا ، عند ما أشار إلى خروج هدية منسا موسى ملك مالي إلى السلطان بن الحسن المريني ،و جاءت عند السعدي والاتة وابن فودي ولاتا ، وقد اعتمدت على رسم ابن بطوطة لأنه دخل المدينة ومكث بها خمسين يوما ، ولأنه أقدم مصادر التي أشارت إلى هذا المركز، ظهرت كمركز تجاري ، جنوب الصحراء بعد سقوط مدينة غانة وقيام مملكة مالي ، التي ظمتها إلى حدودها ، اتجهت إليها القوافل عبر المنطقة العربية من الصحراء الكبرى ، وقد وصفها ابن بطوطة بأنها مدينة كبيرة ، تحت إشراف السلطان المالي المباشر إذ يحكمها نائب عنه ، وأشار إلى اهتمام أهالي ولاته بالتجار وخروجهم إليهم بالماء و المؤن ([1]) .

12-جني : تقع مدينة جني إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت ، وتبعد عنها بحوالي ستمائة كيلومتر تقريبا ، تأسست في القرن الثاني الهجري 2هـ / 623 م ، كانت مركزا تجاريا هاما واشتهرت بتجارتي الملح والذهب ، وملتقى للقوافل التجارية التي تسير بين الشمال وجنوبها وقد وصفها عبد الرحمن السعدي قائلا ((وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن نغاز وأوربا ، الذهب من معدن بيظا ([2]) ، من خلال هذا النص يتضح لنا مدى قيمتها كمحطة تجارية ، ربطت بين زنوج المغرب ، وتجار الشمال بمعدني الذهب والملح ، وساعد موقعها الممتاز في منطقة محاطة بالمياه في تأمينها من غارات المعتدين ، ويشير الحسن الوزان إلى ثروتها الحيوانية والسمكية والزراعية ،ولا سيما القطن الذي يشتريه التجار المغاربة لتصديره إلى أوربا ، مقابل أواني نحاسية وأسلحة وغيرها من سلع ، وعلى هذا علينا إدراك القيمة الاقتصادية التي كان يستغلها هذا المركز في دعم الاقتصاد المغربي.

---

[1]) - الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص 306.

[2]) - عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص ص ، 12،14.

13- تـــنبكـــت : كانت تنبكت مركزا تجاريا في عهد سلطتي مالي وسنغي ، غير أنها ازدهرت في عهد سلطنة سنغي ، واكتسبت أهميتها من موقعها الممتاز في منحنى نهر النيجر فأصبحت اقرب محطة للقوافل التجارية القادمة من المغرب ، كما أن موقعها على النيجر جعلها حلقة اتصال بين تجارة المغرب وتجارة السودان ([1]) ،وجاء ازدهارها من تجارة المرور ولا سيما تجارة الملح و الذهب ، وكانت تقوم بعرض منتجات السودان لتجار المغرب وتستقبل في نفس الوقت تجارة المغرب وتقوم بتصديرها إلى مناطق السودان الداخلية وذكر الحسن الوزان أن بها دكاكين كثيرة لصناعة وتجارة الأقمشة النيلية والقطنية كما ويجلب إليها التجار المغاربة الأقمشة من أوربا وقد زارها الحسن الوزان في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ([2])، وأورد بن بطوطة أن بها قبر سراج الدين بن الكوبك ، أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية ([3])، الشيء الذي يبرز لنا مدى قيمة هذا المركز اقتصاديا بربطه شمال وجنوب الصحراء.

14- تـــغـــاز : تقع جنوب المغرب الأقصى بقرب البحر المحيط على الطريق الرئيسي للقوافل بين المغرب وتنبكت وتعتبر تغاز المصدر الرئيسي لمعدن الملح ، اشتهرت به ونسجت حولها الأساطير ، حتى قيل أن البيت الواحد مبنى كله بالملح، وهذا يدل على كثرة الملح ، الذي كان ينقل بواسطة قوافل تجار الشمال الإفريقي وخاصة المغرب إلى أصقاع السودان الغربي ، وقد قال الحسن الوزان ((فكان مأهولا فيه عدد من مناجم الملح شبه مقالع الركام يستخرج الملح من حفر ، تحيط بها ألواح عديدة . يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح وليسوا من سكان البلدة)) ([4]).

15-جـــــــاو GAO: وهي عاصمة سلطة سنغي ، تقع جاو اليوم إلى الشمال الشرقي ، من العاصمة باماكو بجمهورية مالي ، و ورد ذكرها على لسان البكري الجغرافي الأندلسي في

---

[1]) - الشيخ الأمين عوض الله: المرجع السابق ، ص ص 72،84.
[2]) - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج2، ص،ص 165،166.
[3]) - ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 25.
[4]) - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج2، ص،ص 108،109.

حوالي عام 1067م ، وقد مكنها موقعها على منحنى نهر النيجر ، نحو الجنوب بإشرافها على حركة الملاحة والتجارة على امتداد نهر النيجر نحو الجنوب والغرب.كما ذكرها صاحب كتاب الاستبصار بقوله ((وأهلها مسلمون ... وأكثر ما يحمل إليها الملح والودع والنحاس المسبوك وحواليها معادن التبر ، وهي أكثر بلاد السودان ذهبا..))([1]) ، وقد نتج عن هذا النشاط التجاري عبر طريق ورجلان ، وزويلة توسع جاو وامتداد حدودها إلى المناطق المجاورة فاصنعت ثمانية من ملوك السودان ، وصارت مدينة جاو ، كما يتضح من نصوص الجغرافيين العرب المدينة التجارية الأولى في وسط نهر النيجر ، وقد تم تأسيس مدينة جاو قبل دخول الإسلام إليها في أواخر القرن الثاني الهجري وقد انتشر الإسلام فيها عند تمام القرن السادس الهجري ([2]) .

16- تـــــكـــدا : تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت بحوالي أربعمائة وخمسين كيلومترا وزادت أهميتها بعد اكتشاف النحاس بها ، حيث تحولت قوافل التجارة إليها وأول من ذكرها العمري (ت 749هـــ-1348م) ، ونقل عنه القلقشندى في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، فذكر أن بها مناجم غنية ، تنتج كميات كبيرة من النحاس وأورد بن بطوطة الذي دخل تكدا عام 754هـــ/1253م) وصفا ، لهذا المعدن يحفر عليه في الأرض ويأتون به إلى البلد فيسبكونه في دورهم ، ويوزع بعد ذلك داخل بلاد السودان وذكر القلقشندى وجود الملح بها كذلك، إلى جانب هذا صارت سوقا تجاريا مهما ، أصبح أهلها أثرياء ، بسبب الاشتغال بالتعدين، أو في الملح، أو خدمة القوافل([3]).

17- أقـــــــدز : تقع اقادز اليوم في الشمال الشرقي من ميامي عاصمة جمهورية النيجر وتبعد عنها بألف كيلومتر ([4]) ، ومكانتها التجارية تتمثل في الموقع الاستراتيجي المهم ، كتب عنها الحسن الوزان وأشار إليها تحت مملكة اغادس وأفاد أن اغلب سكانها من العرب المغاربة الذين اشتغلوا بالتجارة ، ويعتمد دخلها على الضرائب التي تؤخذ من التجار الوافدين عليها ،

---

[1])-Bovill.E.W.The Golden Trade of The Moors p.149-

[2]) - الشيخ الأمين عوض الله: المرجع السابق، ص 83.

[3]) - العمري : المصدر السابق ، ص-ص 74،75.

[4])-Barth op.cit.232 .

وخاصة من تجار ليبيا ، وقد حملت لها البضائع من فزان ، وغدامس و زويلة ، ونقلت منها القوافل بضائعها المتمثلة في البخور والذهب الإفريقي([1])، وعن طريق صعيد مصر ، والساحل الاريتري وبلاد الحبشة ، والصومال في الشرق ، ولعب المرابطون والموحدون دورا هاما ، وبارزا في نشر الإسلام إلى أعماق الصحراء الكبرى خلال القرن العاشر الميلادي وما بعده إلى القرن الثاني عشر الميلادي ([2]).

جـ – دور العرب في تجارة الصحراء إن طبيعة الصحراء القاسية ،وظروفها المناخية كانت عامل اتصال بين منطقة الشمال الغربي لإفريقيا والمناطق التي تحدها جنوبا في غرب إفريقيا ، و كانت معبرا هاما من معابر الاتصال بينهما ، وقد لعبت موانئ الساحل الشمالي لإفريقيا دورا هاما في تجارة الصحراء ، وذلك بفضل طرق القوافل الممتدة في مسالكها ودروبها ، واستمر تجار هذه الموانئ والمدن الشمالية يسيطرون سيطرة تكاد تكون تامة على هذه الطرق إلى أن أدخلت وسائل النقل والمواصلات الحديثة ([3]) .

ويلاحظ الدارس لهذه العلاقة أن موانئ الساحل الشمالي ، تتميز بدور الوساطة التجارية بين مناطق الإنتاج المداري والاستوائي في الجنوب، وبين شعوب حوض البحر المتوسط في الشمال ولعل مما سهل هذه الوساطة الامتداد الطويل لتلك السواحل وانحناء معظمها إلى الجنوب، خاصة السواحل الليبية التي أصبحت اقرب إلى مناطق الإنتاج بالصحراء، ومن ناحية أخرى، فان الواحات الكبيرة المنتشرة عبر الصحراء الكبرى قد ساعدت التجار على التوغل والمغامرة في الداخل والوصول إلى المناطق البعيدة من غرب إفريقيا، وقد استقر كثير من التجار الشماليين في هذه المناطق واحترفوا التجارة في نيجيريا وفي البلاد المجاورة ([4]).

وقد طلت قوافل الحج والتجارة تمارس نشاطها طيلة العهد العربي الإسلامي، حتى إذا

---

[1]) - الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق ص 311.

[2]) - يحي بوعزيز : طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر(البضائع الغلات –الأسعار ، الأساليب ، التجار ، المنطقة).المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، 1984م ، ص ،125 ، 145

[3]) - جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية 1975 ، ص 307.

[4]) - مصطفى بعيون: دراسات في التاريخ العربي-الأندلس التاريخية لمستقبل لوبيا، ص ص 167،171

خضعت مناطق الشمال الغربي لإفريقيا، للحكم العثماني باستثناء مراكش خلال القرن السادس عشر الميلادي ، تدهورت القوافل التجارية ، وذلك للأسباب الآتية :

1- أسلوب الحكم العثماني واختلال الأمن،تطاحن القبائل على الحكم،وانتشارالفوضى السياسية

2- اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح، وغرب إفريقيا، وتوجه التجار إلى الهند وآسيا.

3- فقدان البحر المتوسط ازدهاره التجاري .

4- اختصار الليبيين على تأكيد سيارتهم على الساحل دون الداخل بسبب التوتر والاضطرابات([1]) ويذكر الحاج أبو سالم العياشي الليبي في رحلاته الثلاثة التي قام بها قاصدا الحج إلى مكة المكرمة من ليبيا خلال النصف الثاني القرن السابع عشر الميلادي وقد مر في أثنائها بطرابلس ، التي كانت تخضع للوالي الصاغي "عثمان باشا التاقزلي "(1649م-1672م) ([2]) ، وقد افرد العياشي وصفا مشبها لطرابلس واتفق في ذلك الوصف مع من سبقه من الرحالة في وصف المدينة ومقدار تمتعها بالرخاء والأمن ، وكثرة مساجدها ومبانيها ورواج تجارتها ، و قليلا ما نلاحظ هذا الازدهار ، رغم وجود الفوضى أطراف مدينة طرابلس نستخلص من خلال رحلته القياسية مايلي :

1- خضوع طرابلس للدولة العثمانية .

2-عدم وجود سلطة فعلية في الداخل ، توفر الأمن للتجار وبضاعتهم .

3- تنازع القبائل على السلطة فيما بينهم، لضعف الحكم العثماني في داخل بلاد المغرب ومن حديث العياشي يمكننا أن ندرك حالة التأخر التي كانت تعاني منها المناطق الداخلية من الشمال الإفريقي حيث كثرت بها عصابات من قطاع الطرق،الذين كانوا يستولون على ما تحمله القوافل وهي في طريقها الصحراوي نحو السودان الغربي .

تفهم عن كتابات العياشي أن السلطة العثمانية كانت إسمية فقط في إدارة شئونها ، وقد

---

[1]) - جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص 308.

[2]) -عوض السعداوية:حالة ليبيا كما ذكرها الحاج سالم العباسي في رحلته،بحث قدم إلى مؤتمر ليبيا عبر العصو ر من3 إلى16 مارس 1968 م،ص34

تساعد على ذلك بعد المسافة بين مركز الإدارة العثمانية في الاستانه باسطنبول ، والإدارة العثمانية في ولايات الشمال الإفريقي ، خاصة إذا أخذنا في اعتبارنا صعوبة المواصلات في ذلك الوقت([1]).

واستمرت تلك الحالة من التدهور ترتب عنها ضعف حركة تجارة القوافل ، باستثناء طرابلس التي تمكنت من تحقيق استقلالها وبالأحرى انفصالها عن الدولة العثمانية في عهد الأسرة القرمانلية (1711م – 1835 م) ، وهذا بعد أن استطاع احمد باشا القرمانلي مؤسس تلك الأسرة أن يرفع مكانتها في حكم طرابلس ، مستغلا تجارة القوافل في تحقيق موردا كبيرا هامّا من الدخل المالي الذي اعتمد عليه في إدارة البلاد وتنظيم أمورها الاقتصادية والاجتماعية ، ومن ثم واصل اهتماماته في تنظيم موارد هذه التجارة والإشراف عليها وتامين طرقها ([2]) .

وفي عهد يوسف باشا القرمانلي ، اقترنت تجارة القوافل بظاهرة جديدة كان لها أثرها الفعال فيما بعد في القضاء على هذه التجارة بطريق غير مباشر ، ذلك أن الدول الأوروبية بعد أن صعب عليها الوصول إلى أواسط إفريقيا، من السواحل الجنوبية والغربية للقارة الإفريقية ، آخذت توجه اهتمامها إلى الساحل الشمالي لإفريقيا ، وتتنافس فيما بينها للوصول إلى داخل إفريقيا عبر مسالك الصحراء الكبرى، وقد اشتد ذلك التنافس خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، مما جعل مدينة طرابلس، وغيرها من المدن الساحلية الأخرى بمثابة محطات أو مراكز للرحالة الأوروبيين الذين قصدوا تلك المدن بغية التوغل في الداخل معتمدين في ذلك على ما يتحصلون عليه من توصيات خاصة متضمنة في شكل رسائل كانوا يحملونها معهم من حكام المدن الساحلية إلى حكام المناطق الداخلية.

---

[1]) - عبد الخالق أحمدون : التواصل الحضاري بين المغرب والبلدان الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى من خلال وثيقة فقهية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس – الجماهيرية ،أيام 15-17 محرم 1428 هـ / 12-14 ماي 1998 م ، مراجعة وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية العظمى –طرابلس ،ط1 1429 هـ / 1999 م، ص ص 505، 526.

[2]) - جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ،ص ص 310، 312 .

المبحث الثالث: أهم الرحالة:

تأخرت معرفة الأوربيين بالقارة الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى : الطبيعية والاجتماعية لأسباب كثيرة :

1- سواحل إفريقيا قصيرة بالنسبة لكتلتها القارية ، حيث أنها تبدو ككتلة سميكة ، نتيجة قلة تعاريجها ، خاصة في غربها ، ونتج عبر هذا قلة موانئها ، والموانئ كما هو معروف ، مطلات تطل على الخارج .

1 كما أنها مركز استقبال للتأثيرات الحضارية والوافدين ([1]).

2 كما أن الجزر القريبة من سواحل إفريقيا فعلية إذا قيست بالجزر القريبة من سواحل القارات الأخرى.

3ـ وإنها القارة التي تعترضها الجنادل والشلالات، مما عاق استخدامها كوسيلة مواصلات للمناطق الداخلية .

4ـ كما أن مناخ القارة في الصحراء الكبرى والى الجنوب منها ، لم يكن يشكل منطقة جاذبة للعناصر البيضاء خاصة أن أوربا لم تكن قد ضافت سكانها بعد.

5ـ كما أن وسائل تكييف الهواء وتبريده لم تكن قد اكتشفت بعد.

لكل هذه الأسباب تأخر ا لأوربيون في كشف القارة الإفريقية جنوب الصحراء، بما في ذلك غرب إفريقيا رغم قربه الشديد من أوربا ([2]).

لكن هذه الأسباب جميعا لم تكن عائقا أمام الرحالة في كشف القارة الإفريقية خاصة من الناحية البشرية، ومن ناحية الإلمام بثرواتها وكنوزها الطبيعية رأى الرحالة رتشارد بيرتون الذي زار مصر سنة 1853م فيهم عربا ((تحجروا)) أي ساعد عدم اختلاطهم على الاحتفاظ بعنصرهم ويرى معظم الرحالة الاروبيون الذين زاروا مصر نفس النظرةأمثال :

الأمير النمساوي رودولف والرحالة الانجليزي جوزيف بتس زار مصر في القرن السابع

---

[1]) - س-هوارد :أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا ،ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1996م ص8.

[2]) - شوقي الجمل : تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ، القاهرة ، الانجلو 1980م ، ص ص 17،27.

عشر الميلادي .

ولم تعق الصحراء الكبرى أهل الشمال الإفريقي من التوغل في غرب إفريقيا توغلا هينا بالزواج والدعوة والحوار والتجارة [1]، ومن كتابات الرحالة العرب الذين زاروا غرب إفريقيا ، الذين كانت كتاباتهم موضوعة بين أيدي الأوربيين عند قيامهم بحركتهم الكثيفة نذكر منهم : –المؤرخ والرحالة العربي الفزاري الذي زار غرب إفريقيا في القرن الثامن الميلادي وأشار إلى أرض الذهب ، بلاد غانا ، مما لفت أنظار أوربا إلى الثروة المعدنية ، في هذا الإقليم[2] .

كتابات ابن حوقل ، وهو أبو القاسم محمد الذي زار السودان الغربي ورأى النيجر ، ووصف المدن والقرى ، وتحدث عن الثروة المعدنية ، وكانت رحلته في القرن العاشر للميلاد (الرابع للهجرة) ،واستفادوا من كتابات أبو عبيد الله البكري الذي توفي سنة 1093م ،وصف في كتبه بلاد المغرب العربي وبعض بلاد غرب إفريقيا (السودان الغربي) وألف كتابيه المشهورين" المسالك والممالك "، و"تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان "وكتابات محمد بن عبدان الإدريسي كتابه المشهو ر(وصفه المغرب و أرض السودان ومصر والأندلس) وكتابات بن بطوطة الذي قام بثلاث رحلات في القرن الرابع عشر الهجري (1325م–1354م) أولها إلى مصر والشام ، وثانيها إلى شرق إفريقيا ، وثالثها إلى غرب إفريقيا ، وقد وصل إلى تومبكتو على منحنى نهر النيجر ، ووصف نهر النيجر عند المنطقة التي تتجه فيها شرقا .

كتابات الحسن بن الوزان المعروف في أوروبا باسم " ليو الإفريقي " **Leo.africaine**"، إسمه الحقيقي الحسن بن محمد الوزان ، الذي ولد في عام 1494 م من والدين مغربيين رفيعي المنزلة وقبل مولده بفترة قصيرة ، كانت أسرته من رعايا" فريدناند وايزابيلا" **« Ferdinand Isabellaet »**وقد شهدت أسرة الحسن بن محمد الوزان الحكم المسيحي في اسبانيا في أحسن صورة ، ولكن أتى اليوم الذي سمم فيه "الكاردينال اكسيمنس" **"Cardinal Ximense** "عقل ايزابيلا بالهرطقة العفنة التي تقول :((أن حفظ العهد مع غير المسيحيين إنما هو نقض

[1]) - س- هوارد : المرجع السابق ص ص 8 ، 9.
[2]) - إبراهيم طرخان : إمبراطورية غانا الإسلامية ، القاهرة ، 1970، ص 24

للعهد مع الرب)) ، لذلك التحق الحسن هو ووالداه بقافلة المثقفين المهاجرين من إسبانيا والمتجهين الى فاس والى غيرها من المراكز الافريقية للثقافة للاسلامية .وفي فاس عمل ليو في وظيفة إدارية في مستشفى لعلاج الأجانب ، كما عمل قاضيا وكاتبا وأخيرا عمل تاجرا ، كما عمل مبعوثا لسلطان فاس وفي بعض الأحيان كان يقضي وقته في كتابة الشعر وبعد ذلك قام بالعديد من الرحلات وبخاصة الى السودان الغربي.([1]).

وكان من نتيجة هذه الرحلات أنها نقلت تفصيلات كثيرة عن غرب أفريقيا إلى أوربا. وذلك عندما استولى القراصنة المسيحيون في عام 1518م على سفينة عربية كانت خارج بلدة جربة وهي في طريقها إلى شاطئ تونس ، وكان من بين الذين على متنها شاب مغربي في سن الرابعة والعشرين من عمره ،وبدلا من أن يبيعه القراصنة إلى تجار الرقيق حملوه معهم إلى روما .وقدموه إلى البابا ليو العاشر ،كي يحولوه إلى مصير أفضل ، وكان ليو العاشرهذا من اسرة ميدتش "**Medici**" وابن لورونزو "**Lorenzo**" العظيم وكان قد اكتسب ثناء معاصريه لاحتضانه رجال الأدب ورعايته للفنون ، فكل من ادعى ذكاء عقليا رحب به ليو العاشر وعلى هذا فقد حرر البابا هذا الشاب ومنحه معاشا وحثه على اعتناق العقيدة المسيحية وعند تنصيره سماه جيوفاني ليون "**Giovane Leone**" الذي عرف فيما بعد باسم ليو الافريقي "**Africanus**" وعندما أسر الحسن بن محمد الوزان كان يحمل معه مسودة مكتوبة بالعربية للعمل الذي طلب له الشهرة ،وتمثل هذا العمل في تاريخ ووصف افريقيا الاشياء البارزة التى تضمنها . وقد أتم ليو هذا العمل باللغة الايطالية عام 1526 م ، بعد موت سيده بثلاث سنوات ، وفي عام 1550 م، وقع هذا المخطوط في يد راموسيو "**Ramusio**" الذي نشره ضمن مجموعته المسماة رحلات وأسفار "**Voyages and travels**" ، وترجم هذا العمل الى الانجليزية بمعرفة جون بوري "**John pory**" الذي زار شمال إفريقيا ، وبد أ رحلته للسودان الغربي (غرب إفريقيا) سنة 1510م ، موفدا إلى دولة صنغي من حاكم فاس، وزار تومبكتو ووصفها وصفا دقيقا ، وأبحرفي نهر النيجر وزار مالي وبلاد (الحوصة)

[1]) - س.هوارد : المرجع السابق ، ص، 15

الهوسا ، وبورنو([1]).

والأهم من هذا أن الرحالة العرب في التاريخ الحديث شاركوا مشاركة فعلية في حركة الكشف الأوربي الحديث لإفريقيا بأشخاصهم وليس بمجرد الكتابة ، لقد وضع عدد منهم خبرته العلمية أمام الأوربيين .

ومن بين هؤلاء الشابيري المصري نشابيبك لونج :(ضابط في الجيش المصري أوجده الخديوي إسماعيل لإقناع مملكة أوغندا بالدخول تحت الحماية المصرية فقبل ملكها ذلك سنة 1874م) ، كادت الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية تفقد الأمل في الكشف المنظم لغرب إفريقيا ، بعد فشل الرحالة لوكاني (1789م) في الوصول إلى نهر النيجر تحت طريق عبور الصحراء الليبية لكن وصل إلى علم الجمعية تقرير من عربي اسمه الشيبيني عن إمبراطورية على ضفاف النيجر ، وقد استرعت هذه المعلومات اهتمام أعضاء الجمعية لان الشبيني ذكر أن سكان (الحوصة) ، (الهوسا) –عاصمة هذه الإمبراطورية –لايقلون عن سكان لندن والقاهرة ، ووصف الشيبيني ((بأسلوبه الفج غير الأدبي)) على حد تعبير محاضر الجمعية حكومة هذه الإمبراطورية بأنها ملكية لكنه لم يحدد أي نوع من الملكيات هي ووصف طريق تنفيذ العدالة عندهم بالصرامة والقسوة.

وفي نفس العام اكتشف هذا الضابط بحيرة "كيوجو" فاسماها بحيرة إبراهيم نسبة لوالد الخديوي إسماعيل كانت الرحلة تمويل مصري ، وتحقيق مصرية ، رحلات سليم قبطان (1839م–1942م) ، بعثه محمد علي البكباشي للكشف عن منابع النيل فقام بثلاث رحلات من 1839م إلى 1942م، وصل إلى شمال خط الاستواء ([2]) .

ومن بين أهم الرحلات التي قام بها الأوربيون ابتداء من دخول البرتغال نوجزها فيما يأتي:

غرب إفريقيا والرحالة البرتغاليون، وتسمى مرحلة الرواد 1600م–1788م وكان دخولهم

---

[1]- R.G.V. : L’Afrique ou histoire,mœurs,usages,et coutumes des africain,Tome1,paris,nepveu ,librairie ,passage des panoramas ,N° 26 ,1814,p.100

[2]) - س. هوارد : المرجع السابق ، ص 12. 17

باحتلال مدينة سبته 1415م، كانوا أول من خطا الخطوة الأول في طريق استعمار القارة الإفريقية من تاريخها الحديث، ولا شك أن وصولهم إلى المنطقة، جاء ومعهم أول التأثيرات الأوربية في التاريخ الحديث وقاموا بنشاطات متنوعة كالتجارة والتعليم ثم التبشير بالديانة المسيحية.

استولت اسبانيا سنة 1476م على جزر كناريا ، وفي 1778م على جزيرة"فرناندو بو"، "**Fernando.po**" من البرتغال ، واستولت على المنطقة التي عرفت بغينيا الاستوائية سنة 1788م، والهدف من ذلك هو الحصول على الرقيق لتعمير مستعمراتها في العام الجديد كايدي عاملة رخيصة ([1]) ، أما هولندا فقد أسست شركة الهند الشرقية الهولندية في سنة 1603م وكان يقوم بإدارتها مجلس مقره أمستردام وتشرف عليه الحكومة الهولندية نفسها وقد أسسوا حصون لهم في ساحل الذهب ، وبرز نشاطهم في تجارة الرقيق بين غرب إفريقيا وأمريكا كما تم تأسيس الشركة الغربية الهولندية ، كانت لها سلطة واسعة بغرب إفريقيا وفي الربع الأول من القرن السابع عشر ، بدأت القلاع الهولندية بالتنافس مع القلاع البرتغالية في غرب إفريقيا على تجارة الرقيق.

شاركت ألمانيا متأخرة في استعمار إفريقيا كما هو معروف تاريخيا فكانت صلات بغرب إفريقيا عن طريق المبشرين والمغامرين والمستكشفين والتجار الألمان منذ القرن السابع عشر حيث كانت سفن الألمان المحملة بالذهب والرقيق ظاهرة إذ في سنة 1884م استطاعت ألمانيا أن يكون لها في إفريقيا مستعمرات فعلية ممثلة في الك امرون و الطوغو"**TOGO**"وجنوب غرب إفريقيا ، وفي سنة 1885م ، بعد مؤتمر برلين الثاني الذي قسم إفريقيا بين الاستعمار الأوربي بدأ وجودها في غرب إفريقيا ([2]) ، وقد صل الانجليز إلى سواحل غرب إفريقيا في أوائل القرن السادس عشر ، بحيث بد أ بعض الرحالة الانجليز يصلون إلى ساحل غينيا وساحل الذهب ومن أشهر هؤلاء الرحالة "جون هوكنز" الذي قام بعد ة رحلات في

---

[1]) - R.G.V opcit. P. 120.

[2]) – شوقي عطا الله الجمل و عبد الله عبد الرازق ابراهيم : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،دار الزهراء للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية ، ط2 1422 هـ / 2002 م ص ص 225، 257.

الفترة مابين (1562م إلى 1567م) للحصول على الرقيق ، من اجل العمل في جزر الهند الغربية وحتى قرب نهاية القرن الثامن عشر كانت انجلترا كغيرها من القوى الأوربية ، تكتفي بمراكز ساحلية . في 25فبراير 1871م، وضع صاحب الجلالة ملك الأراضي المنخفضة (هولندا) معاهدة مع صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا الع ظمي وأيرلندا يتنازل بموجبها الأول للملكة عن كل حقوق السيادة والقضاء في ممتلكاته التي يملكها في ساحل غينيا([1]).

وكان وجود الدانمرك في النصف الثاني من القرن السابع عشر إلى الشرق من أكرا(غانا الحالية) أسسوا قلعة في "كرسينا بورج" **"Christina Borg"** ، وعملوا على إنشاء مدرسة للمولدين : هم الأشخاص الذين ينحدرون من نسل برتغالي افريقي ، بمعنى انه عندما قدم البرتغاليون الى منطقة غرب افريقيا تزاوجوا من الافريقيات ، ونتج عن ذلك سلالة جديدة عرفت بالمولدين وكانت هذه السلالة مرفوضة من جانب التجار البريطانيين والفرنسيين، وهذه السلالة على غرار السلالة التي نتجت من تزاوج المراكشيين عندما غزوا تمبكتو بالافريقيين وعلى أية حال ، وهكذا آلت كل الحصون والقلاع في النهاية لابريطانيا العظمى بعد تلك المعاهدة ،وأصبح ساحل غرب إفريقيا كله بحلول سنة 1872م، تحت حكم البريطانيين.

ولكن ما كاد هذا القرن ينتهي حتى بد أ الانجليز في التوغل لداخل القارة ، بسبب فقدان انجلترا لشعرائها في العالم الجديد 1872م ، نتيجة حرب الاستقلال الأمريكية ،وتطورالثورة الصناعية بالإضافة إلى الرغبة في القضاء على تجارة الرقيق نتيجة جهود الإنسانيين ورغبة في إضعاف اقتصاد الدول الأوربية الأخرى التي تعتمد على هذه التجارة([2]) .

بدأ الوجود الفرنسي بالتوغل داخل إفريقيا في القرن التاسع عشر (1817م) السنغال ثم النيجر تكوين ما عرف باسم:غرب إفريقيا الفرنسية وهي تشمل : موريتانيا –غينيا –السودان الغربي –ساحل العاج – فولتا العليا –داهومي –النيجر ، ثم امتد نفوذهم إلى الكونغو ثم استيلائهم على الصحراء الكبرى ، اتصلت فرنسا بين الشمال والغرب الإفريقي وكانت الاكتشافات الأوربية كثيرة فيما بين عامي 1788م–1890م ، لكنها تعددت على الخصوص

[1]) - R.G.V opcit. P. 150.

[2]) – س.هوارد : المرجع السابق ، ص ص ، 17،20.

الاكتشافات الأوربية كثيرة فيما بين عامي 1788م–1890م ، لكنها تعددت على الخصوص فيما بين(1850 م– 1877م) إذ وجه بعض الرحالة اهتمامهم لاكتشاف مجاري الأنهار من بينهم "مونجو بارك"(*)" **Mungopark**" (1771– 1806م) ، جراح اسكتلندي ورائد مكتشف لبعض المناطق غربي إفريقيا .وهو أول أوروبي تتبع مجرى نهر النيجر في غربي إفريقيا. قام بارك مع اثنين من زملائه عام 1795 م برحلات امتدت من حوض نهر غامبيا إلى نهر النيجر، متحملا مصاعب جسيمة طوال الطريق ، واتبع مهبط النهر إلى الأسفل ، حتى اقنع نفسه بأنه ينبع من الناحية الشرقية ، ثم عاد إلى غامبيا ، قام برحلات فيما بين (1795م– 1797م) وبين (1805–1806م)على امتداد مجرى نهر النيجر ، بينما شغلت منابع النيل اهتمام" بورتون" **"Burton"**(1854م–1855م)، و "بورتون" و"سبيك" "speek"(1857م– 1859م)، و"سبيك"و "جرانت" **"Grant"**(1860م–1863م ،) "وبيكر" **"Baker"** 1862م، بينما اهتم"ستانلي" **"Stanley"** بنهر الكونغو فقام برحلاته الا سكشافية على امتداد مجراه فيما بين(1874م–1877م).

وقد عدّ مكتشفون آخرون الصحراء الكبرى مثل "اسكندرلينج" **"AlexanderLaing"** 1823م – 1826م ، "وريني كاييه" **"Renécaillé"**(1827م – 1829م)، و"وهاينريش بارث" **"HeinrichBarth"** (1850م–1856م) ووصلوا جميعا إلى نهر النيجر ومدينة تومبكتو،وغيرها من المدن التي اشتهرت في تجارة عبور الصحراء ، وقد كان" ديفيد ليفنجسون" " **DavidLivingstone**": هو اسكتلندي الأصل انضم إلى هيئة تبشيرية وشجعه اتصاله بالدكتور موفات **(R.MOFFAT)** الذي قضى فترة كبيرة من حياته في التبشير في جنوب إفريقيا ، وقد قام لفنجستون بعدة رحلات في جنوب إفريقيا ومنطقة نهر الزمبيزي ،وفي الفترة من 1866م إلى 1873 م ، قام بجولته الأخيرة في القارة وذلك بتكليف من الجمعية الجغرافية الملكية في لندن ([1]) ، الذي كلفته بفض شبكة الأنهار والبحيرات في وسط إفريقيا ،

* مونجو بارك "mungo Park ": (1771م- 1806م)

[1])- C .A.Walckenaer, Histoire générale des voyages , ou nouvelle collection des relations de voyages par mer et terre ,tome v,Aparis ,chez lefevre,librairie N°6 ,MDCCCXXVL ,p.357,400

كما كلف ببذل جهد ضد تجارة الرقيق ، وكان قد كتب عنها بعد رحلاته السابقة بطريقة أثارت الرأي العام العالمي ضد هذه التجارة البشعة، هوأشهر الرحالة في بريطانيا حيث قام برحلات متعددة طويلة الأمد في أنحاء القارة فيما بين (1841م– 1856م)، ثم في الفترة بين (1858م– 1864م)، وأخيرا فيما بين (1866م ــ1873م)، وعمل على إيقاف تجارة الرقيق والرق ، ورغب في رسم الخرائط لنهر الزمبيزي وأعالي النيل ، وبذل جهده لكي يلفت نظر البريطانيين للحالة التعسة التي كانت تحياها الشعوب الإفريقية حينذاك ([1]) .

والحق لقد كان كثير من أولئك الرحالة يعمدون إلى إخفاء الغرض الأساس الذي يك من وراء رحلاتهم ،وكانوا يدعون أنهم يريدون اكتشاف بعض النباتات الطبية، أو دراسة بعض المناطق الأثرية، و تعلم الكثير منهم اللغة العربية حتى تمكنوا من الوصول إلى أهدافهم الحقيقية وهي معرفة سبل الاستعمار والاستغلال للمجتمع الإفريقي ، واظهروا اعتناقهم للعقيدة الإسلامية ومزاولة شعائرها على مرأى من رجال القوافل الذين كانوا يصاحبونهم في رحلاتهم، وكانوا ينتظرون مواسم القوافل للرحيل معها .

وهذا ما دفع بعض الباحثين للتأكيد على أن تجارة القوافل العربية، قد ساهمت مساهمة كبيرة وفعالة في كشف كثير من أجزاء القارة الإفريقية، وساعدت بطريق غير مباشر تنشيط الحركة الاستعمارية في إفريقيا([2])، خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

ولعل هذه الحوادث التي أشرنا إليها تؤكد لدينا أن وصول الرحالة الأوربيين إلى أقاليم السودان الغربي عبر مسالك الصحراء ، لم يكن إلا خطوة تمهيدية للتأهب والاستعداد لتحقيق أهداف حركة التوسع الاستعماري التي ستشهدها القارة الإفريقية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ويقسم بعض الكتاب المراحل التي مرت بها عمليات الاكتشافات في إفريقيا إلى أربع مراحل:([3])، نحاول في هذا السياق تحديدها في المراحل الآتية :

---

[1]) - جودة حسنين جودت: جغرافية إفريقيا الإقليمية، الطبعة التاسعة، 1996، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص 26.

[2]) – جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ،ص 212

[3])_إبراهيم عبد المجيد محمد:دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث، مكتب ة النهضة المصرية، ط 1 القاهرة مصر ، 2005م، ص ص 50، 57.

1 -المرحل الجزرية والساحلية : وهي المرحلة التي قام فيها رحالة غرب أوربا بزعامة البرتغال بالكشف عن سواحل القارة والاستقرار بها ، أو بالجزر القريبة من الساحل ، و أهم ما تم في هذه المرحلة كشفت طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى شرق القارة الإفريقية.

2 -مرحلة الاكتشافات الجغرافية : وكان الهدف منها الوصول إلى معرفة جغرافية للقارة وأنهارها، و قد أسهمت فيها الجمعيات الجغرافية وغيرها من اللجان والنوادي، وتبدأ هذه المرحلة برحلة بروس"**BROSS**" في عام 1869 م ، وتنتهي بوفاة لفنجستون في عام1873 م

3 -مرحلة الكشف السياسي : وتبدأ هذه المرحلة برحلة ستانلي إلى الكونغو في عام 1874م وتنتهي بتقسيم القارة إلى مناطق نفوذ للدول الأوربية الكبرى، وكان من نتائجها تطاحن الدول الاستعمارية لبسط نفوذها على اكبر مساحة ممكنة من القارة .

4 -مرحلة الاكتشافات العلمية:وتتمثل في جهود العلماء والمختصين الأوربيين المبذولة، لدراسة المناطق التي امتد إليها نفوذ دولهم الاستعماري،دراسة علمية دقيقة ،حتى يتمكنوا من تسخير خيراتها لمصالحهم التجارية والاقتصادية في المرحلة الموالية بعد استعمارهم لها([1]).

نقد و استنتاج:

من خلال دراسة هذا الفصل يمكنني أن ألاحظ أن التجارة قد ازدهرت ازدهارا واسعا بحيث شمل الجهة الغربية والشرقية لإفريقيا ، كما دخل الأوربيون في هذا المجال ،خاصة تجارة الرقيق وتجار الذه ب ، وما لحقها من تجارة مواد أخرى ،وما تطور المسالك التجارية فجائيا ولا ارتجاليا، بل كان حركة بنيوية بطيئة،ولكنها حاسمة،شانها شان كل تحول يتم على صعيد البنى الاقتصادية الاجتماعية حيث يتم في فترة زمنية طويلة .

[1])-R.G.V. : L'Afrique ou histoire,mœurs,usages,et coutumes des africain,Tome2,paris,nepveu ,librairie ,passage des panoramas ,N° 26 ,1814,p.240

الـفـصـل الـثـالـث: الأهمية الاقتصادية للقوافل التجارية

المبحث الأول: تجارة الرقيق

المبحث الثاني: تجارة الذهب والملح

المبحث الثالث: تجارة السلع الأخرى

الـــفـــصـــل الثالث: الأهمية الاقتصادية للقوافل التجارية:

قد عرفت بداية التجارة عبر الصحراء الكبرى ، بين غرب إفريقيا وشمالها منذ ألف عام قبل الميلاد ، عندما كان عبور الصحراء يتم بواسطة الثيران وبواسطة عربات أو مركبات تجرها الخيول، وقد تطورت التجارة على أيدي القرطاجيين منذ قرابة خمسة قرون قبل الميلاد وأعطاها الرومان مزيدا من القوة الدافعة بعد ذلك بثلاث قرون ، في أعقاب توسعهم في شمال إفريقيا وما تلا ذلك من دخول الجمل فتح شمال أفريقيا في الفترة بين عامي 533و535م، ومع ظهور قوة المسلمين ابتداء من القرن السابع الميلادي ، وان كانت في البداية عاملا مزعزعا لاستقرار سياسات شمال إفريقيا، حدث نهوض جوهري في نحو التجارة عبر الصحراء الكبرى، وقد كان التجار والدعاة العرب موجودين في السودان الغربي منذ حوالي النصف الثاني من القرن الثامن، وزاد نفوذهم بعد غزو المرابطين للإمبراطورية الزنجية في غانا عام 1077م، وكانت الفترة التي تتطابق مع العصور الوسطى في التاريخ ([1]).

ومع انهيار الحكم الروماني في القرن الرابع الميلادي تقلصت التجارة ، وربما تكون قد توقفت تماما، ولم تدب الحياة فيها من جديد ، إلا بعد أن أعاد البيزنطيون خفية ازدهار التجارة عبر طرق الصحراء الكبرى([2]).

و لما فتح شمال أفريقيا في الفترة بين عامي 533و535م ، ومع ظهور قوة المسلمين ابتداء من القرن السابع الميلادي ، وان كانت في البداية عاملا مزعزعا لاستقرار سياسات شمال إفريقيا، حدث نهوض جوهري التجارة عبر الصحراء الكبرى، وقد كان التجار والدعاة العرب موجودين في السودان الغربي منذ حوالي النصف الثاني من القرن الثامن([3])، وزاد نفوذهم بعد غزو المرابطين للإمبراطورية الزنجية في غانا عام 1077م، وكانت الفترة التي

---

[1])-جودة حسنين جودة : جغرافية إفريقيا الإقليمية ، منشاة المعارف بالإسكندرية ، مصر ،ط 9 ، 1996م ، ص ص 20،24.

[2])- احمد الياس: طرق القوافل عبر الصحراء و الممالك الإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية. مقال على الموقع

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=155

تم الاطلاع غليه بتاريخ 5.9.2008.

[3]) – أ -ج – هوبكنز : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، تقديم محمد عبد الغني سعودي ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر 1998م، ص ص ، 153،159

تتطابق مع العصور الوسطى في التاريخ ، لاسيما منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي إلى نهاية القرن السادس عشر شهدت هذه الفترة زيادة واضحة في الطلب على منتجات إفريقيا الغربية في أوربا والشرق الأوسط،كما شهدت زيادة جوهرية في العرض يدعمها عصر الحكومات المستقرة في شمال إفريقيا والسودان الغربي وتعتقد تارة أن العصر الذهبي للتجارة عبر الصحراء قد انتهى في القرن السادس عشر،إذ أن توسع التجارة المحمولة بحرا أدى إلى إعادة توجه طرق التجارة نحو الساحل،كما أن السودان الغربي دخل فترة طويلة من الاضطراب السياسي في أعقاب إطاحة الجيش المراكشي بإمبراطورية السنغي في عام**1591**م([1]).

ويخلص بوفيل" bovil "إلى أن((قصة الغزو المراكشي ما زالت من أحلك الفصول سوادا في تاريخ القارة))،بل إننا استنادا إلى هذا المرجع نجد أن السودان الغربي يختفي من مراجع تاريخية كثيرة بعد عام 1591م،ولم يظهر مرة ثانية إلا بعد ذلك بثمانين عام ا،عندما أصيب المراكشيون بشيء من الإحباط ،في مطلع القرن السابع عشر [سنة 1600م] وصل التعداد الإجمالي للسكان في القارة الإفريقية إلى نحو 55مليون نسمة،يعيش نحو إحدى عشر مليون منهم (أي الخمس)في مناطق شمال الصحراء الكبرى،نصفهم في مصر والنصف الآخر في بلاد المغرب .

أما أربعة أخماس هؤلاء السكان فكانوا يعيشون في مناطق جنوب الصحراء،وكانت منطقة غرب إفريقيا هي أكثف المناطق سكانا تليها منطقتا "رواندا وبوروندي" brandiRwanda"، اللتان تقعان ،في أوغندا الحديثة بوسط القارة وكانت معظم المناطق في إفريقيا على علا قة بنحو م ا مع العالم الخارجي ، نتيجة لشبكة الطرق التجارية التي أنشاها العرب في فترة العصور الوسطى ،عبر الساحل العشبي جنوبي الصحراء ومناطق السودان وسواحل شرق القارة،وذلك بالإضافة إلى الطرق البحرية التي استخدمها البرتغاليون في الربط بين مجتمعات الأطلنطي ومناطق موزمبيق وروديسيا،وكانت الصادرات متنوعة من إفريقيا،وكذا الواردات، وكان ثمن هذه الواردات، هو الذهب ثم تليه

[1]) ــ نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص ص 357، 386.

سلعة العبيد وكانت تجارة الذهب والعبيد تمثل 90%([1]) .

المـــبـــحـــث الأول تجارة الرقيق :

عرفت أوربا تأخرا في الاستفادة من تجارة الرقيق في تلك الفترة ، لدرجة أن البرتغاليين عندما حاولوا تسويق العبيد الإفريقيين في أوربا ، لم يلقوا الطلب المناسب على هذه السلعة التي تمثل البشر من طرف الأوربيين ، فاضطر البرتغاليون إلى بيع العبيد الإفريقيين في إفريقيا نفسها خصوصا بلاد المغرب، ولكن سرعان ما اكتشف الأوربيون أنهم في حاجة إلى استخدام العبيد في عمليات زراعة قصب السكر التي بدؤوها في جزر الأطلنطي المتاخمة لإفريقيا، والتي اكتشفوها خلال رحلاتهم البحرية مثل جزر ماديرا " **Madeira** "، ومجموعة جزر رأس قيود –جزر الرأس الأخضر " **cap vert** "، وجزر ساوتومي، وجزربرنسيب]([2]).

وقد اتضح للبرتغاليين أن العبيد السود هم أهم عمالة في هذه الزراعة التي كان الأوربيون يرفضون العمل بها ، وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر ، بدأت حركة نشطة لنقل العبيد من مناطق غرب إفريقيا إلى جزر الأطلنطي المتاخمة للقارة ثم سرعان ما امتدت حركة النقل هذه إلى المستوطنات والمناطق الزراعية التي أنشأها البرتغاليون في المناطق التي اكتشفوها في العالم الجديد([3]).

وهكذا ارتفع معدل تصدير ا لعبيد من إفريقيا السوداء من ألف عبد سنويا في بداية القرن السادس عشر، إلى نحو خمسة آلاف عبد سنويا في نهايات القرن التاسع عشر([4]).

أولا :تمكن البرتغاليون من كسب الشهرة والثروة والقوة،وذلك بإنشائهم خطوط مواصلات بحرية مباشرة،تربطهم بتجارة المحيط الهندي الغنية،وتربطهم أيضا ببعض الأجزاء البعيدة من آسيا،ومن المحتمل أن كريستوفر كولمبس وهو بحار من مدينة جنو كان عضوا في

---

[1]) - كولن ماكيفيدي:أطلس التاريخ الإفريقي ، ترجمة مختار السويفي مراجعة .محمد الغرب موسي،الهيئة المصرية العامة للكتاب1987م.ص 137.

[2]) – درك كارتن : إفريقيا ،قارة تقف على قدميها ، ترجمة :أحمد فؤاد بلبع ،مراجعة :حسن لطفي المنفلوطي، مؤسسة سجل العرب 1965 مصر ، ص ص 21 ،32.

[3])– عبد السلام الترمانيني:الرق ماضيه وحاضره ،ط2 رجب 1405 هـ /أبريل 1985 م،الكويت ص ص 103 ،202 .

[4]) - كولن ماكيفيدي : المرجع السابق ، ص ص 137،149.

البعثة البرتغالية التي شيدت قلعة المينا في عام **1482م** ([1]) ، وقد نجح البحارة البرتغاليون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، في إقامة طريق بحري إلى آسيا مارا حول رأس الرجاء الصالح، وطالبوا بحقوق مطلقة في الأراضي التي تم كشفها أثناء رحلاتهم ، وفي عام 1530م، بدأت تجارة الرقيق عبر الأطلنطي، فقام الأوربيون بنقل عبيد إفريقيا عبر هذا المحيط كي يبيعونهم في العا لم الجديد كما ذكرت من قبل ، وكانت هذه التجارة هامة بالنسبة للعالم الخارجي ، وقد تركت هذه التجارة أثار ا سيئة على الحياة العامة في غرب إفريقيا في الثلاثة قرون والنصف التي مارست فيها ([2]).

واختلفت تجارة الرقيق في فترة الغزو الاسباني لأمريكا ، مما كانت عليه في القرن السادس عشر الميلادي ، يرجع سبب ذلك إلى افتقار اسبانيا لمراكز تجارية في غرب إفريقيا([3])، ومع ذلك تمكنت من الحصول على العدد ا لضروري من العبيد عن طريق العقود اشيانتوس **"asientos"** التي كانت تتم بين حكومة اسبانيا وبين تجار الرقيق ، الذين كانوا إما من البرتغاليين أنفسهم أو من وكلاء البرتغاليين، والى جانب التجار البرتغاليين وجد تجار من بريطانيا في الفترة ما بين 1562–1568م، مثل الانجليزي جون هويكنز"**Johnhowkins"** الإذن من البرتغاليين لتجارة الرقيق خلال القرن السادس عشر الميلادي، التي كان قد سيطر عليها البرتغاليين بوسائلهم الخاصة وقد وصل عدد العبيد الذين أرسلتهم البرتغال إلى أمريكا خلال القرن السادس عشر الميلادي: حوالي (مائة وخمسة وعشرون ألف عبد)، منهم (خمسة وسبعون ألف عبد) كانوا يعملون في المستعمرات الاسبانية و (خمسون ألف عبد) كان بالمستعمرات البرتغالية في البرازيل،وفي نفس الوقت كان حوالي (ستون ألف عبد) يعملون في جزيرة ساوتومي "**saothomé**" .

ثانيا : لعبت دورا واضحا في التأثير على النشاط الاقتصادي لدى ممارسيها، فقد أوجدت ظروفا مشابهة للثورة التجارية التي حدثت في غينيا والمشابهة أيضا للتجارة المتطورة التي

---

[1]) - فيج - جي –دي : تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة السيد يونس نصر ، مراجعة :بهجت رياض صليب ، دار المعارف ، ط 1 القاهرة 1982 م ص ص ،131،165.

[2]) - دونالد ويدنر : تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة راشد البراوي ، مكتبة الوعي العربي ، مصر 1962 م ص ص 76،93 .

[3]) – درك كارتن : المرجع السابق ، ص ص 23، 26.

حدثت في السودان الغربي والأوسط ، وقد مكنها ذلك من لفت الأنظار إلى أهمية تجارة ما وراء الصحراء،وفي الحقيقة كانت تجارة الرقيق تجارة عالمية حقيقية ([1])، فقد أصبحت التجارة الخارجية الرئيسة في غرب إفريقيا مطلوبة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وذلك من أجل الحاجة إلى الأيدي العاملة و هم العبيد الذين يعملون في المزارع الأمريكية، وقد تضمنت التجارة عبر الصحراء تصدير العبيد الزنوج إلى الأقطار الإسلامية من شمال إفريقيا والشرق الأدنى، ولكن كان معدل الصادر منهم إلى الشمال لا يمثل شيئا بالنسبة لتجارة الأطلنطي التي كانت قد تطورت في نهاية القرن السابع عشر الميلادي ([2]).

فكانت هذه الصحراء لقساوة ظروفها من المشاكل الخطيرة التي تواجه تجارة العبيد، بينما كان نقل العبيد عبر المحيط الأطلنطي يمثل وسيلة ارخص وأسهل نسبيا، ومن المشكوك فيه إمكان نقل أكثر من 10,000من العبيد في السنة عبر الصحراء ، ولكن رغم هذا فقد كان في الإمكان تقدير حجم تجارة الرقيق عبر الأطلنطي وذلك لا ختلاف البيانات الخاصة بهذه التجارة فهي أفضل من تلك التجارة التي تعبر الصحراء، والتي تتفاوت تقديراتها تفاوتا كبيرا([3]).

وحتى إلى عهد قريب فقد بلغ العدد الكلي للإفريقيين الذين وصلوا إلى أمريكا ما يقرب من أربعة عشر وخمسة عشر مليون نسمة ، وكان من الممكن أن يقل هذا العدد عن معدله، بطرق عديدة ومن عصر إلى آخر فكانت تجارة الرقيق أول ما بدأت، بدأت على نطاق ضيق، وخاصة بعد القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، ولكن فيما بعد ازدادت مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، وبلغت أوجها في القرن الثامن عشر ،ثم انتهت نهائيا أثناء الربع الثالث من القرن التاسع عشر ، فقد لخصت تقديرات "كيرتين" في الجدول رقم (أ) الآتي:

يوضح الجدول عدد العبيد الذين وصلوا إلى أوربا وأمريكا، من القرن السادس عشر ميلادي إلى القرن التاسع عشر ميلادي:

---

[1]) - فيج- -جي- دي :المرجع السابق ، ص ص ، 170، 173.

[2]) - رجب نصير الأبيض : مدينة مرزوق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ، دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي ، دار الكتب الوطنية - طرابلس .ليبيا ،ط1 ،1998 م ، ص ص 255، 258.

[3]) - إبراهيم عبد المجيد محمد : المرجع السابق ، ص ص 44 ،46.

السنة	عدد العبيد الذين وصلوا إلى		المتوسط السنوي
	أوروبا وجزر الأطلسي	الأمريكتين	وبالتقريب
1500 – 1501	33.500	———	670
1501– 1600	116.400	125.000	2.400
1601– 1700	25.100	1.280.000	13.000
1701– 1810	———	6.265.000	57.000
بعد 1810	———	1.628.000	27.000
المجموع	175.000	9.298.000	———

التحليل: من خلال دراستنا للجدول (ا)، نستطيع أن نلاحظ أن عدد العبيد الذين وصلوا إلى أوربا وأمريكا من القرن السادس عشر الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي قد زاد زيادة مرتفعة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الطلب المتزايد على هذه التجارة، والتي كانت مربحة وأقل تكاليف، وكذا الحاجة إلى اليد العاملة بأمريكا خاصة و أوربا عامة وهذا العدد أثر بصورة سلبية على غرب إفريقيا اقتصاديا وسكانيا واجتماعيا وكذا نفسيا .

الجدول (ب)يوضح عدد العبيد الذين نقلوا من إفريقيا ([1]):

السنة	تقديرات عدد العبيد الذين نقلوا من إفريقيا ككل	المتوسط السنوي بالتقريب
1500– 1600	330,000	2,200
1601–1700	1,560,000	15,600
1701–1710	7,520,000	68,400
بعد 1810	1,950,000	32,500
المجموع	11,360,000	----------

من خلال دراستنا للجدول (ب) ، نلاحظ الآتي :

1–تزايد عدد العبيد من القرن السادس عشر الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وهذا يدل على مدى رواج هذه التجارة، والربح التي كانت توفره.

[1]) – فيج –جي– دي : المرجع السابق ، ص 174.

2-البيع في القارة الأمريكية كان أكثر من أوربا، وهذا يعود إلى أن هذه المنطقة (الأراضي الجديدة)، كانت مستعمرة بريطانية، تحتاج إلى يد عاملة زراعية كثيرة.

3-الانعكاس السلبي لهذه التجارة على تطور إفريقيا من ناحية، وعملية صيد الإنسان من ناحية أخرى، على الإنسان الإفريقي من الناحية النفسية والسيكولوجية.

4-سقوط نظرية حقوق الإنسان ، وظهور حقيقة المادية الأوربية، وطغيان المصلحة الفردية والمادية، على الإنسانية ([1]).

5- بداية تراجع هذه التجارة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وذلك بسبب نجاح الثورة الصناعية في أوربا، وانتقالها إلى العالم الخارجي.

6ــ الحاجة إلى المواد الأولية، للثورة الصناعية، وبما أن الثورة الصناعية ظهرت ببريطانيا أول مرة، فكانت هي السباقة إلى تحريم تجارة الرقيق طبعا باستبدالها بالاستعمار الأورب ي الحديث، وحاجته إلى المواد الأولية.

7ــ غنى إفريقيا بالمواد الأولية، فكان لا بد من اختيار طريق إلى ذلك، ألا وهو استعمار إفريقيا.

الجدول (ج) يوضح لنا وبطريقة مباشرة عدد سكان غرب إفريقيا الذين فقدوا سبب تجارة رقيق الأطلنطي ([2]).

السنة	النسبة المئوية لمجموع الإفريقيين الذين نقلوا من إفريقيا	عدد السكان المفقودين	متوسط العدد المفقود بالتقريب
عام 1600	%60	200,000	1,340
1700-1601	%60	940,000	9,400
1810-1701	%60	4,510,000	41,000
بعد 1810	%33	0,650,000	11,000
المجموع	ــــــــــــــــ	6,300,000	ــــــــــــــــ

[1]) ـ جمال عبد الهادي محمد مسعود، وعلي لبن: المجتمع الإسلامي المعاصر، (ب) إفريقيا، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1415 هـ / 1995 م. ص ص 13،14 .

[2])- فنسان مونتاي : الإسلام في إفريقيا السوداء ، ترجمة الياس حنا الياس ، دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع ط1 ، بيروت لبنان ، 1983 م ، ص ص 303،308.

التحليل: من خلال دراستنا للجدول (جـــ) نلاحظ أن ونستنتج في آن واحد التأثير السلبي لتجارة الرقيق على إفريقيا الغربية من الناحية السكانية ، بحيث أن العبيد الذين كانوا يباعون هم من فئة الشباب من الذكور والإناث، وبالتالي أثر سلبا على اقتصاد المنطقة على مدة ثلاثة قرون، التي بلغت ستة ملايين من العبيد .

الجدول (د) يوضح لنا المتوسط التقريبي لأعداد الرقيق الذين اخذوا في كل سنة من السواحل المختلفة خلال الثمانينات من القرن الثامن عشر الميلادي ([1])

المنطقة	الأعداد السنوية	النسبة المئوية التقريبية
-سواحل غرب إفريقيا	————	————
- سينجا مبيا	2.200	————
- منطقة سيراليون	2.000	%7
-سواحل العاج	4.000	————
-ساحل الذهب	10.000	%9
-ساحل العبيد وبنين	12.000	%14
- دلتا النيجر ومنطقة الكامرون	22.000	%25
-جميع الأجزاء الأخرى من إفريقيا	40.300	%45
المجموع	**93,000**	————

التحليل : من خلال دراستنا للجدول (د) نلاحظ أن هذا الجدول هو توضيح أكثر للجداول السابقة فالفترة المدروسة من ثمانينات القرن الثامن عشر، بحيث نلاحظ أن معظم السواحل الإفريقية كانت تساهم في تجارة الرقيق، وأن النسبة المئوية تجاوزت خمسة وأربعون بالمائة وهذا عدد مذهل في فترة زمنية وجيزة، وهذا يدل على أن الأرقام والإحصائيات المقدمة من طرف المؤرخين والوثائق الأوربية غير صحيحة، أو ربما لم تنشر ، لتورط أوربا في هذه القضية أكبر من غيرهم .

الجدول (هـــ) يوضح أماكن وصول الرقيق الأفارقة الذين تم تصديرهم عبر المحيط الأطلسي 1451–1870([2])

---

[1]) - فيج-جي-دي : المرجع السابق ، ص ص 176 ،181.

[2]) - دونالد ل.وايدنر : تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء الجزء الثاني ، ترجمة .شوقي عطا الله الجمل ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة مصر ،ديسمبر 1976 م ، ص ص 257 ،276.

أماكن وصول الرقيق الأفارقة	عددهم (من 1451-1870)
العالم القديم (أوربا والجزر الإفريقية)	175000
أمريكا الشمالية والوسطى	651000
جزر الكاريبي	4040000
أمريكا الجنوبية	4700000
المجموع	**9566000**

التحليل: من خلال دراسة الجدول (هـ) : من خلال دراسة أرقام الجدول، نستنتج أن عدد الرقيق الأفارقة الذين تم تصديرهم عبر المحيط الأطلسي ما بين منتصف القرن الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين، إلى أوربا وأمريكا في تزايد مستمر وهذ ا يدل على زيادة الطلب على هاته التجارة التي كانت مربحة آنذاك، وبلغ عدد الأفارقة الذين تم ترحيلهم إلى أكثر من تسع مليون ونصف، وهذا ما انعكس على تخلف إفريقيا، بسبب نقص اليد العاملة التي كانت موجودة.

1- تأثير تجارة الرقيق على سكان إفريقيا، تراجع عدد السكان، تراجع اقتصاديات غرب إفريقيا، إذ كانت مزدهرة، في القرون السابقة (من القرن الثالث عشر الميلادي إلى القرن السابع عشر الميلادي)([1]).

2ـ استنزاف الطاقة البشرية لغرب إفريقيا ، التي كانت تمثل المحرك الأساسي لاقتصاد غرب إفريقيا وباقي المناطق الإفريقية .

3- تطور الاقتصاد الأوربي، بسبب تجارة الرقيق، واليد العاملة المجانية المقدمة من طرف الرقيق فازدياد الرأسمال الأوربي، وتحويله فيما بعد الثورة الصناعية إلى تطوير الصناعة الأوربية وما صاحبها من استنزاف خيرات غرب إفريقيا خاصة ، وإفريقيا عامة.

4ـ ظهور رق وعبودية جديدة ، تمثلت في استنزاف اليد العاملة الإفريقية ، بعملها بثمن رخيص واستنزاف موادها الأولية مجانا وتصديرها إلى أوربا.

إن دوافع إلغاء تجارة الرقيق كانت بعيدة عن الدوافع الإنسانية هي: ([2]).

---

[1])- R.G.V: op. Cit., p. 200.

[2]) - إبراهيم عبد المجيد محمد: المرجع السابق، ص ص، 47 ،48.

قيام الثورة الصناعية في بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر أدى إلى ضعف قيمة التجارة في منتجات المزارع المدارية .أدت ميكنة الصناعة والزراعة إلى التقليل من الحاجة للأيدي العاملة، مما نتج عنها عطالة في ال مجتمع الصناعي في أوربا عامة وفي بريطانيا خاصة فكان فائض في العمال الأفارقة ، وانتشرت البطالة الرغبة في إبعاد القوى الأوربية الأخرى عن القارة الإفريقية مثل: فرنسا، بلجيكا، ألمانيا، أمام منع تداول السلع التي كانت أوربا تعرفها عن إفريقيا وهي تصدير البشر سد بريطانيا الطريق أمام أمريكا في استيراد أيدي عاملة رخيصة من إفريقيا، بعد ثورة الاستقلال الأمريكية التي أقامتها في القرن الثامن عشر ضد بريطانيا وذلك في (1776–1783م) رغبة في القضاء على الاقتصاد الأمريكي الذي كان معتمدا على الزراعة أساسا و إيجاد بريطانيا ذريعة للتغلغل والتدخل السياسي في إفريقيا عامة لمحاربة تجارة الرقيق في إفريقيا أثار جدلا كبيرا في المجال السياسي داخل بريطانيا، وذلك بتصدير كميات ضخمة من البنادق والبارود إلى إفريقيا ،مقابل هذه الأسلحة هو الرقيق، وقد ساعد إدخال الأسلحة النارية على أحداث ثورة في مجال القنص والقبض على الرقيق ذلك لان الأسلحة النارية كانت اكبر سيرا جنبا إلى جنب مع الطلب على الرقيق وقد ساعد هذا الازدواج على انتشار الحروب والصراع بين القبائل الإفريقية، ف أحدث دمارا في الإنتاج وفتكا بالقوى البشرية وتشتيتا للسكان([1]).

وعندما بدأ التكالب الأوربي على غرب إفريقيا كغيره من المناطق الأخرى كان الانقسام والتشتيت هو طابع الجماعات البشرية في إفريقيا ، مما سهل على الغزاة الأوربيين مهمتهم في السيطرة على أجزاء القارة المختلفة (*) وكان هذا هو أسوأ الآثار التي نجمت عن تجارة الرقيق([2]).

واجهت حركة تجارة الرقيق مشاكل صعبة، من الناحية الإنسانية، وزادت هذه المشاكل مع تغيرات اقتصادية وسياسية في كل من أوربا وأمريكا الشمالية في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وبعد ذلك وصلت قوة هذه المعارضة إلى اخذ قرارات

---

[1]) ـ عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق ،ص ص 207 ،212 .

* ـ مؤتمر بروكسيل 1890م، جدد وأيد قرارات مؤتمر برلين المنعقد سنة 1885م ، وذهب إلى ابعد من ذلك ، حيث وضعت إفريقيا على طاولة المفاوضات وقسمت إلى مناطق نفوذ بين الدول الأوربية، كمستعمرات لها .

[2]) ـ عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق، ص ص 199،203 .

سياسية، و تشريعات قانونية لإلغاء تجارة الرقيق، ولمحاربة هذه التجارة انضمت دولا كثيرة إلى هذه التشريعات وأخذت في تطبيقها في أراضيها.

وهكذا وصل النظام الرأسمالي القارة الإفريقية، وفي هذا المجال ظهر صراع بين نظامين اقتصاديين، انتهى بتحطيم الاقتصاد الإفريقي التقليدي، وفتح الطريق أمام قوة الرأسمالية الأوربية للسيطرة على موارد القارة الإفريقية، مدعمة بقوة التشريع، وبقوة السلاح، وفي هذا النطاق أصبحت عملية إلغاء الرق تمهيدا لتغيير كبير تمر بها القارة الإفريقية في طريقها إلى الخضوع لعملية الاستغلال الرأسمالي الغربي ([1]).

قامت تجارة الرقيق وازدهرت على أساس الاستغلال المباشر للأيدي العاملة الإفريقية، وبتغير الظروف السياسية والاقتصادية في أوربا، نادى بعض الأفراد والجماعات بإلغاء تجارة الرقيق وكادت الاستجابة لتلك الفكرة تؤدي إلى تدهور الاقتصاد الأوربي فتم ذلك بلاستغلال مصادر الثروة الإفريقية الأخرى استغلالا مباشرا وهذا الاستغلال لا يمكن أن يتم إلا بوجود سيطرة استعمارية فعالة تضمن استمرار ذلك الاستغلال وتدعمه وتكيفه حسب الظروف السائدة ، وبالتالي ظهرت فكرة احتلال المستعمرات بالمنطقة لاستغلالها كمورد أساسي للموارد الخام والسلع الغذائية وتصريف المصنوعات الأوربية. ولهذا اتخذت الدول الأوربية كل الوسائل من تنفيذ فكرة محاربة الرقيق، ففرضت نفوذها وسيطرتها على المنطقة، وبانتهاء تجارة الرقيق ادعت تلك الدول أنها سوف تبقى لرفع المستوى المعيشي للإفريقيين وإدخال الحضارة والمدنية للبلاد الإفريقية ([2]).

ومن الآثار التي ترتبت على إلغاء تجارة الرقيق الفوضى والحروب ضد بعضهم البعض. وتغيير وتوزيع خارطة السكان من طرف الاستعمار(مدينة كارونا). وتطور الزراعة قبل وصول الأوربيين([3])، تحطم تجارة الرقيق القرى والمراعي وهجر الناس مناطق استقرارهم ونقص الأسواق وإغلاق عليها ، بسبب عمليات القنص الرقيق والمثال مدينة كانو التي زارها بارث عام 1851 م ، بها نشاطا صناعيا وتجاريا هاما :الاستغلال

[1]) - جلال يحي : تاريخ افريقية الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ،مصر ، 1984م ، ص. 191

[2]) - إبراهيم عبد المجيد محمد: دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، 2005 م، ص 46.

[3]) - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وآخرون : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مصر ، 2001م ، ص،ص 101،109 .

المنظم من طرف الأوربيين لثروات إفريقيا الغربية وكذا انعدام الأمن والاستقرار بين السكان إلغاء الرق كذريعة ضد الجزائر تذرعت بها فرنسا، ضد ما يسمى بالقرصنة ضد السفن الجزائرية، خلال مؤتمر فيينا 1815م نقص عدد السكان القارة الإفريقية بسبب الإمراض ونقص الأدوية و انتشار الآفات الاجتماعية(الخمر التدخين)([1]).

وفي الختام نستطيع القول، أن تجارة الرقيق كانت وبالا على سكان القارة الإفريقية بصفة عامة وسكان غرب إفريقيا بصفة خاصة، وما تعانيه القارة من مشكلات اقتصادية وسياسية إنما ترجع إلى هذه التجارة التي مست الإفريقيين في جميع منحنى الحياة وأدت إلى ازدهار القارة الأمريكية، والفوائد التي كسبها التجار الأوربيون،وتطور أوربا،وتخلف القارة الإفريقية حتى الآن .

المبحث الثاني تجارة الذهب والملح:

نحاول في هذا المبحث دراسة تجارة الذهب والملح كان مصدر ذهب السودان الغربي سرا مكتوما من طرف أهله المنتجين له وحاولت كل دولة الوصول إلى مصادره الأصلية وهي([2]):

1ــ معدن ذهب البامبوك ويقع بين نهر السنغال الأعلى وفرعه فاليمي.

2ــ معدن بوري عند ملتقى نهر النيجر الأعلى بفرعه تنكيسو .

3ــ معدن لوبي على الفولتا الأعلى.

4ــ معدن إنتاجي في منطقة ساحل الذهب ، ويحدد المنبع في كتب الجغرافيا والرحلات المتعلقة بالسودان.

إن مصدر هذا الذهب هو"بلاد ونقارة " التي يذكر الإدريسي بأنها "هي بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة وهي جزيرة طولها 300ميل وعرضها 150ميل ، والنيل يحيط بها من كل جهة في سائر السنة ، فإذا اخذ النيل في الرجوع والجزر، رجع كل من بلاد

---

[1]) - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وآخرون : المرجع السابق ، ص 109.

[2]- R.G.V. : L'Afrique ou histoire,mœurs,usages,et coutumes des africain,Tome2,paris,nepveu ,librairie ,passage des panoramas ,N° 26 ,1814,p.100

السودان المنحشرين إلى تلك الجزيرة بحاثا يبحثون طول أيام رجوع النيل فيأخذ كل إنسان منهم في بحثه هناك ما أعطاه الله سبحانه كثيرا أو قليلا من التبر " ([1]) .

والظاهر أن مدينة ونقارة التي أشار إليها الإدريسي هي معدنا البامبوك وبوري لأنها كانت من غانة ،" ومن مدينة غانة أول بلاد ونقارة ثمانية أيام "، كذلك لان غانة تحكمت في هذا المعدن الذي كان قريبا منها، وتحكمت في أسعاره وكمياته المعروضة في السوق وكان هذين المنجمين هما اللذان يزودان بلاد الشمال بالذهب، وأما منجم أشاتي الواقع على ساحل الذهب فيوجد في وسط غابات السفانا إلى الجنوب من بلاد السودان، و قد سعت البرتغال إلى جلب هذا الذهب إلى المركز الذي أنش اته سنة 1432م على ساحل الذهب، والذي يعرف بالمينا، و تعتبر عواصم السودان أسواقا للذهب، فقد ذكر الإدريسي أن مدينة كومبي صالح كانت من اكبر أسواق الذهب، و اعتبرت أودغشت، وهي (على مسيرة 15 يوما غربي كوما) مخزنا مهما للذهب الذي تستورده من السودان ليعاد تصديره إلى بلاد المغرب ، كما ذكر البكري أن : ((سوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليس ه لكثرة جمعه وضوضاء أهله وتبايعهم بالتبر وليس عندهم فضة ، وذهب أودغشت أجود ذهب أهل الأرض وأصحه)) ([2])، من خلال نص البكري نستنتج ان هذه المدينة كانت سوقا كبيرة جدا ومن كثرة تجارها وضجيج الباعة لا تستطيع سماع من بجوارك ، وكانت بعض مواطن استخراجه أسواقا له يتزود منها تجار المغرب كما ذكر الإدريسي .

وكان الذهب يقايض بالملح في غرب إفريقيا ، ويورد المؤرخ بوفيل" **bovil** " فضة التجارة بهذه السلعة في غانا حيث يشير إلى انه عند وصول التجار لشراء الذهب في مكان تواجد الذهب يتم ضرب الطبول الكبيرة حتى يأتيهم السكان المحليون الذين يعيشون في موضع تواجد الذهب غير أنهم لا يخرجون من أماكنهم حتى لا يراهم التجار ، ويبعد التجار وضع السلع التي يريدون مقايضتها بالذهب في مكان معين ويتركونها على هيئة أكوام ويذهبون، ومن ثم يخرج السكان المحليون ويضعون على كل كومة كمية من الذهب

[1]) - الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الرابع ، ص 24.
[2]) - زاهر رياض : الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ، وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1968 م ، ص ص 107 ،113 .

وينسحبون ويأتي التجار و يأخذون الذهب عندئذ يضربون الطبول دلالة على أن المقايضة قد تمت وهذا نموذج لطريقة مبادلة البضائع بالذهب في غانا ([1]).

وقد درس كراوزة سعر الذهب في غات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ووجد انه لا يتمتع بسعر ثابت ففي حالة انخفاض سعره يبلغ المثقال 17,5 سبيليه ([*]) ، وإذا ما ارتفع سعره يبلغ 18,5سبيليه بينما يباع في أسواق طرابلس بسعر 21,5سبيليه أي حوالي 10,12مارك واعتبر وزن مثقال الذهب في غات يساوي 4,882جرام وبذلك يصبح سعر جرام الذهب في غات ما بين 1,72و 1,82وفي طرابلس ما يعادل 2,11ماركا ، وبذلك يصل مستوى الربح في الذهب حوالي 20%([2]) .

ارتبط الذهب بمادة أخرى هي الملح ولا يعني هذا الارتباط وجودهما في مكان واحد أو قربهما بل هذا الارتباط راجع إلى أن الملح كان السلعة التي يتلهف ويقبل عليها السودانيون المنتجون للذهب، والذين ي شترون به الملح، إذ يجب مقايضة الملح بالذهب، والذهب بالملح.

يقول ابن بطوطة "وبالملح يتصارف أهل السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويبايعونه" ،" ولا لأحد عنه في بلاد السودان ، حتى أن المسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا اداما ولا دينارا ولا درهما إنما يحمل قطع الملح " ([3])، وقد أشار البكري إلى معدن آخر من الملح هو معدن " تانتال " وهو يبعد ب 20 يوما سيرا، عن سجلماسة، وذكر أن "من غرائب تلك الصحراء ملح تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن ، ويوجد تحت قناة اودونها من وجه الأرض ، ويقطع كما تقطع الحجارة، وعليه حصن مبني من حجارة الملح وكذلك يدونه ومشارفه وتحرفه كل ذلك من ملح، ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان والعمل فيه متصل والتجار إليه سائرون وله علة

---

[1]) – بوفيل : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة الهادي أبو لقمة ، محمد عزيز ، بنغازي ،جامعة قار يونس ليبيا 1988م، ص،ص 87،88.

[*] - السبيله : تعادل 3 قروش عثمانية ، وهي 5 ريال غاتي أو ثمن بولير و 3,20 من المحبوب .

[2]) - نجمي رجب ضياف : مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية رقم (30)، ط1، 1429هـ/1999م ، ص 219.

[3]) - ابن بطوطة الطنجي : المرجع السابق، ص،ص 192،193.

عظيمة" ([1]).

أما المصادر المحلية للملح بالسودان فقليلة وقد وصف الإدريسي أحداهما بقوله : ((أما جزيرة أوليال فهي في البحر على مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها)). وهناك ممالح تغازى الغزلان او "تاوديني" التي بد أ استغلالها في عهد أسكيا داوود حسب رواية السعدي ، وبما أن البلاد الواقعة شمال السودان كانت تتوفر على الملح الذي يحتاجه أهل السودان ([2]).

وبلاد السودان تتوفر على الذهب الذي يحتاجه أهل الشمال ، فقد أدى هذا إلى تقوية العلاقات التجارية بين الطرفين ، وتقترن تجارة الذهب بما يعرف بالتجارة الصامتة ، فقد كتب المسعودي :" أن التجارة الصامتة كانت في أيامه معروفة بسجلماسة ، وتحدث حين يذهب التجار إلى الأهالي الذين يسكنون قرب معدن الذهب ويضعون أكواما من السلع ويضربون الطبول فيخرج الأهالي ويضعون مقابلها أكواما من الذهب ويأخذون السلع "،كما كانت هناك سلع وبضائع أخرى يقبل عليها الطرفان بالإضافة إلى الذهب والملح اللذان كانا يأتيان على رأس محور التجارة السودانية ([3]).

وعلى الرغم من المكانة المتميزة التي كانت للملح في المبادلات التجارية ببلاد الصحراء وبلاد السودان فإننا نجهل حقيقة سعرها مقارنة مع غيرها من السلع فابن الأعمش العلوي لم يشر إلى سعر العديلة بل اكتفى بذكر البضائع التي يجلبها تجار الملح من بلاد السودان. ومعلوم أن أسعار حمولة الملح كانت تعرف ارتفاعا كلما تم التوغل بها في المناطق الداخلية لبلاد السودان، فقد أكد ذلك ابن حوقل (القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي) حين قال " وربما بلغ الجمل من الملح في أواخر بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار"وقال ابن بطوطة (القرن الثامن هجري /الرابع عشر ميلادي)بان الحمل من الملح كان يباع " بايولاتن" بعشرة مثاقيل إلى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا

[1]) – البكري : المرجع السابق ، ص 171.
[2]) ــ الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق ،ص ص 224.
[3]) ــ رجب نصير الأبيض : المرجع السابق ، ص 268، 270.

إلى عشرين وربما انتهى إلى أربعين. أي ما يعادل ما بين 34 و 42.5 غرام من الذهب بايولاتن وما بين 85 و 127,5 غرام بمالي وربما انتهى الى 170 غرام من الذهب.

ويستفاد من بعض الروايات المتداولة في بلاد الصحراء وبلاد السودان أن العبد كان يباع بما يساوي حجم قدمه من الملح ، وهذا ما يؤكد ارتفاع أسعار الملح ببلاد السودان ويعطي فكرة واضحة عن قيمتها مقارنة مع غيرها مما كان يتاجر به في تلك الجهات وقد تراجعت قيمة الملح بعد ذلك وعرف سعرها بعض الانخفاض ([1]) .

المبحث الثالث:السلع الأخرى:

يتميز الإقليم التواتي بموقعه الوسطى داخل صحراء المغرب العربي ، وهذا الموقع جعل منه منطقة عبور لقوافل التجارة والمسافرين القادمة من كافة الاتجاهات والعابرة للصحراء في نصفها الغربي، وبفضل هذا الموقع أصبح الوصول إليه مرحلة ضمنية من مراحل سير هذه القوافل مرحلة ضمنية وخاصة المتجهة من والي أسواق تومبكتو ([2])،لعبت الأسواق العامة دورا هاما في الحياة الاقتصادية عند التواتيين فكانت تعد القلب النابض بالنشاط التجاري للبلدة ، لذلك لم تخل مدينة أو قصر تواتي منه ، ويصف لنا العياشي في رحلته إلى الحج سوق مقاطعة تسابيت الذي يقام بمدينة (برنكان)، عند ما مر بها عام 1211هـ/1795م، وفي طريقة لتأدية فريضة الحج ، فيقول : ((وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما نحتاج إليه من التمر، وبها من التمر أنواع كثيرة ، ووجدنا التمر بها رخيصا))([3]).

ونفس هذه المدينة زارها الرحالة الألماني (جيرها رد رولف) سنة 1864م وأشار إلى أن سوقها ما زال يتمتع بنشاط اقتصادي لا بـأس به، أما الكومندان "ريبورتر" فقد أوضح في محاضرته بان المدينة (برنكان) قد فقدت الكثير من نشاطها الاقتصادي في نهاية القرن

---

[1]) ـ حسن حافظي علوي : تجارة الملح من خلال نوازل محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنكيطي ، مجلة المناهل ، العدد 58 ،السنة الثالثة والعشرون ،تصدرها كتابة الدولة المكلفة بالثقافة ، المغرب ، ذو القعدة 1418 هـ / مارس 1998 م .ص ص 145 ،164 .

[2]) - فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1977م ، ص 77.

[3]) – العياشي محمد سالم : رحلة العياشي ، ج1 ، طبعة فاس ، المغرب ، ص 20.

التاسع عشر وهذا لتراجع عدد التجار القادمين من الشمال، بسبب التجارة عبر البحر والمحيط ومن بينها :

أولا – ريش النعام: ازدهرت تجارته في الثمانينات من القرن التاسع عشر، وبمجيء 1893م قلت كمياته، بسبب تجارة الوساطة، وازدهرت تجارته من سبعينات القرن التاسع عشر ما بين عامي 1878 م –1883، وقدر القنصل الفرنسي أن صادرات طرابلس من ريش النعام المستورد من الجنوب في عام 1880 م بلغ ما قيمته 300 ألف جنيه إسترليني، في حين لم تتناقص هذه الصادرات ولم تزد بعد عام 1885 م عن مائة ألف جنيه إسترليني وكان متوسط التقديرات ما بين عامي 1878م 1887 م 476.146 جنيه إسترليني ([1]) ، وخلال القرن العشرين جرت تجارة عكسية لريش النعام من بريطانيا إلى طرابلس (1907–1913م) وصلت قيمتها إلى ألف جنيه إسترليني،وبعد تصنيفه في طرابلس ويعاد تصديره إلى الأسواق الأوربية من أهمها باريس([2]) .

ثانيا– نبات السنا : هو من الأعشاب التي تستخدم أوراقه بصورة واسعة في أوربا في مجال الطب لاستخراج الأدوية مثل دواء مسهل للمعدة ومضاد للجراثيم ، وينبت هذا النبات في المناطق الصحراوية وبلاد السودان ولكنه يزرع بكثرة في منطقة الآير و التبستي فكانت الأمطار الصيفية التي تنزل في هذه المناطق المرتفعة تسبب فيضانات في أحواض الأودية حيث ينمو فيها نبات السنا وكان طوارق "الأير وتبو التبستي " يحصدون الأوراق السنا ويخرمونها بطريقة يستخدمون فيها جريد النخيل وكانت الحزمة الواحدة يصل وزنها إلى نصف قنطار وكان معظم نبات السنا في تبستي يصدر عبر مرزق بفران. كما أن السنا بمنطقة الأير يتجه إلى غات وغدامس، وتشير تقديرات القناصل أن الكمية المتجهة من مرزق وفزان إلى طرابلس تقدر ما بين 500الى 2000 قنطارا سنويا وكان التجار اليهود و الايطاليون في طرابلس يشترون السنا ويرسلونها إلى ليفرنو والبندقية ونابولي وجنوة

[1]) - رجب نصير الأبيض : المرجع السابق ، ص ص 262 ،264.

[2]- R.G.V. : L'Afrique ou histoire,mœurs,usages,et coutumes des africain,Tome3,paris,nepveu ,librairie ,passage des panoramas ,N° 26 ,1814,p.143

لتوزيعها على أسواق أوروبا.كما كان بعض هذا النبات يصدر إلى القاهرة عن طريق أوجلة ([1]).

وتعتبر نبات السنا المرسلة من غدامس أجود وأعلى سعرا من تلك التي تصل من تبستيويفيد مصدر أن حوالي 2000 قنطارا من نبات السنا ترسل سنويا من غدامس وحدها شمالا إلى الساحل (لمدينة جربة) حيث يتولى التجار اليهود شحنها بالسفن إلى ايطاليا وقد ذكر فوجل في عام 1853م أن بلاد الأير كانت ترسل إلى مرزق حوالي 50 ألف رطل من أوراق السنا ولكن عندما فرضت سلطات الجمارك عليها ضريبة تقدر بحوالي 24 قرشا توقفت المتاجرة في نبات السنا، وبالتالي انخفضت قيمته حتى أصبح قيمة مائة رطل منه يعادل 25 قرشا فضيا .

ثالثا ــ العاج : ويعد العاج من سلع العبور الهامة التي تمر عبر مرزق وافدة من برنو وكانت سلطات جمارك مرزق تفرض ضريبة 3 على قيمة العاج المرسل عبر هذه المدينة إلى طرابلس بياضه لامع وأكثر مرونة لصناعة الأشياء الدقيقة وقد لوحظ أن أنياب الفيلة في المناطق الأخرى من بلاد السودان الغربي أفضل بياضا من تلك التي في برنو، فضلا عن أنها أكثر صلابة، وكانت و أرادت طرابلس من العاج الوارد إليها من ما وراء الصحراء يذهب معظمه إلى بريطانيا،حسب تقارير القنصلية البريطانية في السنوات الأخيرة من سبعينات القرن التاسع عشر،حيث وصلت جملة واردات العاج المصدرة عن طريق طرابلس بما قيمته 64000 جنيه إسترليني، وتناقص في ثمانينيات القرن التاسع عشر إلى اقل من 3000 جنيه إسترليني ([2]).

رابعا– الجلود : تشتهر مدينة غات ببعض الصناعات المعتمدة على الجلود أهمها تصنيع الأحذية كما تدبغ جلود الماعز وترسل إلى غدامس في شكل حزم كبيرة حيث تشكل كل حزمتين حمولة جمل، كما تأتي إلى غات الجلود السودانية التي تتولى القوافل نقلها مدبوغة أو في وضعها الخام بلونها الأحمر والأصفر وهي في غالبيتها من جلود الماعز، وتربط في حزم ويبلغ عدد جلود كل حزمة عشرة قطع وهي تتضمن جلود بمقاييس مختلفة ومنها ما هو صلب ولين ويبقى قسم كبير منها في البلد حيث يصنع منه صنادل صفراء وحمراء وأحذية.

[1]) ـ نجمي رجب ضياف : المرجع السابق ، ص ص 220،227.
[2]) ـ رجب نصير الأبيض : المرجع السابق ، ص ص 266 ، 268.

ومن أهم الأسواق بالمنطقة سوق مدينة تميمون كان لهم سوق بمقاطعة قورارة ، سوق مدينة تمنطيط، وسوق أدرار، وسوق تمنطيط ، وقال صاحب كتاب (القول البسيط) : ((...فاعلم أن مدينة تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات ولقد اجتمع فيها العلم والعمارة والولاية والديانة والرئاسة، وانتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع ، وكاد لا يستغني عنها غني ولا زاهد ...ولا يقنع ذو سلعة عرضها إلا سعرها ...)) .

وكانت التجارة الخارجية لإقليم توات لا تكاد تخرج عن المحاور الخمسة الآتية:

-المحور الأول: التبادل التجاري مع أسواق السودان الغربي.

- المحور الثاني :كان مع أسواق تافيلالت سجلماسة ومراكش بالمغرب الأقصى .

- المحور الثالث :كان مع أسواق غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس .

- المحور الرابع: كان مع قبائل الطوارق والبربر الضارية جنوب توات

- المحور الخامس:كان مع أسواق الشمال الجزائري ، مثل قسنطينة، وهران، العين الصفراء، سعيدة ،ورقلة ، وكان التجار التواتيون هم الذين يتوجهون على رأس قوافلهم التجارية المحملة بالسلع إلى أسواق السودان الغربي،وسلعهم تشمل:القهوة والسكر و الملابس المطرزة، والأسلحة النارية والتمور والحناء والشمة التواتية، وكان التجار التواتيون يبادلونها هناك بالعبيد والذهب الخام وريش النعام والعاج والأقطان وغيرها ([1])، وبصوره عامة تحمل القوافل خلال اتجاهها من الشمال إلى أسواق الصحراء البضائع الآتية([2]):

1-الأقمشة المختلفة من كل جنس، ونوع إفريقي، أوربي، بيضاء ملونة، ومزركشة، صوفية وقطنية، وحريرية، وكتانية ، ومن أشهرها الجوخ والشاني .

2- الأسلحة المختلفة للدفاع والهجوم، لتسليح القوات المحلية، كالدروع، والخوذ، والخناجر، والسهام والقوس، وأقواس النشاب، والبنادق، وكان الأمراء والسلاطين يتبارون في تسليح قواتهم المحلية حتى يفرضوا احترامهم على جيرانهم .

3 - السروج ، والألجمة والمهامر للأحصنة ، والبغال والجمال.

---

[1]) - فرج محمود فرج: المرجع السابق ص، ص 70، 72.

[2]) - يحي بو عزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين ،دار هومة للطبع والنشر والتوزيع الجزائر 2001م ، ص،ص 51،53.

4- الأدوات الحديدية: كالقدور، والسكاكين، والإبر والأواني المنزلية الأخرى ، وأدوات الزينة الجلدية، والنحاس الأصفر والنحاس العادي، سواء كان على شكل سوائل وصفائح، أو قوالب، وأسلاك النحاس، والكبريت، ومعظم هذه الأدوات كان يؤتى بها من مدينة البندقية الايطالية إلى موانئ طرابلس، والجزائر، ووهران وهنين.

5ـ الروائح العطرية ، والأدوية العشبية ، والبهارات ، ومواد الصباغة ، والعطور، والشاي والسكر ، وصمغ الصنوبر ، ونبات تاسلغة ، والتي تستعمل للطبخ والزينة.

6ـ.الكتب:المخطوطة،والمنسوخة،والورق،والأقلام،وذلك،بسبب،ازدهار الثقافةالعربيةالإسلامية وانتشارها بشكل واسع،واهتمام العلماء بتدريس العلوم الإسلامية في مختلف مراكز العمران الصحراوية،وعلى رأسها تومبكتو،وتوات، وورقلة، وتقرت، وغات وغدامس،وجني([1])،وكان يذهب علماء الشمال من طرابلس، والجزائر، وتلمسان، وفاس، ومكناس ومراكش إلى هذه المراكز للتدريس فيها، ونشر الثقافة الإسلامية بالسودان الغربي أي جنوب الصحراء ومن أشهر العلماء المحليين أحمد بابا التمبكتي ، ومن أشهر العلماء الذين ذكرتهم المصادر والمراجع الوافدين : عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي ساهم كثيرا في نشر العلم والمعرفة بما كان يتمتع به من فقه وعلوم إسلامية أخرى ([2]).

7- بغال المغرب العربي :المرغوب في اقتنائها بكثرة في الصحراء ، وذلك لضخامتها وقوتها وقدرتها على الكر والفر في الحروب التي كانت قد عرفتها المنطقة ، وكان البغل الواحد منها يقايض بثمن يتراوح ما بين خمسة عشر عبدا إلى عشرين عبدا أسود في بورنو.

8- الخضر الجافة ، والزيوت ، والشحوم ، والزبدة ، والأغنام والأصواف ([3]).

والحق لقد كانت هذه البضائع المتنوعة والكثيرة، المغربية، الأوربية، والآسيوية تحمل إلى مختلف أسواق السودان وتبيعها، وتبيع معها حتى الجمال التي حملتها إلى هناك بسبب تعبها الذي عانت منه في قطع المسافة الطويلة ، وإرهاقها وضعفها من شدة نقل الأحمال، وطول المسافات الشاقة التي قطعتها، ويقوم التجار بشراء جمالا أخرى شابة وقوية

[1]) – يحي بوعزيز : المرجع السابق ، ص 52.
[2]) - نجمي رجب ضيف : المرجع السابق ، ص 197 ،200.
[3]) - جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص ص 159،163.

ويقتنون سلع السودان، ويعودون بها إلى الشمال مع مطلع فصل الربيع وأهمها: العبيد السود ذكورا وإناثا، والذهب ، ومعدن النيلة والملح، والعاج، وريش النعام، والجلود المدبوغة، والجمال والتمور والجبن المجفف ،والسمن وبعض الأقمشة الإفريقية والأحجار الكريمة ([1]).

هذه السلع التي كان يتبادلها سكان الشمال مع سكان السودان الغربي ، وقد حاولت ذكرها ولو بشيء من التوسع حتى أوفر للقراء مادة معرفية قد تفيده في معرفة نوع البضاعة التي كانت يتبادلونها الطرفان خاصة أن المراجع التي اطلعت عليها قد ركزت في ذكرها والتعريف ببعضها .

أولا: العملات المستعملة وأسعار السلع كانت التجارة في الصحراء، تتم بالتبادل العيني في معظم الأحيان نظرا لقلة العملات، وضعف انتشارها واستعمالها، فكمية من الملح مثلا يتم تبادلها بعشرين وزنة من البشنة أو اللوبية الأهلية، وحمار واحد يباع بألفي وزنة من البشنة وهو ما يعادل عشر حمولات بعير، أو قطعتين من القماش الأسود الم خيط، وزوج من التقاشر (الجوارب)، وحمولتا بعيرين من الأرز، ومزودان يباعان بقطعة قماش ذات مقاس أربعين كوري([2])، والى جانب التبادل العيني للسلع هناك عملات شاع استعمالها في تجارة الصحراء بعضها محلية، والبعض مستورد من الخارج منها:

1ــ عملة حديدية منتشرة كثيرا في مناطق غينيا كما ذكر ذلك بن بطوطة .

2ــ عملة نحاسية حمراء، رقيقة وغليظة، ذات قيمة منخفضة جدا، بحيث أن أربعمائة قطعة رقيقة منها لا تساوي دوخة واحدة، وبعض الأقمشة الإفريقية والأحجار الكريمة.

3ــ عملة الملح المعدني الذي يقطع إلى قطع صغيرة مختلفة الأحجام، والأشكال تستعمل في البيع والشراء، كما يستغل دقيق الملح نفسه، خاصة في ولاته ، فهناك قطع تساوي عشرون دوخة أو مائة وستون فرنكا، وقطع تساوي ثلاثون دوخة أو مائتين وأربعون فرنكا، وقطع تساوي أربعون دوخة أو ثلاثمائة وعشرون فرنكا، وتساوي حمولة الملح في تومبكتو ثمانون دوخة على عهد الحسن الوزان أما في تغزة وبلمة فلا تستغل عملة الملح في التعامل

[1]) - يحيى بوعزيز : المرجع السابق ،ص ص 53،54.

[2])- فرج محمود فرج : : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977 م ، ص ص 69،76.

التجاري ([1])، وبصرفة عامة فان الملح تكاد تكون محتكرة للبدو الرحل.

4ــ الكوري " **couris**" وهي عملة فارسية ، مستوردة قيمتها منخفضة جدا بحيث أن ألف كوري تساوي 0,75 فرنكا ، وتشبه عملة الزجاج ، والجلد ، اللذين كانتا مستعملتين لدى القرطاجيين([2]).

5ــ عملة ذهبية على شكل قطع ، أو تبر.

6ــ الدوخة ducat، الذهبية، والفضية.

7ــ الدراخمة : وهي عملة مستوردة من الخارج من طرف التجار .

8-الدينار الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي ، -المثقال الذهبي : ويساوي تسعة عشر فرنكا في تومبكتو.و المجيدي: ويساوي أربعة ونصف فرنك .

9- المحبوب الذهبي: الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي. - الموزونة الذهبية: الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب العربي.

10ــ الصائمة النحاسية: الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب العربي.- الدورو الفضي الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي .

11- البنتو " **Pinto** " وهي عملة أجنبية مستوردة من الخارج ([3]) .

جدول يوضح أهم العملات المتداولة في ولاية طرابلس الغرب

العمـــــــلـــــــة	الـقيـمـــــة المعادلة بالعثمانية
قرش عثماني	40 بارة([4])
القرش العربي أو الطرابلسي	100 بارة
الصغريتة أو سبيلية	120 بارة
بشليك أي بوخمسة	5 قروش عثمانية
الغولدن النمساوي نصف ليرة (تالر)	بقيمة 10 وثلاثة أرباع قروش عثمانية
ريال غات أو فزان	15 قرش عثماني
المحبوب	20 قرش عثماني
بوطير([5]) أو ليرة ماريا تيريزيا	23-25 قروش عثمانية
الفرنك	5 قروش عثمانية

من خلال دراستنا للجدول نلاحظ أن ولاية طرابلس كانت مركز تجاري مهم، فتنوع العملات في هذه الفترة وفي هذه المنطقة دليل واضح على قوة التجارة، من حيث الاستيراد والتصدير

[1]) ـ عمر افا : المرجع السابق ، ص ص 297 . 316.

[2])- يحي بو عزيز : نفس المرجع السابق ، ص ص . 53 . 54.

[3])-Henri stuchli : l commerce de la France avec le soudan(paris –challamell 1864) pp ; 23 ,30

[4]) ـ البارة تساوي 0.52652 ريال ، أي أن "1000" بارة تعادل ريال أبو طير .

[5]) ـ ابو طير = 2.30 فرنك ، تتداول هذه العملة في تمبكتو ونواحيها ، وكذلك في توات وسوق كانو وكوكه .

وانعكاس هذا التقدم التجاري على تطور المنطقة ، ويدل على التجارة الدولية في هذه المنطقة المرتبطة بإفريقيا الغربية وأوربا .

كانت تجارة القوافل الصحراوية مربحة إلى حد بعيد ، رغم الأتعاب والمشاق التي يتكبدها التجار في ممارستها ، وهذا ما أدى الأ وربيين إلى التنافس على غزو المنطقة واستعمارها خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فالحمولات التي تخرج من طرابلس الغرب سنويا إلى السودان لا يقل عددها عن ألفي بعير ،حسب التقدير التاجر الطرابلسي مختار بن زقلاو إلى الضابط بورو، ومعدل قيمة الحمولة الواحدة ألف ومائة فرنك، وتحتوي على سبعين قطعة قماش مالكي، تزن ثلاثة قناطر طرابلسية (*) أي مائة وخمسون كيلوغرام، وعندما تطرح مصاريف جمارك الطريق ، ت نخفض قيمتها تساوي أربعمائة وخمسون فرنكا ودخلها خمسمائة فرنكا، وذلك يعني في تجارة الجملة، أن مليونين ومائتي ألف فرنكا تؤدي إلى ربح مليون فرنكا .

وكانت تؤخذ القطعة القطنية المالطية ذات مقاس اثنان وعشرون مترا تباع في طرابلس بمبلغ ثماني فرنكات ، وفي الجزائر بمبلغ ثلاثة عشر ونصف فرنكا ، وفي كانو بمبلغ ثمانية آلاف كوري (ستة عشر فرنكا)، وفي تومبكتو بمثقال (**) ونصف ذهبي .وقد أورد كوداري نموذجا لأرباح تجارة القوافل الصحراوية (1)، وذكر أن الحصان الجيد الذي يساوي ثلاثين دوخة (مائتان وأربعون فرنكا) في شمال المغرب، يقايض في السودان الغربي بسبعة عشرة عبدا أ سود، معدل بيع كل واحد منهم بخمسة وعشرين دوخة في المغرب، وهو ما يعادل أربعمائة وخمسة وعشرون أو ثلاثة آلاف وأربعمائة فرنك، فمبلغ مائتان وأربعون فرنكا أنتجت ثلاثة آلاف وأربعمائة فرنك ،وعندما يطرح ألف فرنك دوخة كمصاريف للطريق ويعطى مبلغ ألفان وأربعمائة فرنك،ربحا قدره ألفان ومائة وستون فرنكا ربحا صافيا وهو ما يعادل تسعمائة بالمائة (900%)(2).

أما أسعار البضائع في السودان الغربي فكانت كالآتي: جدول رقم (1)

* القنطار الطرابلسي = خمسين كيلو غرام

** المثقال = تسعة عشر فرنكا

1) - عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 37

2) - يحي بوعزيز : المرجع السابق ، ص ص ،55 . 56

السلع	أسعارها في السودان الغربي
العاج	– من مائتان إلى مائتان وعشرون ألف كوري للقنطار الطرابلسي ويساوي ما بين مائتان إلى مائتان وعشرون فرنك.
ريش النعام	– من خمسون إلى ستون ألف كوري للكيلوغرام ، أو من خمسين إلى ستين فرنك.
تبر الذهب	– من سبعة ألاف إلى ثمانية آلاف كوري للمثقال .
العبد الذكر	– من مائة وعشرون إلى مائة وثلاثون ألف كوري أي مائة وثلاثون فرنك .
العبد الأنثى	– من مائة وخمسون إلى مائتي ألف كوري أو ما يعادل مائة وخمسون إلى مائتي فرنك

بعد دراسة الجدول رقم(1): نستنتج أن السلع الهامة ذات القيمة التجارية أسعارها مرتفعة إذا ما قورنت بأسعار المواد الأخرى، خاصة سلعة العاج لكثرة الطلب عليه،لأنه كان يصدر إلى أوربا، لأنه يدخل في صناعات متعددة، وكذا تجارة العبيد، لأنها كانت جد مربحة لتصديره إلى الأراضي الجديدة، لاستغلاله في الزراعة .

أما أسعار البضائع في طرابلس فكانت كالآتي([1]) جدول رقم (2)

السلع	أسعارها في طرابلس
العاج	– من مائتان إلى ثلاثمائة محبوب للقنطار أومن ألف إلى ألفان ومائتان فرنك.
ريش النعام	– من خمسة إلى خمسة وربع محبوب للكيلو غرام أو من عشرين إلى واحد وعشرين فرنك.
تبر الذهب	– ثلاثة محبوب للمثقال أو ثلاثة عشر فرنكا.
العبد الذكر	– من سبعين إلى ثمانين محبوبا أو من مائتان وثمانون إلى ثلاثمائة وعشرون فرنكا.
العبد الأنثى	– من مائة إلى مائة وعشرون محبوبا أو ما يعادل أربعمائة إلى أربعمائة وثمانون فرنكا .

من خلال دراسة الجدول (2) والمقارنة : نستنتج أن هذه المواد كانت ذات أهمية اقتصادية ، وخاصة الأرباح التي كانت تدرها على التجار العر ب وغيرهم، وخاصة تجارة العاج والرقيق التي اعتبرها الأوربيون تجارة مربحة، التي كانت تتم عبر المحيط الأطلسي ولكن أواخر القرن التاسع عشر، ومع ظهور الثورة الصناعية، بدأت الدول الأوربية وخاصة بريطانيا في الإعلان عن توقيف هذه التجارة ، ليس حبا في احترام الإنسان الإفريقي، وإنما لمصالحهم الاقتصادية، وبداية التفكير فـي استغلال خيرات إفريقيا من المواد الأولية، التي تحتاجها الثورة الصناعية في أوربا([2]).

ثانيا: الضرائب المفروضة على التجار وكيفية دفعها عند تتبعنا لما يدفعه التجار وقيمة ما

[1]) ـ ابراهيم أبو القاسم : المرجع السابق ،ص ص 15 ،18.

[2])- محمد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السابع، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1408 هـ/ 1988م ، ص 150.

يسددونه أثناء رحلتهم يمكن تحديدها على النحو الآتي:

1ــ من طرابلس إلى غات اثنان ونصف بينتو، لثلاثة قناطر ونصف طرابلس.

2- من غات إلى ايفروان واحد بينتو للقنطار الواحد أو ما يساوي سبعين فرنكا للحمولة الواحدة.

3ــ من ايفروان إلى زندر عشرون ألف كوري للقنطار (سبعون فرنك للحمولة) .

4ــ من زندر إلى كانو خمسة آلاف كوري للقنطار (سبعة عشر ونصف فرنك للحمولة)ويتقابل التجار فيدفعون بضائع بسعر يعادل نصف القيمة الحقيقية للنقل وخلال العودة تنخفض أسعار النقل ، وتتم على الشكل الآتي :- من كانو إلى ايفروان 40 ألف كوري للقنطار (مايعادل 40فرنك) .

5- من ايفروان إلى غات اثنان ونصف بينتو للحمولة (ما يعادل ثلاثون فرنك) .

6- من غات إلى طرابلس اثنان بينتو للحمولة (ما يعادل أربعون فرنك) .

وهناك نموذج آخر لأسعار النقل أورده ستوكلي على النحو الآتي: ([1]).

1-من غدامس إلى غات من اثني عشر إلى خمسة عشر قرش تركي للقنطار ، أي إحدى عشر ونصف فرنك.

2ــ من غات إلى كانو ما بين عشر و ثلاثون ألف كوري للقنطار الواحد (ستون ألف كوري لثلاثة قناطر) أو ما يعادل اثني عشر ألف فرنك.

3- من توات إلى تومبكتو ما بين اثني عشر وأربعة وعشرون مثقال ذهب لحمولة ثلاثة قناطراو خمسة وأربعون محبوب لحمولة سبعين قطعة قماش مالطية تزن ثلاثة قناطر طرابلسية، وهو ما يعادل مائة وتسعون ألف فرنك ([2]).

4- من توات إلى تومبكتو يدفع التجار خمس محبوبات لطوارق الهقاروعشرة محبوبات أو نصف مثقال لعرب البرابيش، وبذلك فان حمولة مائة وخمسون كلغ من الجزائر إلىتومبكتو تكلف ثلاثمائة وثمانون فرنك أي مائتان وخمسون فرنكا لمائة كيلوغرام.

---

[1]) - يحيى بوعزيز : المرجع السابق ، ص ص ، 123 ،126.

[2]) - عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ص ، 45 ،47.

ثالثا:ضرائب الجمارك يدفع التجار ضرائب الجمارك، ذهابا وإيابا والتي تضاف إلى أسعار النقل ويمكن تحديدها على الشكل الآتي:

1ــ في غات خلال الذهاب واحد مجيدي للحمولة (أربعة ونصف فرنك) وخلال العودة اثنان مجيد (تسعة فرنك).

3ــ في اقاديس عشرون فرنك للحمولة.

4ــ في كانو: خلال الذهاب خمسة وعشرون فرنكا للحمولة خلال العودة عشرون فرنكا.

5ــ في زندر: خلال العودة، العاج وريش النعام عشرون فرنكا للحمولة والباقي عشرة فرنكات للحمولة .

رابعا:النشاط التجاري في غات كان الموقع وسط بين مجموعة من المراكز الصحراوية مثل غدامس ومرزوق بالإضافة إلى كونها إحدى المحطات الرئيسة للتجارة مع بلاد السودان الغربي فقد ارتبطت مع فزان وتوات وبلاد الهقار والابير وغدامس وطرابلس ومصر ، فأصبحت سوقا في التقاء القبائل التي يقصدها في المناطق المحيطة بها والتجارة الصحراوية بصفة عامة وكانت من ثمة سوق تجميع وتصريف يقصدها التجار من مختلف الجهات ، وتنعقد فيها أسواق سنوية معلومة التاريخ لهذا الغرض ([1]).

خامسا:تكاليف النقل تشكل تكاليف النقل جزء أساسا من أسعار السلع المتداولة في تجارة القوافل نظرا لطول المسافة التي تقطعها فيما بين أسواقها و طول الزمن الذي تستغرقه القوافل في سيرها وما يهددها من أخطار، وقد بذلت جهود كثيرة للحفاظ على إطار معين لهذه التكاليف، ولما كان الجمل هو وسيلة النقل الرئيسة على مدى حوالي ألفي سنة دون استبدال فقد تولت قبائل عديدة الاهتمام بتربية الإبل وتوفير أعداد جاهزة توضع تحت الطلب لتوظيفها في الحركة التجارية، واختصت بعضها خاصة تلك التي تستقر في المناطق القريبة من طرق التجارة بتأجير جمالها لهذا الغرض، واعتمدت تقاليد للتعامل في هذا الإطار، ومنها تحديد أسعار النقل وقد جرى بعض أصحاب القوافل على شراء الجمال التي يحتاجها في

[1])- نجمي رجب ضياف : مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، ط 1، 1429هـ/1999م ، ليبيا ، ص 164.

تسيير القافلة، و هذا يعني أن تكلفة النقل يجب دراستها في حالتين هما: ([1])

1-حالة استئجار الجمال. 2- حالة شراء الجمال.

سادسا:نماذج من المبادلات التجارية لقد كانت العمليات التجارية مع بلاد السودان الغربي تدرّ على القائمين بها من أبناء الشر ق والغرب الجزائري أرباحا طائلة تبلغ في بعضالأحيان أكثر من خمسة أضعاف ثمن الشراء، وذلك على الرغم من ارتفاع مختلف أنواع المصاريف وهذه الجداول يوضح ذلك .

يمثل الجدول:لوحة رقم خمسة(5)،جامعة لأهم واردات الشرق الجزائري من سوق كاتشنة([2])

اسم المادة	وحدة القبض	ثمن شرائها	ثمن البيع	نسبة الفائدة
الزبد	الوزنة	19فرنكا	80فرنكا	% 320
الأقمشة القطنية	القطعة	32,5	49	% 180
أنياب الفيلة	القنطار	50	600	% 1100
جثث النعام	الواحدة	8,75	80	% 800
الكورو	القنطار	120	1000	% 740
العسل	القنطار	52,52	144	% 170
جلد بقر الوحش	الواحد	0,9	8	% 790
التبر	غرام	4,2	11,70	% 175

التحليل: بعد دراستنا للجدول نلاحظ أن تنوع المواد المستوردة، ذا ت أهمية اقتصادية وتجارية عند ساكنة الشرق الجزائري، وذلك للأرباح التي تدرها على التجار المستوردين. بعد تصديرها إلى أوربا عبر البحر الأبيض المتوسط وتكمن أهميتها فوائد ها في المجال الصناعي و الطبي كالذهب والعاج .ونلاحظ هذا من خلال نسبة الفائدة المرتفعة جدا، كما أن جميع هذه المواد تدخل في المجال الصناعي، وسبب ارتفاع فوائدها تصديرها إلى الخارج أوربا والولايات المتحدة الأمريكية .

يصدر من إفريقيا الغربية وبلدان المغرب العربي ، وهذا دليل واضح على ازدهار

[1]) - عمر افا : المرجع السابق ، ص ص 329،348.

[2])- محمد العربي الزبيري : التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792م-1830م ، ط2-المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م ، ص170.

التجارة بالشرق الجزائري ، وارتباطها بالتجارة الدولية .

لوحة رقم سبعة (7)، جامعة لأهم صادرات الشرق الجزائري من المدن المختلفة ([1]).

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
ورقلة	أحير اغادس كاتشة كانو وهاوسة تومبكتو نوفي	التمور ،الأقمشة الصوفية ، الأقمشة الحريرية ، الأسلحة صفائح السيوف ، ريش النعام ، وبعض المصنوعات الاروبية المستوردة من أسواق المغرب .	التبر ، العبيد ، أنياب الفيلة ، الأقمشة القطنية ، من كانو ، الكورو ، الزبد ، الحشيش من أحير ، جلود بقر الوحش ، البر نكو ، فول السودان ، النطرون البخور الأسود ،
قسنطينة	نفس الأسواق	الحبوب ، الزيوت ، المرجان الأسلحة ، التوابل ، المسك ، الشواشي ، الشيشان ، ماء الزهر ، الزعفران ، والكاغط	
الوادي	نفس الأسواق	البارود ، التمور ، الأقمشة الحريرية من تونس ، مواد الزينة والمظلات	
توقرت	نفس الأسواق	التوابل ،والعطريات ومواد البزازة من تونس التمور والبارود والبرانس .	

التحليل: من خلال دراستنا للجدولين (7): نلاحظ تنوع المواد المصدرة، وذلك يدل على قوة التجارة وتطورها في المنطقة خلال هذه الفترة وارتفاع نسبة الفوائد، من العملية التجارية، تطور الثقافة التجارية عند الجزائريين، وتطور التجارة الخارجية آنذاك.وجود أسواق متعددة بالجزائر، وظهور مدن تجارية، أدى ذلك إلى ارتفاع الميزان التجاري بالمفهوم الحديث والنمو المطرد للعملة المحلية، وتوحيد قيمة العملة بين الدول المتبادلة تجاريا، فاكتسبت هذه التجارة تسمية التجارة العالمية، قبل أن يعرفها الغرب. و المواد المتبادلة تجاريا ذات أهمية اقتصادية عالمية، مثل الذهب الذي ما زال لحد الآن يعتبر مادة إستراتيجية في الاقتصاد العالمي،وهذا ما جعل اليهود يسيطرون على هذه التجارة خلال العصور الوسط ى والعصر الحديث .

[1]) - محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ص ص 171،172

جدول رقم (1)،يبين لنا أنواع وحجم وثمن السلع التي جاءت مع إحدى القوافل القادمة من الشمال الجزائري (عين الصفراء) لمبادلتها بالسلع التواتية عام 1900/1899([1]) .

نوع السلعة	الحجم أو العدد	الثمن
خراف الضان	558 شاة	15 فرنك للشاة
السمن	320 كيلو	2فرنك للكيلو
الجبن	530 كيلو	2 فرنك للكيلو
جزات الصوف	870 كيلو	2,5فرنك للجزة
الدقيق	69 كيلو	80 سنتيم للكيلو
القمح	16 قنطار	30 فرنك للقنطار
الفول الجاف	1360 كيلو	30 سنتيم للكيلو
الشعير	13 قنطار	20 فرنك للقنطار
الزيت	20 لترا	1,20 فرنك للتر
الشحم	62 كيلو	1 فرنك للكيلو
الصابون	35 كيلو	60 سنتيم للكيلو
الشمع	50 رطلا	50 سنتيم للرطل

التعليق : بعد دراستنا للجدول رقم(1) ، يبين لنا الجدول أنواع ، وحجم ، وثمن السلع ، التي عادت بها قافلة عين الصفراء من أسواق توات وذلك تنوع المنتجات القادمة من سوق العين الصفراء و المشرية.الأرباح التي تجنيها هذه القوافل التبادل التجاري ، عن طريق المقايضة بالتمر،أو نقدا غنى هذه المناق في الجائر بالمنتوجات الحيوانية،والزراعية.

(الهضاب العليا جغرافيا).تصدير المواد المستوردة إلى أوربا عبر البحر الأبيض المتوسط، عبر السكك الحديدية من عين الصفراء إلى وهران ومن ثم إلى أوربا، وكان اليهود هم الذين يقومون بالعمليات التجارية.([2])

ثامنا:الأوزان والمقاييس انه من الصعب التوصل إلى تفسير دقيق حول مسالة تباين الأوزان والمقاييس في بلد تنعدم فيه كل رقابة ولا تتوفر فيه الوسائل التي تضبط بها دقة هذه الموازين.

[1]) - فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص ص 73-75.

[2])- مراسلات انطونيو بيراز ما بين العين الصفراء و فرنسا سنة 1895 و 1901 م، وثيقة رقم واحد، (ملحق رقم واحد).

ويشير فاضل حنين محمد أن الأوزان في غات هي الكيل والصاع والنقاصة ([1]) ، وعادة ما تستعمل في طرابلس الأوقية([*]) ويشير التاجر" محمد مصطفى عون الله" أن الأوقية كانت سائدة في غات في القرن التاسع عشر فكل أربعين أوقية تعادل قنطارا ، وكل أوقية تعادل أربعين أوقية، أي أن الأوقية تعادل حوالي واحد وربع كيلوغرام وأما الحساب فانه يقوم أحيانا في كل من مدينتي طرابلس وغات على أساس الرطل فكل مائة رطل يعادل قنطارا، وبالتالي فان كل رطل يعادل ستة عشرة أوقية، وان وزن الرطل حوالي خمسمائة غراما علما بأنه تزن ستة عشرة ليرة ماريا تيريزيا رطلا غاتيا، وهكذا ينتج أن الرطل الغاتي يبلغ أربعمائة وثمانية وثمانون وثمانية وثمانون جزء من المائة غراما(488,88 غراما) وهذا ما يناقض القول أن المثقال الطرابلسي في طرابلس أربعة وسبعة أثمان غرام(4,875جراما).

والمثقال الغدامسي أربعة وثلاثة أثمان غراما (4,375 غراما) وحسب القيمة الأخيرة فان الرطل في غدامس يبلغ أربعمائة وسبعة وثلاثون ونصف غرام(437,5غراما)، وقد اعتمد كراوزة في سنة 1879 م القاعدة التالية في الحساب وهي : أن مثقال غات = أربعة غرام وثمانمائة واثنين وثمانون جزء من الألف(4,882 غراما)، والرطل أربعمائة وثمانية وثمانون واثنين جزء من العشرة من الغرام (488,2 غراما) ([2]).

ومن ذلك يستنتج الآتي :

أ- الوزن العادي : قنطار واحد = مائة رطلا =ألف وستمائة أوقية = ثمانية وأربعون كيلو غراما وثمانمائة وعشرون غراما،رطل واحد = ستة عشرة أوقية =أربعمائة وثمانية وثمانون واثنين جزء من العشرة من الغرام (488,2 جراما) أوقية واحدة = ثلاثون ونصف غرام.

ب- وزن الفضة والمواد النفيسة: أوقية واحدة =عشرة دراهم = ثلاثون ونصف غرام درهم واحد= ثلاثون ونصف غرامات، أوقية واحدة = ستة عشرة خروب = ثلاثون ونصف غرام. خروب واحد = واحد وتسعة من عشرة غرام (1,9 غرام).

---

[1]) - يحيى بوعزيز : المرجع السابق ، ص ص 60، 63.

[*] الأوقية: تبلغ 16 جزءا من الرطل ، أي تساوي 30غراما.

[2]) - الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق ، ص ص 335 ،338.

جـــ – وزن الذهب: مثقال واحد:أربعة وعشرون قيراطا = أربع غرامات وثمانمائة واثنين وثمانون جزء من الألف (4,882 جراما) . قيراط واحد = صفر غرام ومائتان وثلاثة جزء من الألف (0,203 جراما) ([1]) .

3ـــ المقاييس نتناول في هذا الموضوع نوع المقاييس المستعملة في التجارة بين الشمال والسودان الغربي فمثلا : يقاس الحرير الطبيعي بالذراع ، بينما تقاس الأقمشة الأقل قيمة مثل الأقمشة الحريرية من النوع ((الساتان)) ولفات الحرير([2]).

وأنواع الكتان الجيد والمقلم تقليما رفيعا يقاس بالمتر ، ويؤكد" فاضل حنين محمد" من اكبر التجار في مدينة غات على ذلك ويضيف أن الأرض تقاس بالقامة وأما الأقمشة المختلفة الأنواع ومنها القطنية والتي تحمل أسماء محلية مثل المحمودي والمالطي والكمبرتش ، وكذلك الموسلين والكتان السميك ، فإنها تقاس باللفات (ويتراوح قياس اللفة الواحدة منها ما بين سبعة عشر إلى اثنان وثلاثون مترا) ، وأما المرايا والمناديل فإنها تباع بالدزينة" **Douzaine**"في حين كانت القهوة والشاي والسكر وبقايا الحرير فإنها تباع بالبوند ((الرطل)) .وأما الإبر فكانت تباع بالآلاف وأما اللؤلؤ والزجاج من الأنواع البسيطة ، فإنها تباع بالعلبة([3]).

تاسعا :– حجم التبادل التجاري يمكن الإشارة إلى أن تجارة القوافل بين طرابلس وبلاد المغرب العربي وبلاد السودان الغربي والأوسط كانت تسير معظمها عبر مراكز تجارية رئيسة ثلاثة هي:مرزق ،غات ،وغدامس، وقد بلغت أقصى ازدهارها ما بين سنتي (1872م–1881م)حيث وصلت جملة قيمة ما تحمله من سلع (أربعون ألف ليرة تركية)غير أن هذا الرقم تراجع في العشر سنوات الأخيرة التي تلت ذلك (1892م–1901م) ليصل إلى أربعة وعشرون ألف وسبع مائة وخمسون ليرة تركية، خلال الفترة ما بين(1904م–1905 م). كانت طرابلس المسيطرة على تجارة السودان الغربي غير أنها قد فقدت الكثير منها عندما تواجدت أسواق للتجارة في أماكن أخرى. ومقابل ازدهار تجارة القوافل في طرابلس منذ

---

[1]) - نجمي رجب ضياف : المرجع السابق ، ص 206.

[2]) - رجب نصير الابيض : المرجع السابق ، ص ص 250 ،254.

[3]) - يحيى بوعزيز : المرجع السابق ص ص 53،59 .

نهاية الستينات وحتى منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر، فان الوضع التجاري اخذ يعاني الكساد، بظهور استثمارات تجارية محلية، بتمويل أوربي، وهذ ا ما اثر سلبا فيما بعد على تجارة القوافل، وذلك منذ 1885م.

نقــد و استنتاج:

الدارس لهذا الفصل المتعلق القوافل التجارية وأهميتها الاقتصادية يستطيع أن يستنتج الآتي:

1-تنوع المنتجات التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي.

2- ظهور مدن وأسواق تجارية، لعبت دورا كبيرا في العملية التجارية،

3- التنظيم المحكم للعملية التجارية ، بظهور العملات على اختلاف أنواعها وتنوعها ودقتها.

4- ازدياد الربـح،وتطور التجار ة،دون اعتمادها على أسس علمية،أو نظام اقتصادي معين (ولكنها اعتمدت على مبادئ الفقه الإسلامي، كالبيوع،والزكاة).

5- وصول هذه التجارة إلى العالمية،ثم تدهورها بسبب عدة عوامل من بينها :

أ- الخلافات والصراعات السياسية الداخلية،حول الحكم.

ب- تطور أوربا، بع د ظهور الثور ة الصناعية، وتحكمه ا في الطرق التجارية البرية والبحرية.

ج- ظهور الاستعمار الأوربي، وظهو ر مبدأ السيطرة على إفريقيا وتقاسمها بين الدول الأوربية، مع ظهور العالم الجديد.

الـفـصـل الـرابـع: الدور الحضاري للقوافل التجارية الصحراوية

المبحث الأول: الدور الديني والثقافي

المبحث الثاني: الدور السياسي والاقتصادي للقوافل التجارية

المبحث الثالث: الدور الاجتماعي للقوافل التجارية

الفصل الرابع: الدور الحضاري للقوافل التجارية الصحراوية:

لعبت القوافل التجارية دورا حضاريا هاما، أثر في تكوين مجتمع إفريقي يحمل صفات جديدة، تتمثل في التعاليم الإسلامية.ولهذا فإن تجار الشمال الإفريقي كان لهم الدور الأساس في نشر الدين الإسلامي بصورة واسعة داخل إفريقيا الغربية، وبالتالي انتشاره إلى باقي القارة وانعكاس هذا الدور عل ى جميع المجالات : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

المبـــحـــث الأول: الدور الديني والثقافي:

كان انتشار الإسلام في غرب إفريقيا على يد العرب المسلمين تأثيرا عميقا في المجتمعات التي انتشر فيها ، وفي سلوك الناس ومعاملاتهم وفي ثقافتهم و علاقاتهم بعضهم مع البعض الآخر، وقامت في هذه المناطق التي استوطنها المسلمون وحدات سياسية وحكومات كان لها أنظمتها، وقد حاولت هذه الحكومات أن تطبق مبادئ الشريعة الإسلامية، ولما حدث انحراف في بعض سلوكياته ا وشعوبها عن التعاليم الأساسية للإسلام ، ظهر مصلحون حاولوا إصلاح حال المسلمين ومحاربة البدع بالطرق السلمية حينا وبالحرب والقتال حينا آخر وقد نوه الرحالة العرب والأوربيون أيضا الذين رأوا هذه البلاد التي انتشر فيها الإسلام بالدور الذي لعبه المسلمون في حياة المجتمعات التي استقروا فيها ([1]).

تأثر غرب القارة الإفريقية (السودان الغربي) بالحضارة الإسلامية والعربية والمبادئ التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، وكان لذلك أثر في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمناطق الأقاليم ، فالإسلام دينا وثقافة وتنظيما اجتماعيا واقتصاديا وساهم بمقوماته تطويعه للدين الجديد وتعاليمه السامية ([2])،وصاحب انتشار الإسلام في غرب

---

[1]) - محمد محمود : العلاقة الثقافية بين السكان في شمال وجنوب الصحراء الكبرى ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الجماهيرية ، أيام 15- 17 محرم 1428 هـ الموافق 12- 14 ماي 1998 م ، مراجعة د.عبد الحميد عبد الله الهرّامة ،طلية الدعوة الإسلامية ،ط1 الجماهرية العظمى ،1429هـ/1999 م ص ص 43،52.

[2]) - شوقي الجمل وآخرون : تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1996.ص 115.

إفريقيا، ظهور طبقة من المصلحين كانت واعية بما قامت به في محاولاتها الإصلاحية حيث سعت لمحاربة البدع والعادات السيئة التي كانت منتشرة بين الناس، ولما تسربت بعض هذه البدع للمجتمعات الإسلامية بغرب إفريقيا هرع المصلحون يدعون لتطهير المجتمع الإسلامي مما شابه من بدع وخرافات وشرك ووثنية ،مما لا يتفق ومبادئ الإسلام([1])، وانتشار الطرق الصوفية خاصة التيجانية والقادرية ،وما انبثق عنهما من طرق فرعية أخرى وقد لعبت هذه الطرق وأتباعها دورا بارزا في نشر الثقافة الإسلامية في الأقاليم وفي مقاومة الاستعمار الأوربي عندما تعرضت البلاد للغزو الاستعماري، الذي اندفع إلى المنطقة طمعا في ثرواتها ومتسلحا بما أمدته به النهضة الأوربية من أسلحة فتاكة متطورة مكنته من التغلغل في المناطق المجهولة والصعبة مستعملا عدة وسائل مادية وبشرية.

ومن بين العوامل التي ساهمت في انتشار الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا لعبت حركات الفتح والتوسع والجهاد، التي حفل بها تاريخ الإسلام في المنطقة خلال فترة طويلة، دورا واضحا كان لها اثر في نشر الإسلام ([2])، وهذا دليل على أن الإسلام قد انتشر باللين عكس ما يدعي الغرب المسيحي بل انتشر بمبادئه السمحة ويسره وسهولته وعدالته وإنسانيته، وأخلاق رجاله الذين يرفضون ظلمات الجهل بسلوكياتهم المميزة، مما أدى إلى انتشار الإسلام في غرب إفريقيا على نطاق واسع([3])، رغم وجود الاستعمار الأوربي الحديث الذي سلط نفوذه على إفريقيا، ففي ظل هذا الاستعمار قطع الإسلام أشواطا كثيرة، نحو الانتشار بالطرق السلمية ونوجز وسائل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا فيما يأتي :

1- دور التجار والدعوة الإسلامية: يعتبر التجار المسلمون أهم وسائل الدعوة الإسلامية في إفريقيا من داخل القارة وخارجها، حيث وفد الكثيرون على مر العصور على أجزاء القارة المختلفة بهدف أساسي هو التجارة، وان كان قد تبعه عامل هام هو عامل نشر الإسلام وقد

---

[1]) - شوقي الجمل: المرجع السابق ، ص 116.

[2]) - محمد أحمد الملقب شفيع : التواصل الحضاري العريق بين المناطق الإفريقية الواقعة شمال الصحراء الكبرى وجنوبها ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ،الجماهيرية ، أيام 15- 17 محرم 1428 هـ الموافق 12- 14 ماي 1998 م ، مراجعة د.عبد الحميد عبد الله الهرّامة ،طلية الدعوة الإسلامية ،ط1 الجماهرية العظمى 1429هـ/1999 م ص ص 159- 170

[3]) - خديجة النبراوي : تاريخ المسلمين ومشكلاتهم ، النهار للطبع والنشر والتوزيع،مصر 1418هـ/ 1998م ص 50.

عبر المؤرخ "ترمنجهام " عن هذا الدور الهام بقوله :" إن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير"([1])،وهذا يدل على أن التجار الذين نشروا الإسلام في غرب إفريقيا –مركز نقل الإسلام جنوب الصحراء –كانوا من البربر اللمتونيين من قبائل شمال إفريقيا الذين حملتهم القوافل عبر الصحراء ، والصحراء على اتساعها الشاسع إلا أنها ليست حائلا ، بل كانت –تقليديا– جسرا انتقل عبره الإسلام والثقافة والحضارة الإسلامية من الشمال إلى جنوب الصحراء مباشرة في بدء الأمر ، فيما يطلق عليه حاليا منطقة الساحل ((وهي تلك المناطق التي تجاور الصحراء في منطقة شبه السفانا والسفانا التي تتدرج نحو الغابات الاستوائية))، والصحراء لم تكن أصلا بهذا الجفاف والاتساع ، وقد عرفت طرق القوافل بين الشمال عبر الصحراء للتجارة : تلك التجارة التي كانت الوحيدة والأساسية في منطقة غرب إفريقيا ([2]).

وقد استمر الحال على هذا الوضع من ربط شمال إفريقيا بالمناطق جنوب الصحراء ، ذلك الربط الذي كان له مغزاه التجاري ولكن في الانتقال البشري أيضا ويهمنا على وجه الخصوص انتقال الإسلام وانتشاره عبر الصحراء، مقتفيا طرق تجارة القوافل التي وجدت قبل دخول الإسلام في المنطقة إلى أن جاء الأوربيون للساحل الغربي الإفريقي، فحولوا التجارة إلى مراكزهم الساحلية جنوبا (على سواحل غرب إفريقيا)، بعد أن كانت تتجه تقليديا نحو الشمال الذي كانت تتطلع إليه باعتباره العالم الوحيد المفتوح أمامها للتجارة والثقافة والمرجعية الدينية و هكذا فقد أدى هذا التحول إلى انكماش تجارة القوافل دون انتهائها، حيث ما زالت هناك تجارة قوافل وطرق عبر الصحراء تصل ما بين الشمال والجنوب و الشاهد على ذلك القوافل التي تصل مدينة تمبكتو و مدينة غاو من مدن شمالي مالي وغيرها ([3]).غير أن التأثير المغربي استمر طوال العهد بالإسلام،وكانت المجتمعات الإسلامية الجديدة،التي تنشا في شمال السودان، تقوم بدورها في نشر الإسلام في المناطق الواقعة إلى الجنوب عن طريق التجارة والطرق التجارية([4]).

---

[1])- Spenser trimingham a his buy of Islam is west Africa ,London :ox ford univ press 1962.p.31–

[2]) – حورية توفيق مجاهد:الإسلام في إفريقيا روائع المسيحية والديانة التقليدية،مكتبة الانجلو مصرية 2002، مصر ص 211

[3]) – حورية توفيق مجاهد : المرجع السابق ، ص 212.

[4]) – خديجة النبراوي : تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم ط1، 1418/ 1998م، النهار للطبع والنشر والتوزيع ص. 50

وفي غرب إفريقيا على وجه الخصوص كان لتجار الفولاني والحوصة والتكرور الدور الأهم في انتشار الإسلام،إذ كان هؤلاء التجار ينزلون في الأسواق الكبرى أو المراكز التجارية،ثم يحتكون بالزنوج عن طريقة التجارة ،ويؤثرون فيهم بأمانتهم وسلوكهم الشخصي، وغالبا ما ينتهي هذا الاحتكاك، بدخول كثير من هؤلاء الزنوج في الإسلام، ولذلك كاد الإسلام أن يتركز في المراكز التجارية الهامة وفي المدن الكبرى.([1])

واستطاع التجار العرب المسلمون الجمع بين التجارة والتعليم، فإذا ما استقر بهم المقام انشئوا مدارس لتعليم القرآن الكريم، أو أنشئوا مسجدا، وقاموا في نفس الوقت بمزاولة النشاط التعليمي والاقتصادي.

ويمكن تقسيم توغل المد الإسلامي العربي إلى غرب إفريقيا وأواسط بلاد السودان الغربي إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: يغلب عليها الاحتكاك السلمي وكان التجار البربر والعرب دعامته

المرحلة الثانية: يغلب عليها جهاد المرابطين الذين أعطوا النفوذ الإسلامي المتنامي اقتصاديا و ثقافيا سندا سياسيا.

المرحلة الثالثة: وقد جمعت بين السلم والجهاد وترتبط بالدعوة للعقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها بين المواطنين وفي هذه المرحلة انتقلت الزعامة الدينية والقيادية السياسية والاقتصادية والريادة الثقافية إلى السكان الوطنيين من "السودان الغربي " بعد أن تشبعوا بروح الإسلام. وعرفت المرحلة الأخيرة أيضا قيام عدد من الممالك الإسلامية السودانية تعاقبت على حكم المنطقة بين القرن الثالث عشر والسابع عشر الميلاديين وهي مالي وصنغى وإمارات الهوسا ([2]) .

ويلاحظ الباحث أن الضعف قد بدأ يدب في المجتمعات الإسلامية في غرب إفريقيا منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وما أن انتصف القرن الثامن عشر حتى ظهرت

---

[1]) حسين احمد: انتشار الاسلام في افرقيا، ... دور العلماء و التجار
http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=159
تم الاطلاع غليه بتاريخ 13.8.2009

[2]) - العرب وإفريقيا: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، يناير 1984، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية يوسف فضل حسن ص 40.

حركة إصلاح ديني بزعمها جماعة من المجددين والمصلحين تعمل على الإصلاح بعد أن تأثروا بالحركة الإصلاحية التي ظهرت في أجزاء العالم الإسلامي.مثل الحركة الوهابية بزعامة محمد بن عبد الوهاب في نجد بالمملكة العربية السعودية والحركة المهدية بزعامة محمد بن المهدي والحركة السنوسية بزعامة محمد السنوسي ، وسعى كل المصلحون إلى تكوين مجتمعات إسلامية سليمة في عقيدتها ونظيفة في تعاملها واتخذوا الجهاد وسيلة لتوسيع دائرة الإسلام ونشر تعاليمه بين الوثنيين ، وقد صادفت موجة الجهاد في بعض صورها بداية توغل الاستعمار الأوربي في المنطقة، فاتخذوا الجهاد سبيلا لمقاومة ذلك التوغل .

ولا شك أن دعوات الحركة المهدية التي انبعثت في ذلك الحين في السودان الغربي كانت في بعض مظاهرها رد فعل للهجمة الاستعمارية والتسلط الأوربي ([1])، وكان هؤلاء المصلحين من أبناء السودان الغربي بصورة عامة ومن قبائل الفولاني بصورة خاصة : ففي أقصى الغرب قاد إبراهيم موسى ([*]) (توفي 1751م)، الجهاد في" فوتا دجالون "ونجح في نشر تعاليم الإسلام وفي " فوتاتورو " في السنغال طرح سليمان بال ([**]) (توفي 1776م) التعاليم نفسها ، وفي شمال نيجيريا أعلن الشيخ عثمان دان فودي (عام 1804م) الجهاد ونجح نجاحا باهرا، ووسع أبناؤه من بعده دائرة خلافتسكت (سوكتو) حتى شملت أجزاء واسعة من المنطقة وانتهى نفوذها على يد الاستعمار ([2]) .وكان لدعوة الشيخ عثمان دان فودي وخلفائه أثرا بارزا على بلاد السودان الوسطى والغربية ، ففي ماسينة قاد حمد بري (1810م–1818م) ثورة مماثلة أدت إلى إنشاء دولة إسلامية، وأخرى قادها الحاج عمر بني سعيد من أتباع الطريق التيجانية، وسيطر الحاج عمر على معظم إقليم السنغال والنيجر وانتهى أمر دولته بالتدخل الفرنسي عند نهاية القرن التاسع عشر([3]).

---

[1]) - يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص 42.

[*] توفي سنة 1751م.

[**] توفي 1776م.

[2]) - يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص 43.

[3]) - عبد الخالق أحمدون : التواصل الحضاري بين المغرب والبلدان الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى من جلال وثيقة فقهية أعما ل ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ،الجماهيرية ، أيام . 15- 17 محرم 1428 هـ الموافق 12- 14 ماي 1998 م ، مراجعة د.عبد الحميد عبد الله الهرّامة ،ط1 الجماهيرية العظمى طلية الدعوة الإسلامية ،ط1 1429هـ/1999 م ص ص 519،523.

وهكذا كانت حركات الجهاد هذه قد وسعت من رقعة الإسلام ودعمت التواصل الديني والثقافي بين هذه المنطقة والوطن العربي، وربما زادت من معرفة الإقليم بما يدور حوله من مؤامرات استعمارية، ولكن مع علم هؤلاء المجاهدين بما لحق بالشمال الإفريقي من تدخل استعماري أوربي فإنهم لم يهبوا لنصرة جيرانهم أو أن يتحدوا فيما بينهم لمواجهة ذلك الخطر قبل أن يحيق بهم ، ولعل من هذا كله ما يشير إلى أن الصلات العربية الإفريقية لن تبلغ درجة من العمق تؤهلها لذلك الدور وشهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي بداية اضمحلال التجارة عبر الصحراء ، وربما كان مرد ذلك ، تلك الحروب التي اجتاحت المنطقة في أول القرن التاسع عشر الميلادي ، ولكن السبب الأساس يعود للضغوط الاروبية التي مارستها على الجزء الجنوبي من البحر الأبيض المتوسط حيث تنتهي الطرق التجارية الصحراوية.([1])

2ــ دور العلم والعلماء : لقد لعب الأمراء المسلمون دورا عظيما في تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا وغربها ، لان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أساسيات العقيدة الإسلامية وهو ما يضاعف مسؤولية الفرد المسلم ، ويجعله يسعى إلى طلب العلم وتعليمه للناس سعيا حثيثا لان ذلك فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، ولذلك فأعظم نشاط قام به الأفراد في ميدان الدعوة هو تعلم العلم الديني ، سواء عن طريق فقهاء بلد انهم ، أو في الشمال الإفريقي أو عندما حجوا إلى مكة وكانت ألقابهم تختلف باختلاف المجتمعات ،التي يعيشون فيها ، عندما حجوا إلى مكة وكانت ألقابهم تختلف باختلاف المجتمعات التي يعيشون فيها ، فبعضهم يسمى المرابط أو ((ألفا))، أو المعلم، أو القصبه ([2]) .

هؤلاء الناس يتمتعون بنصيب معتبر من الاحترام في المجتمعات التي يعيشون فيها، وكانوا أينما ذهبوا يعاملون بأعظم مظاهر الاحترام والتقدير، وفي استطاعتهم التنقل في حرية مطلقة من قرية لأخرى أو من إمارة لأخرى، ويلاقون الرعاية والتشجيع أينما حلوا،

[1])- ابراهيم محمد بلولة: الهجرات و القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى و اثرها في نشر الاسلام و الحضارة الاسلامية

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=160

تم الاطلاع غليه بتاريخ 5.9.2008

[2]) - توماس ارنولد : الدعوة إلى الإسلام (مترجم القاهرة 1957) ،ط2، القاهرة ،ص 391،396.

وهم ينشئون المدارس ويحفَظون القران الكريم لعامة الناس ، ويعلمون الأطفال المسلمين والوثنيين على حد سوا ء.وقد تعلم أكثرهم في مدارس المغرب العربي أو في مصر وقاموا بنشاط ملحوظ في نشر الإسلام بالسودان الغربي ، ولم ينفرد الرجال بهذا الأمر، إنما شاركتهن فيه النساء، فكثيرات منهن قمن بنصيب موفور في نشر الإسلام، و يذكر "السير توماس ارنولد" ([1]) " انه يرجع الفضل في إسلام كثير من أمراء المغول إلى تأثير زوجة مسلمة، ولا يبعد أن يكون مثل هذا التأثير سببا في إسلام كثير من الأتراك الوثنيين ، عند ما كانوا يعبرون على البلاد الإسلامية وقد أوصى السنوسيون بأهمية المرأة في هذا الشأن، فأنشئوا المدارس لتعليم البنات، واستغلوا مكانة النساء من نفوذهن القوي بين القبائل ([2]) .

3-الحج: كان الحج وما زال من أهم العوامل التي تيسر للمسلمين فرصة الالتقاء والتبادل الفكري والثقافي ، وقد حرص سلاطين الدول الإسلامية في غرب إفريقيا وشعوبها على أداء هذه الفريضة رغم ما كانوا يتكبدونه من مشاق لطول الطريق ووعورته ، وكانت هناك طرق معروفة تسلكها القوافل التجارية من أهمها : ([3])

أ- طريق صوب الشمال عبر الصحراء إلى ساحل البحر المتوسط ، ثم الاتجاه شرقا تجاه مصر ومنها عبر البحر الأحمر إلى الحجاز، و كان أتباع الطريقة التيجانية يفضلون هذا الطريق لأنه يتيح لهم فرصة زيارة مقبرة السيد أحمد التيجاني بفاس وبعض القبائل-خاصة قبائل الهوسا -كانت تفضل طريق تومبكتو – غاو-غدامس -طرابلس،لأنه كان آمنا، كما كان يتيح لهم الفرصة للتجارة في أثناء سيرهم في تلك الرحلة للحج، على أن الموكب الصحراوي لشعوب غرب إفريقيا كان بفضل الطريق الشمالي للحج-عادة يذهب الوفد المغربي عبر الشمال الإفريقي وليبيا ومصر، وكانت هذه فرصة مناسبة للاندماج والتعارف.

ب- طريق صوب الشرق إلى سودان وادي النيل (السودان اليوم) ، ثم ساحل البحر الأحمر فالحجاز وهذا الطريق كان يفتقر للامان والأمن ، فقد كان المسافر فيه يتعرض

---

[1]) - توماس ارنولد : المرجع السابق : ص 450، 451 .

[2]) - خديجة النبراوي : مرجع سابق ، ص 51.

[3]) - شوقي عطا الله الجمل: الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا، مجلة المناهل، العدد السابع، السنة الثالثة،ذو القعدة 1396هـ/نوفمبر 1976، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط –المغرب،ص 143.

للنهب بالإضافة إلى الحروب الداخلية والاضطرابات ولعل قبائل الهوسا –بعد إسلامها – كانت أكثر قبائل غرب إفريقيا حرصا على أداء فريضة الحج رغم العقبات التي كانت تواجهها ، وذلك راجع للحركة التجارية المستمرة.

وهكذا كانت رحلة الحج بالغة الأثر في نفس الإنسان الإفريقي الوافد من غرب إفريقيا مخترقا كل هذه الآفاق إلى الأراضي المقدسة، حيث يجتمع حجاج المسلمين من مختلف البقاع في وقت واحد ، فقد كانت هذه الرحلة تشعر الإفريقي بالأخوة التي تربط بين جميع المسلمين، وفرصة تحطم كل الفواصل القبلية بينهم وبين شعوب العالم الإسلامي وكما يقول ترمنجهام"**Trimingham** " ((إن شعورا بأن ديانة الإسلام دياية الأفارقة جميعا كان يتملك المسافرين في رحلة الحج)) ([1])، وهكذا أصبح خروج المسلمين من غرب إفريقيا ملوكا وشعوبا إلى الحج واتصالهم بالشعوب الإسلامية المختلفة في المغرب أو مصر أو الحجاز تأكيدا لروح الأخوة الإسلامية التي فرضها الإسلام ([2])، ولعل من أشهر مشاهد ركب الحجاج السودانيين التي سجلها التاريخ وفد الحجاج الذي كان على رأسه "منسي موسى" سلطان مالي (724هـ –1323م) والذي قيل انه كان يضم أكثر من عشرة آلاف حاج وقد مر بمصر في طريقه إلى الحجاز في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ، والذين تحدثوا عن هذا الموكب يعطون لنا صورة لعل فيها شيئا من المبالغة، لكنها لا تخلوا من حقيقة، فقد أحاط هذا السلطان نفسه بمظاهر الترف والإسراف في مصر وحمل معه كميات كبيرة من الذهب الخام، حتى قيل انه لم يدع أميرا من أمراء المماليك في مصر، ولا رب وظيفة سلطانية إلا أعطاه حمل ذهب كما أفاض من هباته على الفقراء في الأراضي الحجازية ومنح عن سعة حتى قيل إن قيمة الذهب انخفضت انخفاضا ملحوظا لكثرة ما أنفقه. وهذا يدل على شيئين أساسيين :

أ –ثراء ملوك وأمراء السودان الغربي في هذه الفترة.

ب– الصدقات التي أعطاها الملك منسي موسى نابعة من الحس والشعور والوازع

---

[1])-Trimingham : Op. .Cit. .p 88.

[2]) - عبد الجليل التميمي : الأبعاد الحضارية للصلات المغربية الإفريقية حلال العصر الحديث (إفريقيا والثقافة العربية الإسلامية) منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ' الإيسيسكو' الرباط ،1408 هـ - 1987 م ،ص ص57 . 62

والتكافل الديني بين المسلمين.

ج- ترسيخ المبادئ الإسلامية في نفس الملك، وتطبيقها على أرض الواقع.رغم حداثة إسلامه.

4- الطرق الصوفية ارتبط انتشار الدعوة الإسلامية في غرب افر يقيا بالذات بانتشار الطرق الصوفية وعلى الأخص القادرية التيجانية، وقد زاد عدد أتباع هذه الطرق الصوفية ولاسيما بين المشتغلين بالتجارة، وبين العلماء والفقهاء وقد لعب أتباع هذه الطرق دورا دينيا وسياسيا كبير الأثر في تاريخ وحضارة هذه البلاد ونهضتها، فقد أصبح كل مسلم تقريبا يرى لزاما عليه أن يرتبط بإحدى هذه الطرق الدينية ([1])،وأقام أتباع هذه الزوايا للعبادة ، وإيواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام ، و الاعتكاف بعيدا عن زخرف الحياة ولذاتها للدرس والتفقه في شؤون الدين الإسلامي الحنيف وكانت لكل طريقة تنظيماتها وأعضاؤها وعلى رأسهم شيخ الطريقة ، وللطريقة أورادها وتقاليدها الخاصة بها تختلف عن أوراد الطرق الأخرى، هذا وان كانت جميع تلك الطرق ترمي إلى غا يةٍ واحدة وهي الوصول بالنفس الإنسانية إلى درجة الكمال، لكن الوسيلة لتحقيق تلك الأهداف اختلفت من طريقة إلى أخرى ([2]).

وقد انتشرت الطريقة القادرية بالذات في السودان الغربي خاصة في القرن الخامس عشر الميلادي على يد مهاجرين من قبيلة كونتا: جاء منهم محمد الكوني –من توات في القرن الخامس عشر وتعرف الطريقة عادة بالطريقة البكائية نسبة إلى ابنه أحمد البكاي (ت1504) ويرجع الفضل في نشر الطريقة ومبادئها يعود إلى عمر الشيخ بن احمد (1460م–1553م) الذي تلقن العلم ومبادئ الإسلام على يد المصلح التواتي (محمد بن عبد الكريم المغيلي) عند عودته هذا الأخير من بلاد الهوسا ، بعد ان رسخت قدماه أين أرسل أتباعه لنشر الإسلام في الصحراء و حوض النيجر وبلاد الهوسا من (توات)، واتخذوا من (ولاته) أول مركز لطريقتهم، وانتشر أتباع هذه الطريقة من الفقهاء والمريدين من السنغال إلى مصب النيجر، وأقاموا المراكز لدعوتهم في مختلف الجهات ، بل نظموا البعوث إلى

[1]) - شوقي الجمل : المرجع السابق ، ص ص 146،147.

[2]) –محمد عثمان صالح : الصوفية دورها في نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، مجلة التصوف الإسلامي ،العدد الثالث،شعبان 1399 هـ / جوان 1979 م ، ص ص 50،51 .

الأزهر الشريف، والمعاهد الدينية بتونس، وطرابلس، والقيروان، فانتشرت القادرية في مدينة" جنى" ومدينة " تمبكتو" وغيرهما من العواصم بغرب إفريقيا ، وتفرعت منها طرق جديدة اتخذت أسماء أخرى منها الطريقة (الفضلية) التي تنتسب إلى الشيخ محمد فاضل (1780م–1869م) والطريقة "المريدية" التي تنتسب إلى "أحمدو بامبا " ([1]) .

أما التيجانية فتنتسب إلى أحمد بن محمد التيجاني وقد انتشرت على وجه الخصوص حين قام بن عيسى ([*]) :زعيم زاوية تماسين (Temassine) بجهد ضخم نشرها بين رجال القوافل والتجار، فانتشر أتباع الطريقة في حوض" السنغال"، وفي مدينة" تومبكتو"، وفي مدينة "سيجو"، وأسسوا زوايا في مدينة " كانو" ، ومدينة "برنو" و" واداي"، و"شنقيط" واستمرت الطريقة التيجانية في النمو والانتشار والازدهار ، وزاد عدد أتباعها حتى أصبحت الطريقة السائدة في غرب إفريقيا ([2])، و الحق لقد لعبت الطرق الصوفية دورا هاما وخطيرا في مقاومة الاستعمار الأوربي وان كان هذا الدور ما زال في حاجة إلى بحوث قد تكشف عنه النقاب للقراء حيث أن أتباع هذه الحركات والمريدين الذين التفوا حولهم اعتبروا الجهاد السياسي المتصل بالوطن وحريته، والوقوف في وجه أعدائه والمغتصبين جزءا من واجبهم لا ينفصل عن الجهاد في سبيل نشر الدين الإسلامي. فمعظم المراجع الأجنبية تعالج الأمر على أنه ثورات من أفراد خارجين عن القانون وعلى النظام – فواجبنا يحتم أن نضع هذه الحركات الوطنية في مكانها الصحيح وقد أدى تبني هذه الحركات لقضية الجهاد الوطنيإلى شعبها واندفاع الشباب للانضمام إليها ، ومن المعروف إن (الحاج عمر الفوتي) زعيم السودان الغربي في القرن التاسع عشر جعل من التيجانية وسيلة للوصول إلى أهدافه في طرد الوثنيين من البلاد–ولذا كثيرا ما يطلق على حركته لفظ العمريةبضم العين وفتح الميم ([3]) .

ثم أظل العالم الإسلامي القرن التاسع عشر الميلادي، فقدمت الطرق الصوفية للإسلام خدمات عظيمة، فقد دب إليها دبيب النهضة، الذي عرفته الثقافة الإسلامية عامة، في وقت ضعفت فيه السلطة المركزية في الإسلام بعد ضعف الخلافة العثمانية، وفي وقت بقيت

[1]) - شوقي الجمل : المرجع السابق ، ص 147.

[*] توفي سنة 1844م

[2]) - حورية توفيق مجاهد : المرجع السابق ، ص 225.

[3])-Dubris ;F : L'islam Noir P. 60

فيه وحدة المسلمين وبدأت أوطانهم تخضع للاستعمار الغربي المدعم بالكنيسة المسيحية التي عملت كل ما تملكه للتمسيح لأبناء المستعمرات خاصة في السودان الغربي ومحاربتها للإسلام والمسلمين، فكان إحدى وسائل التغلغل الاستعماري السياسي والاجتماعي والديني والثقافي مكنته من سلب ونهب الثروات واستغلال الإنسان في إفريقيا عامة وغربها خاصة ، واستطاع هؤلاء الصوفية أن يحفظوا في الميدان الديني هذه الوحدة، التي عزت في الميدان السياسي استطاعوا في الميدان الديني أن يقوموا بمجهودات، عجزت الحكومات الإسلامية عن القيام بها بعد أن افلت منها الزمام([1]) .

قيل على لسان المستشرقين :" وقد لقيت هذه الطرق نجاحا عظيما في إفريقيا الزنجية فكبار المرابطين الم ثقفين من مشايخ الطرق وحولهم طبقة من متصوفي الدرجة الثانية فرضوا أنفسهم على الناس باسم الدين، أو زاولوا السحر ونافسوا الكهنة من الوثنيين في صناعتهم، فحل المرابط محل الكاهن والساحر، وجمع في يده سلطات روحية مختلفة ، فحلت الطرق الصوفية محل الجمعيات السرية الوثنية "([2])، وهذا أيضا مغالطة من مغالطات التاريخ،ناتجة عن أحقاد دفينة تجاه الإسلام والمسلمين، حيث شبهو ا الطرق الصوفية بالجمعيات السرية الوثنية الصوفية بالجمعيات السرية الوثنية سبحانك هذا بهتان عظيم:قال تعالى((**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**))([3]).

استطاعت الطرق الصوفية، بسلبياتها وايجابياتها، أن تلعب دورا بارزا في نشر الإسلام وترسيخ مبادئه في إفريقيا الغربية، والوقوف أمام جميع التحديات سواء من الوثنيين، أو من دعاة الكنيسة، وتنظيم الجهاد ضد الاستعمار الأوربي الحديث" وهذا بشهادة تقارير السرية للبوليس الاستعماري"، ولا زال دور الزوايا الطرقية إلى اليوم ، تدعوا إلى مبادئها.

---

[1]) - خديجة النبراوي : المرجع السابق ، ص ص 59،62.

[2]) - عمر احمد سعيد : نظرات حول اثر الإسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو، مجلة دراسات افريقية ، العدد الخامس والعشرون ، السنة الثامنة عشر ، شوال 1423/ ديسمبر 2002 م ص ص 202،208.

[3]) - سورة (ص) الآية: 28.

5- قيام الحركات الإصلاحية إرتبط الإسلام في غرب إفريقيا بظهور حركات إصلاحية

على رأسها زعماء تحمسوا لنشر الإسلام وإرشاد الناس لحقائقه، وتخليص الدين مما علق به من شوائب الشرك والوثنية والبدع والخرافات، واستطاع هؤلاء الزعماء أن يسرقطبوا حولهم عددا كثيرا من الأتباع والمريدين لما رأوا فيهم من التقوى والصلاح ([1])، وقد تبلورت جهود هؤلاء المصلحين وإتباعهم في مجالين:

المجال الأول: مجال الوعظ والإرشاد وذلك بتدريس الناس العلوم الشرعية، ومبادئ الطرقية إلى جانب بناء المساجد والزوايا، وإتباع حلقات الذكر، ومن ناحية التأليف، تركوا لنا ثروة كبيرة من مؤلفاتهم في مختلف الفروع الدينية والعلمية كالتفسير والفقه وشرح الأحاديث النبوية والعقائد واللغة والشريعة الإسلامية وقصائد المدح، وغيرها من ضروب العلم والمعرفة، والتي فقد الكثير منها للأسف ،وكم كنا كمختصين في حاجة ماسة إلى هذا التراث الثقافي الإسلامي لاشفاء غليلنا في هذا المجال الضروري لحياتنا الثقافية والدينية والتاريخية والاجتماعية، ويشير في هذا المجال إلى أن عددا كثيرا من نفائس المخطوطات قد تداولته خزائن فاس، والصحراء مرات عديدة قبل أن تستقر بصفة نهائية في أماكنها التي توجد بها الآن وهي مراكز المخطوطات مثل مركز المخطوطات بمدينة أدرار ([2]).

المجال الثاني : مجال الجهاد، اصطدمت حركات الإصلاح الديني بالسلطات الحاكمة في هذه البلاد – أدت تلك الحروب والمعارك، وكما سبق أن ذكرنا – التكامل بين حركة الإصلاح الدينية وحركة الجهاد المسلح لإعلاء شأن الإسلام في السودان الغربي وإخضاع البلاد الوثنية لسلطات القوات الإسلامية ([3])، ولعل حركة "عثمان دان فودي" ، واصطدامه بحكام الهوسا والحروب التي نشبت بينه وبينهم تعطي مثلا قويا لذلك الصراع ودور الجهاد([4]) .

---

[1]) - شوقي الجمل : مرجع سابق (المناهل) ص 149، 150.

[2]) - مهدي ساتي صالح : المكونات والأسس التربوية لبعض حركات التصحيح الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة دراسات افريقية ،العدد الرابع والثلاثون ، السنة الواحد والعشرون ، ذو القعدة 1426 هـ /ديسمبر 2005 م ، ص ص 185 ،198 .

[3]) - أحمد محمد كاني : الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد الهوسا قبيل الجهاد ،ورقة ثقافية 7(الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا)، الزهراء للإعلام العربي ،ط1 ،1407 هـ /1987 م ص ص 49،55.

[4]) - أحمد محمد كاني : المرجع السابق ، (المرحلة التكوينية " مرحلة الدعوة ")ص ص 65،79.

والحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا هي في حقيقتها جزء من الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي كان هدفها محاربة البدع والعادات الضارة التي اتبعت في حياة الناس ،وهذه الحركات في غرب إفريقيا بالذات كانت تهدف إلى تق ليص الفجوة بين الثقافة الإفريقية والثقافة الإسلامية بحيث تحتفظ الثقافة الأصيلة بخير ما فيها مع التطور الذي يفرضه الدين الإسلامي بتعاليمه ومبادئه ([1]).

ولهذا نجد المصلحين في غرب إفريقيا يركزون بال خصوص على المعتقدات التي كانت سائدة في المجتمع الإفريقي مثل : التقاليد عند ولادة الطفل والزواج أو الوفاة أو غير ذلك، ولم يكن الهدف من عملها إحداث تغيير فجائي جذري في حياة الناس اليومية ، إلا بالقدر الذي يمس صميم الدين وما ينهى عنه وما يطالب به، ولا يمكن أن نتصدى في بحثنا هذا إلى جميع الحركات الإصلاحية التي وجدت في غرب إفريقيا ابتداء من الحركة الإصلاحية الكبرى التي تزعمها "عبد الله ياسين" من رباطه من مصب السنيغال إلى حركة "عثمان بن فودي " الذي استطاع أن يقود قبائل (الفولاني) ويؤسس سلطة (تمبكتو) التي لعبت دورا هاما في نشر الإسلام في غرب إفريقيا إضافة إلى حركة " احمد لوبو " وولده " أحمدوشيخو" ، فكل من هذه الحركات وأمثالها تحتاج إلى دراسة خاصة بها ([2]) .

ولكن ما تريد أن نذكره هنا أن هذه الحركات الإصلاحية كان لها دور هام في تطهير الأذهان والنفوس والسلوكات في هذه المنطقة بل وفي العالم الإسلامي عامة وتوجيه الناس إلى الكثير من مبادئ الإسلام التي أغفل عنها الناس وأعرضوا عنها ، بالإضافة إلى نشر الدين الإسلامي على نطاق أوسع بين الوثنيين و الدفاع عنه وعن حركة واستقلال الأقاليم الإفريقية والوقوف في وجه موجة الاستعمار الأوربي الصاخبة .

استطاع سكان غرب إفريقيا،أن يطبقوا تعاليم الدين الإسلامي، ومن بينها الجهاد ضد الكفار أي ضد الاستعمار، فعندما يدخل العدو إلى ارض المسلمين يصبح الجهاد فرض عين، فكانت حركة الإصلاح وحركة الجهاد، ينبعان من مصدر واحد ،وهو تعاليم الدين الإسلامي

---

[1]) - شوقي الجمل : المرجع السابق ص 151.

[2]) - انتشرت دعوة (احمد لوبو) في منطقة ماسة حيث أنشأ إمارة إسلامية عظيمة ، ودخل مدينة تنبكتو سنة 1827م ، وتوفي في عام 1844 م ، وحمل رسالته ابنه أحمدو شيخو الذي توفي عام 1852م.

السمحة التي تدعوا إلى نبذ الاستعمار والظلم بجميع أشكاله، والدفاع عن الحق والاستماتة فيه، مع استعمال أسلوب الحوار. وهذا ما جعل غرب إفريقيا تنجح في ذلك واستقلالها ([1]).

6-عوامل سيكولوجية تشير بعض المراجع العربية والأجنبية إلى أن العوامل السيكولوجية كان لها أثرها الواضح في انتشار الإسلام والثقافة العربية بين شعوب غرب إفريقيا هؤلاء الباحثون أمثال : أرنولد توماس ، مارتني، ورو، و غيرهم حيث يروا أن للإسلام صلة وثيقة بنفسية الإفريقي فهو قابل للاسلمة ،ووجود بعض التشابه في العادات والتقاليد التي تتماشى والتعاليم الإسلامية ،ذلك أن تقاربا كبيرا قد ربط بين العقلية الإفريقية وال ثقافة الإسلامية إذ شعر الإفريقي المسلم منذ الوهلة الأولى عند معرفته لمبادئ الإسلام بالأخوة الحقيقية بينه وبين الداعية حامل تلك المبادئ الإنسانية .

وقد قال في ذلك المؤرخ "توماس أرنولد" : على لسان أحد الشهود : " إننا نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلوب الإفريقيين الوثنيين ويحولونهم إلى الإسلام ، وكان من أثر تصرفات الداعية السلمية أن أصبح الزنوج ينظرون للإسلام على أنه دين السود في حين ينظرون إلى المسيحية على أنها دين الأوربيون البيض" ([2]) ،فالإسلام يدعوه للإخلاص ، ولكن المستعمرين وضعوا الإفريقي في مكان منحط ، بينما يدعوه الإسلام إلى الثقة بالنفس قائلا :" إن بلوغك أسمى الدرجات متوقف عليك " ولهذا شعر الإفريقي بان الإسلام لم يقطعه عن ماضيه أو عن مجتمعه، في حين أن الم ترصر الإفريقي يجد نفسه حائرا ضائعا فقد مجتمعه من جهة، ولم يرض الأوربيون والمبشرون أن ينتسب إلى الحضارة الأوربية، وقد اخذ كثير من الإفريقيين المترصرين يتحولون إلى الإسلام، تعبيرا عن سخطهم على الأساليب البشرية العنصرية .

ثانيا-الدورالثقافي:ظهر في هذه المناطق بغرب إفريقيا علماء تركوا لنا ثروة علمية وفقهية مفيدة في مختلف مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، ولعل القرنين الرابع والخامس الهجريين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين يمثلان الذروة في

[1]) - أحمد محمد كاني : المرجع السابق ،(الهجرة والجهاد) ص ص 83، 86 .
[2]) - نعيم قداح: إفريقيا العربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ب.ت، ص ص 95،96.

الثقافة العربية في هذه البلاد([1]).

وقد قامت في غرب إفريقيا في ظل الإسلام مراكز حضارية استقطبت الكثيرين من علماء العالم الإسلامي وطلاب العلم والمعرفة ، وانتشار الإسلام في هذه الجهات كان مرافقا لانتشار اللغة العربية كلغة للتحدث بين الناس ولمعاملات التجارية والكتابة خاصة إلى اللغات واللهجات العربية تطبيقا لقوله تعالى : ((بلسان عربي مبين)) ([2])، بعد أن أفتى أغلب أئمة المسلمين رفضهم إجازة ترجمة القران الكريم ، وعدم جواز قراءته بلغة أجنبية ، ووجوب الصلاة بها، فكان لا بد لمن يريد معرفة أسرار الدين الحنيف أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها فانتشرت بصورة واسعة بين السكان فيتلك الربوع من السودان الغربي ([3]) .

وترتب على تشجيع حكام الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا للعلماء ورجال الدين أن توافد على هذه البلاد عدد منهم من مختلف الأقطار الإسلامية من المشرق والمغرب وقد أغدق عليهم السلاطين المال وشجعوهم على الإقامة ببلادهم لتثقيف الناس وإرشادهم في شؤون دينهم ([4]) .

وأشتهر عن السلطان "اسكيا محمد" سلطان مالي الذي حكم في الفترة (1493-1527م) شجعه العلماء بمن وفد منهم إلى بلاده من البلاد الإسلامية الأخرى، فحضر عدد منهم وأقاموا في مدينة غاو، وجنى ، وتمبكتو، فكان وجودهم بهذه البلاد سببا في نهضة ثقافية شملت البلاد في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وبفضلهم أصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية ([5])، وحين أدى "اسكيا محمد" سلطان مالي فريضة الحج كان بصحبته المؤرخ "محمد كعت"، ومر بمصر وتعرف على العالم المصري "جلال الدين السيوطي" وكان من أهم رجال العلم في زما نه العالم ألفقيه (عبد الكريم ابن محمد المغيلي

---

[1]) - شوقي الجمل وآخرون : المرجع السابق ، ص 115.

[2]) – سورة الشعراء، الآية 195.

[3]) - نعيم قداح : المرجع السابق ، ص 116- 118

[4]) – شوقي عطاء الله الجمل :الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا ،سماتها ودور المغرب فيها ، مجلة المناهل ، العدد السابع السنة الثالثة ،تصدرها وزارة الدولة المكلفةبالشؤون الثقافية ،الرباط المغرب،ذوالقعدة 1396 هـ/ نوفمبر 1976 م ص ص 132- 149

[5]) – محمد ولد عبدي : حاضرة تنبكتو تاريخها ،منجزها الحضاري وصورتها في مرايا الرحالة ، الرحالة العرب والمسلمون :اكتشاف الأخر المغرب منطلقا وموئلا (اعمال ندوة)،وزارة الثقافة ،الرباط المملكة المغربية ،ط 1 نوفمبر 2003 م،ص ص 152- 154

التلمساني) الذي عاش فترة طويلة في تمبكتو التي كانت من أهم المراكز الإسلامية بغرب افريقية، وكانت تجارة الكتب رائجة فيها، كما اشتهرت بوجود العديد من المخطوطات النادرة في مكتباتها، كما وجد فيها نساخ ون متخصصون في نسخ أصول المصادر الأساسية علاوة على أنها اشتهرت بوجود خزانة عامة للكتب بها كان يعتمد عليها أهل العلم والأدب في انجاز بحوثهم وحل مشاكلهم المختلفة الأوجه ([1]).

ومن المراكز الإسلامية الأخرى التي برزت في السودان الغربي مدينة (جنى)وهي تقع على مسافة مائتي ميل يساوي كم، إلى الجنوب الغربي من تمبكتو ورغم أنها أسست قبل تنبكتو بوقت طويل إلا أنها كانت خارجة عن دائرة النفوذ الإسلامي ، إلا منذ القرن الخامس الهجري التاسع عشر الميلادي حين أسلم أميرها عام 1050م ،مسجدها العتيق الذي بني على شكل المسجد الحرام بمكة ، وذكر المؤرخ" عبد الرحمن السعدي" انه كان بها أكثر من أربعة آلاف من المشتغلين بالعلم وأشار إلى بعض علمائها مثل الفقيه (فودي محمد سافو الونكري) و القاضي (العباس كنت الجندي) وكان فقيها وعالما ، والقاضي (محمود بن أبي بكر بعبع) والد العالمين الفقيه محمد بعبع، والفقيه أحمد بعبع ([2]) .

ومن المدن الإسلامية الهامة الأخرى التي برزت في السودان الغربي مدينة (كانو) ، وقد برزت بالذات بعد أن رحل إليها بعض علماء تنبكتو بعد اضمحلالها، حيث أسست في مدينة "كانو" مدرسة للعلوم، ومدرسة للقضاء الشرعي ذاعت شهرتها في المنطقة وفي بلاد العالم الإسلامي([3])، أما مدينة (كاشنة) فقد اجتذبت عددا كبيرا من العلماء ، وقد أقام بها الإمام المغيلي زمنا طويلا، يعلم الناس ويرشدهم ويفصل في الخصومات بينهم ، كما إن بعض المراجع تشير إلى أن جلال الدين النبيوطي رحل إلى شمال نيجيريا وأقام في كاشنة زمنا يعلم ويرشد الناس ويفقههم في الدين ثم عاد لمصر مرة ثانية عام 876هـ/1481م ([4]) .

وقد انتقل إلى غرب إفريقيا علماء من الأقطار العربية الأخرى، ونشأت مدن اشتهرت بطابعها الثقافي والحضاري.

---

[1]) - شوقي الجمل : المرجع السابق ، ص 118.

[2]) - السعدي عبد الرحمن : تاريخ السودان ص 11.

[3])-Meek; C.K: The Northern TR: Bes of Nigeria (London 1925) Vol 1P.61.

[4]) - شوقي الجمل : المرجع السابق ص 199.

وهكذا انتشر الإسلام في غرب إفريقيا ودخلت ثقافته وتراثها ([1]) ، فترمنجهام مثلا يشير إلى الثنائية التي تتضح في مجتمعات غرب إفريقيا ، فهناك نظم إسلامية صرفه إلى جانب تقاليد ترجع إلى ما قبل الإسلام ([2]) .

انتشرت الثقافة العربية بمعناها الواسع في غرب إفريقيا على اثر انتشار الإسلام ومن أهم ما تميز به التراث الثقافي في غرب أفريقيا تأثره إلى حد كبير بالتراث العربي المغربي الأندلسي([3]) .

والحقيقة أن الأثر الثقافي للإسلام في مجتمع إفريقيا كان قويا وعميقا – ولعل الصورة التيقدمها بالمر "**Palmer**" عن علاقات ممالك غرب إفريقيا الثقافية بالبلاد العربية الأخرى توضح الأثر الثقافي للإسلام واللغة العربية في هذه البلاد ، فقد شملت البلاد (نهضة علمية) وقامت فيها مراكز ثقافية كانت بمثابة الشعلة التي تنهي طريق المستقبل، وبرز علماء وأدباء في مختلف المجالات .

وتأثرت الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية بكل ذلك وساعد تشجيع كبير من السلاطين للحركة العلمية على أن تستمر الحركة ف ي تحقق أهدافها([4])، وبدأ المستوى الثقافي على الرغبة من التعليم التي تميز بها العقلية الإفريقية وهذه الحركة الثقافية النشطة قد أتت كلها ناضجة خلال القرنين الخامس عشر الميلادي والسادس عشر الميلادي إبان فترة الأوج في غاو، في ذلك الوقت أشتهر أمر المراكز الثقافية وظهرت مؤلفات كبار العلماء .

كانت المدارس والمراكز الثقافية في أفريقيا الغربية تمتاز بظاهرة عامة، هي ارتباطها العميق بالدين، ففي أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد حيث يلاحظ الباحث انتشارها أو وجودها إلى جانب كل مسجد في شكل غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد، وهناك أمكنة أخرى لنوم الطلاب القادمين من بلاد بعيدة ، على أن بعض المساجد كانت مقر للتعليم إذ كانت في المسجد حلقات تعليمية .وبازدياد قوة الإسلام وظهور المرابطين في القرن العاشر الميلادي ألحقت المدارس بالرباط ، وهو المكان الذي يقيم فيه المرابطون للتعبد وقد

---

[1])- Des Champs, H : Les Religions De L'Afrique Noir (1945) P.127-

[2])-Trimingham, S: Islam in West Africa PP, 124,125

[3]) - شوقي عطاء الله الجمل: مجلة المناهل ، مرجع سابق ص 157.

[4]) -Palmer: Islam In West Suden & The West Coust Of Africa P.33.

قلد الإفريقيون هذا النوع من المدارس، فأصبح إلى جانب كل زاوية من زوايا الفرق المذهبية والدينية، مدرسة لتعليم الأطفال غير أنه في القرى الصغيرة التي تخلو من المساجد كان الأطفال يتلقون تعلمهم بواسطة أحد الدعاة في ساحة صغيرة في الحي أو في أحد الحوانيت كما هو الحال في غينيا والسنغال([1]).

والحق أن الوثائق الإفريقية والعربية تتيح لنا فرصة الحصول على معلومات واسعة عن المراكز الثقافية التي شعت منها الثقافة العربية إبان العصور الوسطى والحديثة ، وهذه المراكز هي المدن التي كثرت فيها المدارس ، أو كانت مقر للدعوة الإسلامية وفي مقدمتها : كومبي صالح(غانا) ووالاتا ونيما (موريتانيا) تومبكتو ، وجنه، وغاو (جمهورية مالي) ، وبوندوكو ، كونغ ، وأودينية (في ساحل العاج) ، الدنكراي تيمبو ، كانكان ، لابة ، (غينيا) الكولاك ، توتة ، سيلا (السنغال) ومدينة وا WA(جمهورية غانا) و أغادس (جمهورية النيجر)، وفي نيجيريا الشمالية وحدها كما يقول " **بيلوكران**" نحو ألفين وخمسمائة مدرسة لتعليم العربية والقران الكريم، وهي ترسل طلابها ليتابعوا تعلمهم إلى مدينة الفلشر (دارفور بالسودان)، وتحصر أكثر هذه المدارس في مدينة كانو ، و مدينة سكوتو، وكانت مدينة تومبكتو منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، مركزا ثقافيا كبيرا ، فقد كان فيها مسجدان كبيران (جانكوبر ، سانكوري) يعتبران جامعتين إسلاميتين تضمان المشوقين للعلم ([2]).

وكانت الدروس فيها تستمر طيلة النهار لا تنقطع إلا وقت الصلاة، وكان بعض الأساتذة يدرسون في الليل على نور الحطب المشتعل الذي تبرع به الطلاب وتضمنت هذه المدينة مائة وثمانين مدرسة وقد ذكر" ليون الإفريقي" إن مدينة " تومبكتو" قد استوردت كثيرا من الكتب العربية بأسعار خيالية ، وكانت مدينة "جنه" مثالا لمدينة تومبوكتو ، وقد وجدت فيها خمس عشرة مدرسة وكثيرا من الكتب ، عطل ها المستعمرون وسرقوا كتبها ، وأغلقت المدرسة الأخيرة فيها عام 1913([3]) .

---

[1]) - نعيم قداح:إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ب.ت. ص ص157،160.

[2]) - الشيخ الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي ، ندوة حول (تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد 1404 هـ / 1984 م ،ص ص 94 ، 102 .

[3]) – نعيم قداح : المرجع السابق ص 160.

يستطيع الباحث أن يستنتج من خلال دراسة هذا العنصر ما يأتي:

1- سرعة انتشار التعليم العربي في السودان الغربي.

2- تنوع دور التعليم من: مدارس، وزوايا، وجامعات، ومساجد.

3- انخفاض مستوى الأمية في السودان الغربي . - سرعة انتشار الدين الإسلامي ، داخل السودان الغربي ، مما أربك المستعمر ودعاة المسيحية وانتشار الثقافة العربية الإسلامية ، لان الإسلام يدعوا إلى العلم والتعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أطلبوا العلم ولو في الصين ".

2- المؤسسات التعليمية التربوية ودورها في الإعداد لتيارات الإصلاح:

نحاول في هذا العنصر أن نتناول بعض المؤسسات التعليمية التي نراها قد لعبت دورا في حركة الإصلاح ومنها:

أ-المسجد: لعب المسجد منذ ظهور الإسلا م دورا بارزا في الدعوة إليه، وتعليم المسلمين أمور دينهم وحياتهم، وقامت في غرب إفريقيا كما في غيرها مؤسسات التعليم الإسلامي والعربي بدور أساسي في التأصيل للأسس التربوية التي سارت على هديها حركات التصحيح والإصلاح ([1]) ، وتعد المساجد رائدة في هذا المجال على امتداد تاريخ الإسلام والمسلمين فالمساجد كانت مرتبطة بالتعليم والتربية ،وظل المسجد يؤدي رسالته التربوية التعليمية حتى بعد استقلال المدرسة عنه في القرن الرابع الهجري ، الثامن عشر الميلادي حسب رواية"المقريزي"، فكان تأسيس المسجد يعني بد اية التعريف بالإسلام والإعلام بحركة انتشاره، ثم تواصلت مهمته لتثمر التمكين له دينا ودولة، عقيدة وشريعة. وقد انطلقت العملية التربوية في غرب إفريقيا جنوب الصحراء من المساجد ، كما في غانا وبلاد التكرور التي تعد أول بلاد السودان الغربي جنوب الصحراء إعلاما ([2]).

وقد لعب المسجد أدوارا مختلفة من بينها ما يأتي :

أ-الدور السياسي:ويتمثل في: الشورى في قضايا الأمة تكوين قادة سياسيين إعلان الجهاد

[1]) - مهدي سالي صالح : المكونات والأسس التربوية لبعض حركة التصحيح الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء ، مجلة دراسات افريقية ، العدد 34 السنة : 21ديسمبر 2005م /ذو القعدة 1426هـ .ص ص : 18،198.

[2]) - عبد الجليل التميمي : الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث المجلة التاريخية المغربية ، السنة الثامنة ،العدد 21 و22 ، تونس ، أبريل 1981 م ، ص ص 9،22 .

ضد العدو والمستعمر، اختيار حاكم المسلمين.

ب–الدور الاجتماعي:ويتمثل في:تكوين المجتمع الإفريقي وتربيته التسامح بين شرائح المجتمع النظافة من الإيمان أداء فريضة الصلاة.

جـ – الدور الثقافي:ويتمثل في :العلم والتعلم والتربية تخرج العلماء كان في إفريقيا بمثابة جامعة .نشر ثقافة السلم والتصالح بين الناسحث الناس على اجتناب الرذيلة .

د– الدور الاقتصادي: تعليم الناس سياسة التقشف، والاقتصاد الدعوة إلى الزكاة والصدقة، من اجل التكافل الاجتماعي .

ب– المدارس القرآنية : صارت المدرسة القرآنية مؤسسة مستقلة في كثير من الأماكن منذ، وظلت تقوم بمهامها التربوية والتعليمية بجانب المسجد تحت أسماء كثيرة منها (الدارة) غرب إفريقيا، و (الخلدة) في السودان الشرقي، و (الكتاب) في الديار المصرية، و (الدكس) في القرن الإفريقي، وتعددت ألقاب القائمين على أمرها فهناك "المألم" (المعلم) و (الألفا) (الفقيه) و(المرابو) و(المرابط) ومادبو (المؤدب)و(النبر) و(التوتي) وهي ألقاب شرف تعكس المكانة الاجتماعية التي حظي بها أولئك العلماء من خلال ارتباطهم وإدارتهم لهذه المدارس القرآنية، فقد تطورت وصارت جامعات مثل جامعة (شنقيط)و(بر) (وقجلى) بالسنغال(وتمبكت) بمالي([1]).

لعبت هذه المدارس دورا بقي خالدا، وشاهدا شهادة حية، على إحياء هذه المدن بتعلم القران وعلومه المختلفة، لأجيالها المختلفة، وظهور علماء من هذه المناطق.

جـ –الزوايا والربط والمحاضر: ارتبطت بعض هذه المؤسسات بالطرق الصوفية التي برزت في القارة الإفريقية ومنها القادرية ، والسنوسية، التيجانية ، والمريدية ، والشاذلية وغيرها .

أ– الزوايا جمع زاوية وهي موضع العبادة وقد عرفها بعض علماء شنقيط بأنها (مسجد بإمامه ومحضرة وبئر وحفارة تصلح للآبار وراع (وطبيب) تقليدي وصانع ([2]).

[1]) - مهدي ساتي صالح : المرجع السابق ، ص ص 185،188.

[2]) - أمال حمزة المزروعي : النظرية التربوية الإسلامية ، جدة ، المملكة العربة السعودية ، 1402 هـ/ 1982م ، ص 125.

ب- المحضرة: هي جامعة شعبية بدوية متنقلة، كما وصفها الخليل النحوي، ودوره ا تتولى تعليم القران الكريم وعلومه والحديث وعلومه والعقيدة وعلم الكلام والفقه والسير والتاريخ والأنساب والأخلاق واللغة العربية والأدب والحساب والهندسة.

جـ - الربط وهي جمع "رباط" وتعد مؤسسة تربوية متطورة من حيث الأهداف والوسائل في الأعداد والتدريب على الجهاد والقتال ، وكان من أشهر الرباط ات رباط (سلا) ورباط (ماسا) و (الرباط) عاصمة المغرب حاليا .

د- القضاء مظهر آخر للثقافة العربية الإسلامية : لم يكن القضاء في ممالك افريقية الغربية في العصر الوسيط منفصلا عن الدين الإسلامي بل انه اثر مباشر للحضارة العربية الإسلامية في تلك الأصقاع، وقد تطور القضاء من شكله البسيط في أواخر أيام مملكة غانة فكانت العاصمة "كومبي صالح " مركزا للقاضي الوحيد في تلك الأنحاء ولما نشأت المدن التجارية والثقافية مثل "مدينة تومبوكتو" و" مدينة جنى " وجدت فيها المساجد وكثر فيها التجار العرب والفقهاء القادمون من شمال افريقية ([1]) .

ومنذ أن ظهرت مملكة مالي وجد القاضي في العاصمة والقضاء في الم دن الهامة مثلما كان الشأن في مدينة غاو ومالي كانت توجد محكمتان: الأولى" المحكمة الملكية برئاسة الملك، والثانية برئاسة القاضي الذي يعينه الملك، وهو يختص بالنظر في الجرائم العامة والجنح والخلافات التي قد تقع بين المواطنين، ففي جريمة القتل يستعمل القاضي تجربة الماء في المحكمة وهي أن ينقع عشب مر في الماء ويسقي للمتهم فان تقيأ المنقوع المر يكن بريئا على انه ا تبعت طرق أخرى في مالي وغاو تتسم بأنواع من التعذيب التي كانت مشهورة في العصر الوسيط ، وان كثيرا من الأبرياء قد ذهبوا ضحايا لهذه الطرق وفي "تومبكتو" المدينة التجارية الدولية، وجد إلى جانب القاضي الذي يحكم بالشريعة الإسلامية قاض مساعد يفصل في قضايا الأجانب ([2]) .

ويشترط في القاضي أن يكون عالما فقيها متحليا بالنزاهة والورع وغياب شرط العلمفي بادئ الأمر، فكان القضاة من العرب، ولما كثر المثقفون الذين تعلموا في فاس

[1]) - النحوي الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط ، تونس 1907 م ، ص 34 .
[2]) - نعيم قداح: المرجع السابق ص ص 171، 173.

والقاهرة عمل قسم منهم في القضاء وفي الخطابة وإمامة المساجد ويصعب أن يسلم أحدا منصب القضاء إن لم يكن أهلا له خوفا من غضب الله ، وقد جرت العادة ألا يقبل الفقيه في غاو هذا المنصب إلا بعد رفض متواصل، وإلحاح مستمر من قبل الملك ، و يعتبر بيت القاضي له حرمة كالمسجد وقد يلتجئ إليه زعماء المعارضة أحيانا خوفا من الملك ، وعندما تكون الأحكام متعلقة بعامة الشعب يعلن القرار على الملأ و تتراوح العقوبة بين السجن أو الجلد أو الموت أو المصادرة .

أما جرائم الخيانة فهي من اختصاص المحكمة الملكية التي تعقد برئاسة الملك ، فلقد حكم أحد السلاطين بنفسه على الذين اشتركوا في مؤامرة خلعه وكان الحكم متطابقا لدور كل منهم في الخيانة، وقد تصل الأحكام إلى درجة قاسية ، فقد أمر السلطان إسحاق الثاني صاحب "غاو" احد الثوار أن يدفن حيا، وقد يطاف بالمجرم في شوارع المدينة ، وكان قاض مدينة " تومبكتو" من اكبر القضاة في مجلس السلطان([1]).

وقد تولى هذا المنصب الخطير من العلماء والفقهاء والمؤرخين والأئمة ، أما العقود فهي مسجلة على النحو الشرعي وقد أشار " بن بطوطة " في مواضع مختلفة من رحلته إلى الاستقرار والأمن والعدل في الأحكام في مملكة "مالي" ونوه بمكانة القاضي المرموقة([2])، وخلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين ترى أي تطو ر، قد دخل على الثقافة العربية في تلك البلاد، يح دثنا على ذلك الرحالة الأوروبيون الذين زاروا البلاد خلال هذين القرنين، فلقد ذكر الرحالة الانجليزي فرنسيس مور " **FrancisMoore**"انه وجد عام (1731م) معظم أهالي غامبيا البريطانية يتكلمون العربية لأنهم يتعلمونها في مدارسهم ولان القران الكريم هو شريعتهم، مكتوب بهذه اللغة وإلمامهم على العموم بالعربية أكثر من إلمام أهل أوربا باللغة اللاتينية كثيرا إلى جانب اللغة الأصلية المحلية، كما وجد "منجوبارك" في مدن وادي النيجر عددا كبيرا من المدارس التي تعلم العربية والقران الكريم في أوائل

---

[1]) - مدثر عبد الرحيم : الإسلام والتجانس الاجتماعي في إفريقيا ، مجلة دراسات افريقية ، العدد الأول ، رجب 1405هـ/أبريل 1985 م ص ص 13،24.

[2]) – عمر أحمد سعيد : نظرات حول أثر الإسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو ، مجلة دراسات افريقية ،العدد الخامس والعشرون ،السنة الثامنة عشر ، السودان ، شوال 1423 هـ / ديسمبر 2002 م ص ص 197،210.

القرن التاسع عشر الميلادي ([1]).

وفي سيراليون وجد المستعمرون جماعات من القبائل تتقن العربية وتنشئ المدارس لتعليم القران الكريم فقد جاء في تقرير عن تلك البلاد رفع إلى مجلس العموم البريطاني عام **(1804م)** هذا نصه : "منذ مدة لا تزيد على سبعين عاما استقرت جماعات صغيرة من المسلمين شمال سيراليون (المقصود بهذه الجماعات قبائل المالانكة) وكما هي العادة عند أتباع هذا الدين، فتح المعلمون المدارس التي تدرس العربية والقران الكريم والشريعة الإسلامية وقد جرى هؤلاء على عادة المسلين في عدم بيع أنباء دينهم بيع الرقيق ، وقد ساروا في نظام حياتهم وفق الشريعة الإسلامية وجاءوا إلى البلاد بحضارة بلغت درجة عظيمة ([2]).

المبحث الثاني الدور السياسي والاقتصادي للقوافل التجارية :

إن التغيير الذي حدث في المجال الثقافي والديني في غرب إفريقيا ، تبعته تغييرات في المجال السياسي والاقتصادي ، فظهور دول جديدة ، ونهاية أنظمة قديمة ، وارتفاع النمو الاقتصادي، جعل منطقة غرب إفريقيا تنتقل إلى مصاف الدول المتطورة آنذاك ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على، التأثير القوي للحضارة العربية الإسلامية في منطقة غرب إفريقيا عن طريق ما حمله تجار شمال إفريقيا، من مبادئ سامية وأخلاق نبيلة ومعاملات حسنة، أساسها الدين الإسلامي .

1 – الدور السياسي: قامت في غرب إفريقيا ممالك (إمبراطوريات) إسلامية كبيرة كانت لها مكانتها في تاريخ المنطقة الحضارية ، في كل من : غانا ومالي، وسنغي، وبرنو ، وكانم، وقد أثروا حكام هذه البلاد الإسلامية في حياة البلاد الإفريقية الأخرى حيث حاولوا أن ينقلوا لبلادهم بعض الأنماط الحضارية التي انتشرت في البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب العربي، وتفيدنا المصادر و المراجع التاريخية بأمثلة عديدة لما ذهبنا إليه و منها

[1]) - عثمان سيد أحمد : الأصول التاريخية للعلاقا ت العربية الإفريقية بغرب إفريقيا ، مجلة دراسات افريقية ، العدد الأول ، رجب 1405هـ/أبريل 1985 م ، ص ص 27،38 .
[2]) - نعيم قداح نفس المرجع السابق، ص ص 164 ، 172.

مثلا ما يذكر عن زيارة وفد مالي للمغرب في عام 1341م في عصر السلطان أبي الحسن المريني الذي حكم ما بين (1330–1351م) بهدف تقوية العلاقات بين المغرب ومالي وعندما انتهت زيارة الوفد للمغرب، جمع السلطان المالي عددا من مهرة الصناع والفقهاء للتوجه إلى مالي والمساهمة في النهضة العمرانية و الحضارية بها، وكان على رأس تلك البعثة المعماري "أبو اسحق الطويجي " الذي اشرف على بناء مسجد وقصر للملك المالي، وقد أسهمت البعثة المغربية في الحركة العمرانية العلمية في تلك البلاد وأجيزت على نشاطها هذا باثني عشر ألف مثقال من الذهب ([1]).

ومع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ، تحولت الدعوة الإسلامية إلى الجهاد ، وانتقلت منمرحلة التبشير إلى مرحلة التقييد ، فقامت أول حركة في أقصى الغرب الإفريقي في تلال" فوتا دجالون" "Futadjallon" عام (1725م). ثم انتقلت إلى الفوتاتورو (1775م) وكان هؤلاء المجاهدون هم النموذج الذي يحتذى به بالنسبة لمجاهد ي القرن التاسع عشرالميلادي الذين طالبوا بـتاسيس الدولة الإسلامية الإفريقية الكبرى ، ومن أهم هؤلاء الرجال " عثمان دان فوديو " في شمال نيجيريا والشيخ "حميدو" في ماكينا ، و "الحاج عمر" في الفوتاتودور ([2]) .

ولقد بدأ الحاج عمر يطالب آل السباركي في حبير ، اكبر دويلات الهوسا إبان القرن الثامن عشر بإصلاح الدولة في ظل تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، واعتبر هؤلاء الحكام أن مطالبة هذا الزعيم الإسلامي لهم بإصلاح الدولة، تدخل سافر في شؤونهم ، فبدؤوا في اضطهاده هو وأتباعه من المسلمين، خاصة أن دعوته بالإصلاح، لاقت التأييد، من جانب قبائل الفولاني المسلمة، و من جانب جموع فلاحي قبائل الهوسا الوثنية، التي كانت ترزخ تحت وطأة الضرائب الباهظة، ولما اشتدت وطأة الاضطهاد على "عثمان" أعلن الجهاد ضد حاكم دولة حبير،و سائر ملوك الهابي، وسرعان ما تجمع حول "عثمان" أعداد كثيرة من المسلمين والوثنيين على السواء ومن خلال دعوته بدأ الوثنيون الدخول في دين الله أفواجا.

---

[1]) – علي الخاتم : الإسلام في السودان الغربي – آثاره السياسية والثقافية ، مجلة دراسات افريقية ، العدد الأول ، رجب 1405هـ/أبريل 1985 م ، ص ص 184،199.

[2]) - سيد احمد علي الناصري : الجهاد الإسلامي والحروب الصليبية في غرب إفريقيا مجلة الدارة ، العدد 2، السنة الثالثة عشرة ، محرم 1408هـ أوت 1987 ، ص ص 182،192.

كانت دعوة المجاهد" عثمان دان فوديو" صريحة، فطالب سلاطين الهوسا أن يتخذوا موقفا متشددا من الرعايا الوثنيين وإصلاح أنفسهم طبقا للشريعة الإسلامية ألح ق ، وإقامة الدولة على أساس الشريعة الإسلامية، و اتهم "عثمان" هؤلاء السلاطين بالخروج عن الدين الإسلامي القويم، وامتدت دعوة الإصلاح التي قام بها فأثرت على إقامة دويلات إسلامية، امتدت من مصب نهر السنغال غربا حتى بحيرة تشاد شرقا واعتنق الوثنيون الدين الإسلامي بسهولة ويسر ، وثم ذلك إبان مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ولقد لعب الإسلام دورا رئيسا في تطهير الحياة الإفريقية من البدائية في التفكير، و نشر ثقافة إسلامية افريقية ، هي أثمن ما أنتجت إفريقيا من تراث حتى الآن .

ويجب أن نشيد بالدور الذي قام به المصلح الإسلامي "حميدو" ابن مدينة ماكينا ، حيث الشيخ حميدو في الأصل أحد أتباع الزعيم "عثمان دان فوديو"، واشترك معه في جهاده، وحمل إحدى راياته ، ونجح الشيخ "حميدو" في هزم حاكم ماكينا المسلم، وأسس دولة إسلامية مترامية الأطراف على طول نهر النيجر، تمتد من "جنى" إلى "تومبكتو"، وقد وصف المؤرخون هذه الدولة أنها اكبر دولة افريقية قامت على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف في غرب إفريقيا ([1]) .

إذ قام حكمها على أسس العقيدة الإسلامية وظلت هذه الدولة قائمة حتى تولى قيادتها زعيم جديد هو " الحاج عمر "، كان ذلك عام 1862م، ولد الحاج عمر سعيد بن طال عام 1794م، في منطقة الفوتاتورو، حيث كان ينتمي نسبه إلى ق بائل التوكولور المنحدرة من الأصل الفولاني .

وكان شعب التوكولور شعبا مسلما، نبذ الخضوع للحكام الوثنيين منذ القرن السابع عشر قبل ظهور "الحاج عمر"، بل حاولوا إقامة دولة إسلامية عدة مرات، وكان عمر – مثل سلفه المصلح– "عثمان دان فوديو"، فقيها في أمور الدين الإسلامي، تلقى العلم على أيدي فقهاء أفاض ، مثل الفقيه العالم الشيخ "عبد الكريم "، من بلدته "الفوتا دجالون" ([2]).

وفي عام 1826م ، مرعمر بمدينة ماكينا في طريقه إلى مكة المكرمة، لأداء فريضة

[1]) - سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص 189.
[2]) - الهام محمد علي ذهني : المرجع السابق ، ص ص 26،30.

الحج والتي وصلها عام 1828م، وهناك عينه خليفة للطريقة التيجانية في الحجاز ، ولما عاد أعلن انه قد عين وهو في الحجاز خليفة للطريقة التيجانية على بلاده وعلى العموم لم يرجع عمر إلى بلاده في غرب إفريقيا إلا في عام 1833م، ولقد حط رحاله أولا: في البورتو حيث تزوج من ابنة الشيخو (الشيخ)، ثم غادرها متجها غربا فوصل سوكوتو في نفس السنة ، وهناك تزوج أيضا من ابنة السلطان بللو والتي ولدت له خليفته من بعده " احمدو"، وقد أقام عمر بها خمس سنوات واشترك في حروب الجهاد، التي كان يقودها صهره بللو، في ذلك الوقت ليؤسس دولة إسلامية، وقد توطدت أواصر الصداقة بين" الحاج عمر" وبين السلطان" بللو" ، لدرجة أن السلطان اختاره لكي يخلفه بعد موته لحكم سوكوتو وفقد وطد عمر أواصر الصداقة مع سلاطين ماكينا، و بورنو، و سوكوتو، و فوتا دجالون و شملت الوحدة الإسلامية غرب إفريقيا في ذلك الوقت ([1]) ، وفي مدينة "نجو يراد " أقام عمر قاعدة يدرب فيها أتباعه على أساليب القتال استعدادا لإعلان الجهاد الأكبر ، وفي السادس من شهر سبتمبر عام 1852م ، أعلن انه سوف يحارب بإذن الله كل من لا يقبل الإسلام دينا ، وكان يقصد بذلك قبائل إقليم بامبارا الوثنية ، وفي تلك المرحلة حرص "الحاج عمر" على عدم توجيه حروب الجهاد غربا تجاه مسقط رأسه في فوتاتورو ، حتى يتفادى الاشتباك مع قوات الاستعمار الفرنسي المتمركزة عند مصب نهر السنغال ، ولقد نجح عمر في الاستيلاء على مملكة كايرتا **"Kaerta** " التي كانت تسكنها قبائل البامبارا الوثنية عام 1854م وأعلن حاكم مستعمرات فرنسا في السنغال إسمه فيديرب"**Faidherbe**" أن الشيخ"عمر" وحركته يشكلان تهديدا سافرا ضد مصالح فرنسا ، كما أعلن "عمر" كراهيته وحقده للفرنسيين ، ولحركاتهم التبشيرية بالمسيحية الكاثوليكية الغربية على إفريقيا فكرا وروحا ، فقد وجه الحاج " عمر" رسالة إلى المسلمين الذين هم تحت نفوذ المستوطنات الفرنسية خاصة سكان مدينة "سانت لويس"، يقول فيها : ((من الآن فصاعدا سوف الجأ إلى القوة، ولن أتوقف حتى يتحقق السلام ، الذي أبغيه ، ويقبله الطاغية الذي يحكمكم))(*)([2])، (يقصد الحاكم الفرنسي فيدرب)،

---

[1])-p.cultru: ,Histoire du sénégal du xv siecle a 1870 , paris ,1910 , p.337.

* يقصد به الحاكم فيدريب " faidherbe"

[2])-Vincent TManteil: ,L'islam Noir , Paris ,1964,P .89

وعلى اثر هذه الرسالة، غادر المدينة عشرات من المسلمين الأفارقة خاصة من الصناع والحرفيين والبنائين، متجهين إلى القاعدة الإسلامية في " دانجويراي"، لمساعدة عمر في بناء القلاع والحصون استعدادا لمعاركه ضد المستعمرين الفرنسيين ، والحقيقة أن الحاج "عمر" كان معتدلا في نظرته إلى الفرنسيين، إذ أعلن إذا كان الهدف من مجيء الفرنسيين هو التجارة فهو لا يمانع من التجارة معهم ، شرط أن يدفعوا له الجزية باعتبارهم نصارى كغيرهم من غير المسلمين، الذين يقيمون داخل دولته الإسلامية ([1]).

أما إذا كان هدفهم هو الاستيلاء بالقوة المسل حة على أراضي السنغال، والسيطرة ببوارجهم الحربية على نهره، ونشر المسيحية فانه سو ف يحاربهم لآخر قطرة من دمه، وكرد فعل على تهديدات "عمر" أقام ((فيديرب)) قلعة في بلدة المدينة عام 1855م ، خوفا من اندلاع الجهاد الإسلامي ضد الفرنسي ين، كما بدا فيديرب باللجوء إلى الح يل الماكرة، فأوقع بين "عمر" و"سيكا" حاكم إقليم خاسو المسلم، واستمال هذا الأخير إلى جانب الفرنسيين، وحصل منه على موافقته ببناء قلعة فرنسية أخرى، داخل أراضيه، مقابل حماية فرنسا له وكان هدف ((فيديرب)) من ذلك هو إقناع "عمر"، أن الوجود الفرنسي في السنغال حقيقة واقعة، يجب أن يعترف بها، كما شرع "فيديرب" في استمالة الوثنيين ([2]).

وبدأت بعثات التبشير الكاثوليكية تنتشر بينهم ، لكن "عمر" أعلن رفضه للاستعمار الفرنسي والمسيحية معا، وصمم عن طردهم من بلاده فهاجم القلعة الفرنسية في المدينة عام 1857م، وكاد أن يستولي عليها وقاوم القائد" "بول هول" "Paul hall" ، حتى جاء المدد من" فيديرب " وقد شهد "فيديرب" شجاعة واستبسال المسلمين، وأنه لم يشهد مثل ذلك الاستبسال في حياته لكن السلاح الفرنسي هزم قوات "عمر" وأرجعها على أمرها، فارتدت ثم أعادت الكرة في عام 1859م، لتهاجم القلعة الفرنسية الثانية في منطقة "ماتام" ولكنها فشلت مرة أخرى على وردت على أعقابها.

ولكن بالرغم من انهزام القوات الإسلامية إلا أنها نجحت في وقف التوسع الفرنسي كما منيت التجارة الفرنسية بخسائر فادحة نتيجة المقاومة الإسلامية، لمصالحهم السياسية

---

[1]) - سيد أحمد على الناصري: مرجع سابق ص 190.

[2]) - الهام محمد علي ذهني : المرجع السابق ، ص ص 35 ،38.

والاقتصادية والدينية، وأمام ذلك فكر الفرنسيون في تدمير "جومو" "**Guemou**"، أكبر قلعة عسكرية لقوات الحاج "عمر" وتم للفرنسيين ذلك في 25اكتوبر 1859م([1]) ،وبعد سقوط "جومو"، واستنزاف عدد كبير من رجال الحاج "عمر"، استدار"عمر" عام 1859م.ليحول جهة القتال إلى النيجر، ولهذا يعتبر ذلك العام نقطة التحول في مسار الدعوة الإسلامية في إفريقيا الغربية([2])، ولقد رأى عمر أن يتفق مع الفرنسيين في وضع خطة للهدنة، يفصل بينه وبينهم، فوافق الفرنسيون على الهدنة و وضع خط فاصل بين مناطق نفوذهم و مناطق نفوذالدولة الإسلامية الإفريقية عام 1860 م ، وجديرا بالذكر أن هذا القبول لوضع خط فاصل بين النفوذ الفرنسي وإفريقيا الإسلامية الحرة، كان في نظر "عمر" إستراتيجية مؤقتة ، حتى يستعيد قوته، ويدعم دعوته شرقا، و يملا نفوس المسلمين ضد الوجود الفرنسي، و يمنع كل تجارة بين وادي النيجر وبينهم استعدادا لمواجهة شاملة ضدهم .

والحقيقة لقد وجه عمر نداءاته إلى المسلمين قصد التجمع في منطقة "كارتا ن ومسيحو"، وبدأت جموع المسلمين من رجال ونساء، وأطفال تزحف تحت وابل من النيران الفرنسية لتلتف حول زعيم الجهاد الإفريقي الأكبر([3]).

وما أن حل عام 1863م، حتى كان الحاج "عمر" قد أسس دولة إسلامية كبرى، تمتد مساحتها من القاعدة الفرنسية في مدينة كارتان بالسينغال، حتى مدينة تومبكتو، وذعر القائد الفرنسي "فيديرب" فأرسل سفيرا للحاج "عمر" و هو "ماج" "**Mage**" يذكره باحترام الهدنة الموقعة بينهما القديمة، واستعداد التجار الفرنسيين دفع الجزية له تماشيا والمبادئ الإسلامية ويعتبر المؤرخ" هارجر يفس" "**Hargereaves**"، أن قبول الفرنسيين دفع الجزية، هو تعبير عن انتصار عمر على الفرنسيين خاصة في بناء الدولة الإسلامية القوية وشاءت إرادة الله أن يستشهد "الحاج عمر" عام 1864م ، خلال إحدى الاشتباكات مع الفرنسيين، ورغم موته لم يجرؤ الفرنسيون على تجاوز هدنة عام 1859م السالفة الذكر واستمر مدة خمس

---

[1])- Jamil Abul Nasr, The Tijaniya: Asufi order In The Modern World, London 1965 P.119.

[2]) – محمد السيد غلاب : العرب والإسلام في إفريقيا (إفريقيا والثقافة العربية الإسلامية) ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة " الايسيسكو" الرباط ، 1408 هـ / 1987 م ص ص 48،54.

[3]) – سيد أحمد علي الناصري : نفس المرجع السابق ص 192.

عشرة عاما([1]).

و بعد ذلك التاريخ بدأ الزحف الفرنسي على حساب الدولة الإسلامية فقو بلوا بمقاومة شرسة ولقد نجح الحاج "عمر" في بناء الدولة الإسلامية القائمة على أساس القران الكريم والسنة النبوية الشريفة وامتدت هذه الدولة حتى غطت كل أراضي إمبراطورية السونغاي القديمة ، ولكن تطور وتفوق أسلحة الاستعمار الفرنسي الحديثة، وتفكك العالم العربي الإسلامي منعت حركة الجهاد من توحيد إفريقيا ([2]).

في مطلع القرن الثامن عشر أصبح من الواضح (1700م)،أن الإمبراطورية العثمانية أصبحت اضعف بكثير مما كانت عليه منذ قرن مضى، فقد أخذت الولايات الإفريقية تتمتع بسلطات شبه مستقلة، وأصبح الحكام الذين يتولون حكم الجزائر وتونس وطرابلس ، اقرب إلى الملوك منهم إلى نواب السلطان العثماني، وبينما كانت الإمبراطورية ال عثمانية تزداد ضعفا ، كانت أوربا الغربية تزداد قوة و من ثمة ازداد نشاط الدول الأوربية في تجارة العبيد وفي خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر الميلادي ارتفع معدل عدد العبيد الذين كانوا ينقلون عبر الأطلنطي إلى نحو خمسين ألف ع بدا سنويا أي نحو عشرة أضعاف عدد العبيد الذين كانوا ينقلون سنويا في بداية القرن السابع عشر الميلادي ([3]) .

والحقيقة أن التنظيم السياسي لممالك الزنوج قد استعصى على أوربا في البداية فقد كانت هذه الممالك عبارة عن تجمعات قبلية لها شعائر أو طقوسا عقائدية مع ينة، أكثر من كونها وحدات إدارية تخضع لنظام إداري موحد، ونظر ا لان الأوربيين كانوا مضطرين للتعامل مع تلك الممالك، فقد كانوا يعترفون في البداية بشرعية حكم الملوك أو الرؤساء المحليين ، ولا يتدخلون في كيفية اختيارهم أو تعيينهم، ولا يريدون السيطرة عليهم ([4]).

وكان توريط مثل هذا النوع من الممالك بدفعها إلى قبول التزامات باهظة لا تستطيع

---

[1]) ـ عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، القاهرة ، 1961 ص ص 120، 140.

[2]) ـ شوقي الجمل وآخرون ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الرياض المملكة العربية السعودية ، ط2 1422 هـ /2002 م ، ص ص 280، 282.

[3]) ـ كولين ماكيفيدي : أطلس التاريخ الإفريقي ، ترجمة مختار السويقي مراجعة محمد العزب موسى ، النهضة المصرية العامة للكتاب ، 1987 م ، ص145.

[4]) ـ فيصل محمد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، ليبيا1997 م ص ص 123، 133.

الوفاء بها هو الوسيلة التي اتبعها الأوربيون للسيطرة عليها، وهو السبب المباشر الذي أدى إلى زوال بعض تلك الممالك وانهيارها،وذلك مثلما حدث بالنسبة لمملكة الكونغو التي انهارت تماما في أواخر القرن السابع عشر الميلادي،ومملكة موتابا التي دمرتها مملكة "بوتوا" "**Butua**" وهي مملكة منافسة أنشأتها قبائل "الشونا" "**Shona**" سنة 1693م ([1]).

وقد حاول البرتغاليون أن ينشئوا لأنفسهم مستوطنة على ساحل خليج غينيا ليباشروا شئون التجارة بأنفسهم، ولكنهم فشلوا، في ذلك لعدم ملائمة الظروف الصحية في المنطقة، حيث كانت الحمى تفتك بهم أولا بأول لذلك فقد طلب البرتغاليون من مملكة "أويو" التي اتسعت سلطتها وزادت سيطرتها على تلك المنطقة، لكي تباشر أعمال الوساطة التجارية بينهم وبين المناطق الداخلية والمناطق المجاورة.والملاحظ بصفة عامة أن المبادلات التجارية بين أوربا وإفريقيا قد ازدادت وا تسع نطاقها وكان طلب الإفريقيين على السلع والبضائع الأوربية أكثر من طلب الأوربيين على سلطة العبيد ، أما بقية أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في منطقة غرب إفريقيا فتتمثل في : الاستكشافات التي قام بها الفرنسيون لمناطق نهر السنيغال، وهو أحد الأنهار الإفريقية القليلة الصالحة للملاحة([2]).

لم تحدث تغيرات كبرى في إفريقيا خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي سوى ما حدث من استقلال معظم الولايات الواقعة على الساحل الشمالي لها عن الإمبراطورية العثمانية،حيث استقلت تونس1705م،واستقلت الجزائر1710م،واستقلت طرابلس سنة 1714م،وفي الطرف الغربي من الأقاليم السودانية زالت سلطات الباشا ليك " **Pachalik**" الذين كانوا يحكمون تومبكتو بعد أن خضعوا كلية لقبائل الطوارق " **Touareg**" كما ظهرت في نفس المنطقة مملكة جديدة هي مملكة سيجو "**segu**" أنشأتها قبائل البامبارا "**Bambara**" التي تنتمي إلى القبائل المتحدثة بلغة الماندي "**Mandi**" ولها عقائدها التقليدية المحلية([3]).

وفي مطلع القرن التاسع عشر، طرأ تغيير طفيف على خط الحدود الجنوبية للإسلام

---

[1]) ـ محيى الدين صابر :العرب وإفريقيا العلاقات الثقافية . المكتبة العصرية ،ط1 ، 1987 م بيروت ، لبنان ص ص 9، 22.

[2]) ـ بلقاسم الحناشي : من إشكاليات تاريخية إفريقيا (نموذج جنوب غرب الصحراء) ،المجلة التاريخية المغاربية مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات – زغوان ، العدد 116 ، السنة الحادية والثلاثون ، ماي 2004م ،ص ص 31، 44.

[3]) ـ حماه الله ولد سالم : قوافل الحجاج ومسالكها بين غرب الصحراء والسودان مع المغرب والمشرق خلال العهد العثماني المجلة التاريخية المغاربية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات – زغوان ، العدد 116 السنة الحادية والثلاثون ، ماي 2004م ، ص ص 199، 224.

في المناطق الإفريقية بالنسبة لما كان عليه الحال في مطلع القرن الثامن عشر ([1])،وفي الفترة الممتدة ما بين " 1776م – 1786م" قامت قبائل الفولاني بجهاد مثابر لنشر الدعوة الإسلامية في ثلاث مناطق جديدة بمناطق غرب السودان و أنشأت ثلاث دويلات ثيوقراطية (دينية)هي: فوتاتورو **"Foutatoro** " وفوتاجالون"**Fouta-djalon"**و "خاسو" **"khasso**" وتتسم هذه الدويلات جميعا بشدة التمسك بتعاليم الدين وهذا اتجاه يش ذ عن الطريق الشائعة في ممارسة الأديان بمناطق إفريقيا السوداء ([2]).

أما في مناطق نهر النيجر، فقد كان الحال عكس ذلك، حيث قامت قبائل البامبارا – وهي ذات عقيدة افريقية محلية – بالقضاء على تومبكتو سنة 1787م، وضمتها إلى مملكتهم في "سيجو" وفي السنوات الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت القبائل والشعوب السوداء تمثل الأغلبية الساحقة بين سكان إفريقيا، ففي مناطق جنوب الصحراء كان يعيش نحو ستين مليونا من السود([3])، مقابل عشرة ملايين يعيشون في مناطق شمال الصحراء، إلا أننا نشير إلى أن من بين الشعوب الإفريقية التي كانت تعيش جنوب الصحراء، كان هناك نحو خمسة ملايين من الكونتيين (التوبيين) الذين لا يمكن إنسابهم إلى الأجناس السوداء بصفة عامة، ونحو مليون ونصف مليون من شعب "مالاجاشي " **"Malagasy"**، وهم بدورهم لا ينتمون إلى الجنس الأسود.

ظلت إفريقيا السوداء قارة مجهولة حتى سنة 1800 م بالنسبة للأوربيين، لم تتوفر عنها معلومات كافية لمدة طويلة من الزمن بحيث أصبح من الصعب تحديد خريطة دقيقة حولها، لأكثر من ربع مساحة المناطق الشاسعة الواقعة جنوب الخط الذي يمر ببحيرة تشاد.

أما الأسئلة الخاصة بمنابع النيل أو بمنابع الكونغو، أو بمصب النيجر، فقد ظلت بالنسبة للأوربيين أسرارا مغلقة، وهناك سبب مباشر لعدم توافر تلك المعلومات يتلخص في كلمة واحدة هي :"الملاريا "، **"Malaria"** : مرض طفيلي خطير منتشر في المناطق المدارية وشبه المدارية ويسمى أيضا البرداء. وتسبب الملاريا الأوليات(كائنات مجهرية) ،

[1]) - كولين ماكفيدي : نفس المرجع السابق ص 151.
[2]) - عبدالجليل التميمي : المرجع السابق ، ص ص 57، 62.
[3]) – خديجة النبراوي : المرجع السابق ، ص ص77، 86.

تسمى المتصورات (البلازموديا)، تنتقل للإنسان بوساطة أنثى البعوضة المسماة الأنوفليس ويعاني ضحايا الملاريا من نوبات من القشعريرة أو الرجفة والحمى ويموت ما بين مليونين وثلاثة ملايين من الناس من هذا المرض كل عام ، هناك أربعة أنواع من الملاريا ،كل منها يسببه نوع مختلف من المتصورات .والأنواع الأربعة من الجراثيم المسببة للملاريا هي : المتصورة (البلازموديوم) المنجلية والمتصورة النشيطة والمتصورة البيضوية والمتصورة الوبالية فإذا افترضنا أن عشرة من الأوربيين قد نزلوا سواحل غرب إفريقيا ، فمن المؤكد أن ستة منهم على الأقل سيموتون بوباء بالملاريا قبل نهاية العام وكنتيجة مباشرة لهذا السبب القوي أصبح من الضروري على الأوربيين أن يقللوا من اتصالاتهم بإفريقيا([1]).

وقد تم أكبر انجاز لهذه القبائل على يد الملك "عثمان دان فوديو " **"Usman.dan.fodio"** الذي استطاع خلال سنوات قليلة أن يسيطر على جميع ((الدول والمدن)) السبع التي أنشأها قبائل الهوسا، والتي كان يطلق عليها اسم الهوسلاند **"Haussland"** أو مناطق الهوسا، ولم يسيطر "عثمان دان فوديو " على تلك المدن السبع وحدها، بل ضم إلى كل مدينة ما يجاورها من المناطق المحيطة بها ([2]).

بحيث أصبح اسم "هوسلاند" يطلق على الدويلات أو المدن السبع وما يتاخمها من مناطق مجاورة واهم المناطق التي صار ضمها إلى تلك المدن منطقة "ايلورين" **"Ilorin"** التي كانت تعتبر فيما سبق الإقليم الشمالي لإمبراطورية " الاويو" التي أنشأتها قبائل اليوروبا وما أن فقدت الإمبراطورية هذا الإقليم، حتى انهارت تماما ولم يبق منها سوى إحدى الممالك التي كانت تابعة لها فهي مملكة " داهومي" **"Dahomey"** التي أضحت المملكة الوحيدة التي تفصل بينالهوسلاند وسواحل البحر ([3]). وفي سنة 1817م توفي " عثمان دان فوديو" في المدينة الجديدة "سكوتو" **"Sokoto"** التي أنشأها لتصبح عاصمة لإمبراطوريته، وخلفه على العرش ابنه القدير"محمد بللو" **"Mohamed-Belo"** ، الذي حافظ على الإمبراطورية، ثم

---

[1]) - كولين ماكقيدي : نفس المرجع السابق ص 157.

[2]) - عبد السلام بغدادي: المرجع السابق، ص ص 207، 210.

[3]) – هادي حسن حمودي : الإسلام في غرب إفريقيا من النفوذ إلى الانتشار (أحمد بابا التنبكتي ، بحوث الندوة التي عقدتها – ايسيسكو–بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته) مراكش 22–25 صفر 1412 هـ/ 2–5 سبتمبر1991م،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .1414 هـ / 1993 م ، ص ص. 42، 48 .

خلفه على العرش أحد مريديه المخلصين وهو " أحمدو لوبو" **"Ahmedo-lobo"** ، الذي يسعى إلى نشر الدعوة إلى "الجهاد" في مناطق النيجر الأوسط ، وخصوصا في دولة "ماسينا" **"massina"** التابعة لقبائل الفولاني وقد نجح " احمد ولوبو " في ذلك حتى أصبح خلال سنوات قليلة يسيطر على كل المناطق الواقعة على ضفاف النيجر بين مدينت ي جنى وتومبوكتو([1]).

واصل الفرنسيون تقدمهم، في منطقة جنوب غرب الصحراء الكبرى خاصة إلى مناطق السنغال سنة 1856م، وقد أدى ذلك إلى اصطدامهم بقوات الحاج "عمر"ازدادت التحركات الفرنسية في مناطق غرب إفريقيا، وفي سنة 1888م، قامت فرنسا بضم " فوتا جالون "، كما مارست ضغطا م ؤثرا بمناطق أعالي نهر النيجر على شيخ" أحمدو" ملك كعرتا، وهو ابن الحاج " عمر " وخليفته علي عرش المملكة، وساموري توري هازم قبائل "الماندي" **"Mandi"** والذي وضع كل القبائل التي كانت تعيش بمرتفعات غينيا تحت سيطرته منذ سبعينيات القرن التاسع عشر([2]).

وبعد أن تمكنت فرنسا من تثبيت مركزها في منطقة النيجر الأوسط والتي أطلقت عليها اسم السودان الفرنسي ، تطلعت إلى ربط تلك المنطقة بالمناطق الـتابعة لها في ساحل العاج وفي إقليم داهومي الذي استولت عليه سنة 1894م .وهكذا أصبحت فرنسا تسيطر على كتلة متماسكة واسعة الأرجاء من الأقاليم الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى وفي سنة 1895، جمعت هذه الأقاليم كلها في كيان سياسي واحد أطلقت عليه اسم إفريقيا الغربية الفرنسية، وقد أدى هذا إلى تشجيع الفرنسيين على المزيد من الطموح إلى قصد وصل الأقاليم التي تسيطر عليها في مختلف أنحاء إفريقيا ببعضها البعض متبعة سياستها التوسعية ففي سنة 1900م خرجت ثلاث بعثات عسكرية فرنسية قاصدة الالتقاء ببعضها في منطقة بحيرة تشاد وقد خرجت البعثة الأولى من الجزائر، وخرجت الثانية من إفريقيا الغربية الفرنسية ، وخرجت الثالثة من الكونغو الفرنسي وكانت منطقة بحيرة تشاد، التي كانت فيما

[1]) - جمال عبد الهادي محمد مسعود واخرون : المرجع السابق ،ص ص .157، 162.
[2]) - كولين ماكيفيدي : نفس المرجع السابق، ص 162 ،197 .

مضى مملكة بورنو القديمة ([1]).

ومن الناحية الاقتصادية استطاع الإسلام، كحضارة راقية أن يثبت وجود المدنية الإفريقية وأن يطورها، وكان أحد العوامل الرئيسة التي أدت إلى ازدهار الحياة الاقتصادية في غرب افريقية إبان العصور الوسطى وما بعدها ، وكان التقدم الاقتصادي ردا بالغا على افتراءات الاستعمار الأوربي الذي زعم أن افريقية كانت تعيش في العصر الحجري حينما نزلت بها حملات الاستعمار الأولى([2]) .

أ- المجال التجاري : كان الدعاة المسلمون في أغلبيتهم الساحقة من التجار ، الذين يقومون برحلات موسمية حاملين بضائعهم إلى أقاص ال مناطق الاستوائية و يوصلون البضائع الإفريقية إلى شمال افريقية ، ويبدو أن الإسلام قد شجع الإفريقيين على الخروج من عزلتهم الطويلة التي هيمنت عليهم في العهود الوثنية. وكان الدعاة التجار يمتازون بالنشاط والحيوية واشتهروا بنظافتهم وإتقان عملهم وتواضعهم، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا النشاط التجاري ، ظهور المدن على طرق القوافل، ذات طابع إسلامي في عمرانها وتخطيطها ومساجدها. ولما أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في الثقافة والتجارة واختفت التجارة التي كانت تعتمد على المقايضة والإشارة ذلك أن الإسلام قد أدخل إلى تلك الأصقاع نظام الصكوك والمعاهدات والمكاتبات التجارية، شهد بذلك الرحالة العرب والأوربيون ([3]).

وقد أوجد الإسلام في الدول الإفريقية لأول مرة نظام الضرائب العينية على البضائع المستوردة والمصدرة، قبل أن ينتشر استعمال النقد المسكوك ، وبازدياد تغلغل الإسلام في المجتمعات الإفريقية أخذت التجارة شكلا منتظما، حين تولت الدول الإفريقية الإسلامية حماية القوافل التجارية ومن المدن التي ساعدت التجارة على ظهورها وكانت مراكز لجالية عربية إسلامية، هي مدينة "جنى" ومدينة " تومبكتو" و مدينة "غاو" (في جمهورية مالي) وولاتا ونيما (موريتانيا) واغادس (النيجر) واودينية (ساحل العاج) ومدن شمال نيجيريا حيث أقام في هذه المدن التجار العرب مع الإفريقيين في ظل الأخوة الإسلامية ، وذلك لان

---

[1]) – عبد الواحد أكمير : المرجع السالق ، 136، 137 .

[2]) - نعيم قداح: المرجع السابق ، ص 139.

[3]) - علي الخاتم : المرجع السابق ،ص ص 197، 199 .

العلاقات الاقتصادية بين افريقية و العالم كانت محصورة بين البلدان العربية في الشمال الإفريقي والقطر المصري([1]).

وأقيمت في المدن الإفريقية الأسواق في أيام معلومة تقليدا لأسواق المغرب العربي، وكان العرب المسلمون أول من تغلغل في مجاهل القارة السوداء فسيطروا على وطرق القوافل ووسائل النقل، فكانت هناك عدة طرق كما ذكرنا سابقا مثل الطريق الأول البادئ من سجلماسة في المغرب فاودغشت مارا بالسوس الأقصى والصحراء الموريتانية، والطريق الثاني من أروان في صحراء موريتانيا إلى سجلماسة، مارا بتغازا ،والثالث من تومبكتو إلى مراكش، والرابع من تومبكتو – الهقار توات ور جلان (صحراء الجزائر) إلى تلمسان و الخامس من غاو – تكادا – مرزوق (فزان) ليبيا والسادس من تكادا اغادس وتشاد إلى الفاشر (في السودان) فالبحر الأحمر أو القاهرة والسابع من كانو (نيجيريا) تبستي (صحراء النيجر – مرزوف برقة إلى الإسكندرية .

وهكذا نظم الإسلام التجارة ووسائل التبادل وجاء العرب المسلمون تجارا حاملين مشعل الحضارة العربية الإسلامية، وم ا يشير إلى الصلات التجارية الحضارية بين العرب وافريقية المثل السائد في شمال إفريقيا الذي يقول (إن جرب جملك فعليك بالقطران، وان تفتقر فسافر إلى السودان) ([2]).

ب– المجال الزراعي: شجع الإسلام على العمل، وجعله عبادة ،جاء في الأثر " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه "والإنسان في حد ذاته مرتبط بخدمة الأرض لان منها قوته وغذاءه، وكذا تربية الحيوان، واستفادة الإنسان منها، ولذا كان للإسلام الأثر البالغ في تشجيع العمل الزراعي وتربية المواشي، بل إن كان الإفريقيون يعيشون على الصيد و جمع القوت ولما حرم الإسلام تربية الخنازير و أكلها حث على الإكثار من تربية المواشي وهي حيوانات لها أهميتها الاقتصادية ، وقد اختصت قبائل الفولان التي تنتشر في أنحاء مختلفة من افريقية الغربية بتربية المواشي و اتساعها في الفوتادجالون و مالي السينغال و ساحل العاج

[1]) - نعيم قداح : نفس المرجع السابق ، ص 140 .
[2]) - جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ص 30،34.

وشمال نيجيريا ([1]) .

وكانت تربية المواشي خير معين للإفريقيين على الإقلاع عن عادة أكل لحوم البشر التي كانت منتشرة بصورة واسعة في بعض الأصقاع وقد أوقف الدين الحنيف المنازعات القبلية بأشكالها الدموية، فشعر معتنقي الإسلام بنوع من الاستقرار، الذي كانوا متعطشين إليه من قبل والذي كان عاملا أساسيا في انصرافهم إلى العمل في الزراعة([2]) ، ولما منع الإسلام الغزو والسلب، اتجه الناس إلى العمل الزراعي ليكسبوا ما يسد رمقهم ،كما كانت مقاومة الإسلام لتجارة الرقيق وتحريمها(التي كان يمارسها الأوروبيون) عونا للإفريقيين على صون قواهم البشرية ، ومن ثم انكبوا إلى التقدم والبناء فتركوا الترحال وحياة الغابات ليستقروا في الأرض الزراعية بصورة دائمة ، وعرفوا منذ استقرارهم قيمة الكنوز الدفينة في الأرض، فزرعوا الأراضي الشاسعة بالحبوب والغلال والأرز، وقد ارتبطت الزراعة في بعض الأنحاء (الفوتاجالون) بالقدسية التي كان يتمتع بها رجال الدين فالفلاحون هناك كانوا يطلبون من الإمام أن يتدحرج بجسده على الأرض بعد زراعتها ليمنحها الخصب و لربما كان ذلك من رواسب الوثنية ([3]).

ولقد احتاج الطلاب الذين يتعلمون في كنف إحدى الطرق الدينية والدعاة الذين يقيمون الزوايا و الرباطات لأمد طويل بقصد نشر الإسلام، إلى ما يسد الزحف ليتابعوا مهماتهم المتنوعة الكثيرة، ولم يجدوا أمامهم إلا الأراضي التي يزرعونها ويقتاتون منها ، ثم إن المريدية ([*]) قد حثت أتباعها على العمل في الزراعة ورصدت الأرباح الناجمة عن العمل التعاوني لدعم الدعوة الإسلامية .

وقد اعترف الفرنسيون بأن زراعة الفستق في السنغال، ذلك المحصول الذي جنى الفرنسيون من احتكاره م لتصديره الأرباح الطائلة، فقد انتشرت بفضل المسلمين الذين استقروا في أراضي وديان السنغال الخصبة ، وكان شعار المريدية : من يزرع يأكل وقد

---

[1]) - نعيم قداح : مرجع السابق ، ص 141.

[2]) - ابراهيم عبد المجيد محمد : المرجع السابق ، ص ص 58، 64 .

[3]) - شوقي عطاء الله الجمل وآخرون : المرجع السابق ، ص ص 85، 100.

[*] المريدية : طائفة إسلامية ظهرت في السنغال ، تزعمها أحمد بامبا وقد استمرت في الدعوة إلى الإسلام و ظلت على نشاطها إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى .

انتظم الإفريقيون بفضل تشجيع الإسلام لكسب الحلال أمور الزرع تنظيما تعاونيا يتفرع إلى جميع أنحاء المناطق الزراعية ذات النشاط الاقتصادي، من جمع المحاصيل إلى تخزينها ثم تسويقها وبيعها ونقلها وتصديرها .

جـ – المجال الصناعي: وكما قدم الإسلام للإفريقيين المبر رات النفسية والاجتماعية للعمل في الزراعة والتجارة، فانه خلف قوى من النشاط في الصناعة اليدوية، تقدمت تقدما ملحوظا.

ولما وصل الإسلام إلى افريقية الغربية، فانه قد اقر بالقضاء على عادة "العري الوثنية"، وحث الناس على ارتداء الملابس، فازدهرت بذلك صناعة النسيج وحياكة الملابس، وكانت تومبكتو منذ نشأتها، تشتهر بصناعاتها النسيجية، ومن جهة أخرى، فان الصناعات الاستهلاكية المحلية فقد نمت نموا ملحوظا فظهرت صناعة دباغة الجلود([1])،وكان الإفريقيون يصدرون أنواعا من الأحذية إلى تلك البلاد ضمن حركة التبادل التجاري([2]).

وكانت مواقف الإسلام ضد الوثنية العنيفة المهاجمة للمسلمين، تقضي أن يدفع المسلمون ثمنها، واضطرهم ذلك إلى صناعة أنواع من الأسلحة التي يحتاجون إليها في الحروب الدفاعية ، وفي مقاومة الحيوانات المفترسة وفي الصيد وكان الحدادون يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع الإفريقي، لان صناعتهم كانت راقية نظرا لحاجة الفلاحين إلى الأدوات الزراعية ولحاجة العمال اليدويين إليها في التجارة والدباغة والحياكة([3]).

ولما نشأت دولة السونغاي في غاو تأثر المجتمع الإسلامي ، اتخذت هذا النهر العظيم طريق لمواصلاتها وخطا لدفاعها، لذا نشطت صناعة القوارب بمختلف أشكالها التجارية والحربية وفي هذا النهر الكبير ثروة ضخمة لا تنضب من السمك، لذلك تمت صناعة التجفيف التي اختص بها عدد كبير من القبائل الإسلامية ، التي تسكن على ضفاف نهر النيجر([4]).

وفي مجال آخر استطاع الإفريقيون أن يستغلوا الثروة الذهبية في بلادهم بمساعدة

---

[1]) ـ محيى الدين صابر: العرب وأفريقيا العلاقات الثقافية، المكتبة العصرية، صيدا لبنان ط1 1987 م، ص ص 9، 17.

[2]) ـ نعيم قداح: المرجع السابق، ص 143.

[3]) ـ عبد الفتاح مقلد الغنيمي :حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا،مكتبة نهضة الشرق،مصر 1985 ، ص ص 169، 180.

[4]) ـ ظاهر جاسم محمد : المرجع السابق ، ص ص 70، 75 .

جماعة من التجار العرب من شمال افريقية ، واشتهرت في صناعة استخراج الذهب منطقة" البوري" "**Bourré**" في غينيا التي كانت تحت نفوذ مملكة "مالي" ومنطقة "البامبوك" في السنغال، و قد أكد المؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان" أن سبائك الذهب الإفريقية قد وصلت إلى بلدان البحر المتوسط ولم يتقن الإفريقيون هذه الصناعة إلا عندما دخل الإسلام إلى بلدانهم فعرفهم بقيمة هذا المعدن في الحياة الاقتصادية، وكان الحاج "عمر" الثائر الذي أقلق الفرنسيين في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، يستخدم الذهب في شراء الأسلحة من السيراليون المستعمرة البريطانية، وكان هذا الرجل يحث أتباعه على الاستمرار في استخراج الذهب حتى يتمكن من مقاومة الاستعمار، وكانت صناعة الأسلحة في دولة الحاج عمر متطورة كل هذا ما كان له أن يحدث لولا مجيء الإسلام لان الوثنية كانت ضعيفة في مقاومة الاستعمار من الناحية الاقتصادية والاجتماعية([1])، فقد تهالكت الوثنية المرة الأخيرة تحت أقدام المستعمرين لأن الإسلام أنهي مبرر وجودها، فلم يعد لها نظام يسندها، حيث كان شعار الوثنية:" انتظر ثمار الأشجار حتى تسقط "، أما شعار المسلمين الإفريقيين فهو:" اعمل واكسب بالوسيلة النزيهة" ([2]) .

عادت الحركة التجارية بين المغرب العربي وإفريقيا الغربية للانتعاش منذ نهاية القرن الثامن عشر، وذلك لعوامل متعددة على رأسها القرارات التي اتخذها السلطان المغربي مولاي سليمان والتي سعى من خلالها التقليل من حجم التبادل التجاري مع أوربا وتقوية التبادل مع بلاد السودان (مالي الحالية) عبر تجارة القوافل لذا حرص على ضمان الأمن عبر طرقها وقد استمر هذا الانتعاش خلال فترة هامة من القرن التاسع عشر الميلادي واستمر حتى وضع الأوربيون يدهم على المنطقة كما أن فتح ميناء الصويرة بالغرب من واحة الملاحة التجارية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وحصر رسوم الجمارك على الواردات والصادرات التي تمر بالميناء في نسبة 2%([3])، جعل هذا الأخير يتحول إلى

---

[1]) ــ فنسان مونتاي : الاسلام في افريقيا السوداء ، ترجمة .الياس حنا الياس ،دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1983 م، ص ص 299 ، 302.

[2]) – نعيم قداح : المرجع السابق ، ص 144.

[3]) – عبد الرحمن اكمير : الحضور المغاربي – الأوربي في إفريقيا الغربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 281 جويلية2002م/ 1424هـ ، ص ص 135،139.

نقطة وصل تلتقي عندها البواخر التي تحمل السلع الأوربية بالقوافل القادمة من إفريقيا الغربية، والتي يشرف عليها التجار المغاربة الذين كان نشاطهم يتمثل في دور الوسيط التجاري وإنشاء محلات تجارية نشطة في أهم مدن إفريقيا الغربية مثل مدينة كانو ،ومدينة غاو، ومدينة تومبوكتو التي كان يوجد فيها سنة 1864م حسب الحاخام مورداخاي ستمائة تاجر من توات، وما بين عشرون وخمسة وعشرون تاجرا من فاسومن سبعة إلى ستة عشر تاجرا من طرابلس وإحدى عشر تاجرا يهوديا من غدامس، ويشير المؤرخ دوبوا "**Dubois**" من جهته إلى أن التجار المغاربيين أثناء زيارته إلى بلاد السودان خلال منتصف القرن التاسع عشر كانوا يعتبرون"العناصر الأكثر جدية والأكثر غنى في مدينة تومبكتو" ([1]) .

ولقد استمرت تجارة القوافل على درجة من الأهمية حتى بداية القرن العشرين حيث ربطت شمال مالي بالمغرب عبر الطريق الغربي الذي يعبر كلميم بالمغرب، وبالجزائر عبر الطريق الشرقي الذي يمر بتندوف كما فعلت من قبل دولة البرتغال في القرن الخامس عشر الميلادي.

وقد وضع الاستعمار الفرنسي في القرن العشرين مراحل عدة في وجه تجارة القوافل، حيث ذكرت التقارير السرية التي كتبها مسؤولون عن الإدارة الفرنسية في إفريقيا جنوب الصحراء تتحدث عند ضرورة مراقبة القوافل التجارية بعدما ثبت أنها تقوم بتهريب الأسلحة بين المستعمرات الفرنسية شمال وجنوب الصحراء وأدت هذه الوضعية إلى تراجع نشاط التجار المغاربيين المستقرين في مختلف أنحاء إفريقيا الغربية مثل مدينة تومبكتو والتي كانوا يسيطرون على التجارة فيها، كما سبق، وان تراجعت مكانتهم فيها بشكل كبير بعد احتلالها من قبل فرنسا عام 1894م التي قدمت للمعمرين الفرنسيين كافة التسهيلات لمنافسة التجار المغاربيين.

وهكذا ففي تقرير يعود إلى عام 1907م كان أربعة من بين اثنتي عشر من ابرز المحلات التجارية في ملكية فرنسيين([2])، مقابل خمسة في ملك ال مغاربة واثنين في ملك ماليين، وواحد في ملك ليبي، وآخر في ملك ألماني، ويتحدث التقرير نفسه عن الضرر الذي

[1])-Félix Dubois, Tombouctou la mystérieuse (paris : e f Flammarion ; 1887) , p 55.

[2]) - عبد الواحد اكمير : المرجع السابق ، ص 136 .

لحق بتجار بعض المغاربيين نتيجة لهذه التحولات الم ذكورة. فقد أصبح استعمال البحر هو الوسيلة الأساس للتجار المغاربة، الذين يطمحون إلى الوصول لإفريقيا الغربية وخصوصا أن مختلف شركات الملاحة الأوربية التي كانت تصل إلى هذه المنطقة كانت تتوقف بميناء الدار البيضاء ([1])، وقد اتجه هؤلاء التجار في الأساس إلى الس ينغال حسب تقرير فرنسي يعود لسنة 1905م فقد وصل أوائل التجار المغاربة إلى هذا البلد عبر طريق البحر عام 1880م، وفي عام 1905م (سنة كتابة التقرير) كانوا يمتلكون محلات تجارية مزدهرة تنافس المحلات التجارية الفرنسية حيث تتراوح أرقام المعاملات السنوية لبعضه م ما بين مائتين وخمسون وخمسمائة ألف فرنك ([2])، لقد حرصت فرنسا على غرار غيرها من القوى الاستعمارية الأخرى على أن تحول مستعمراتها في إفريقيا جنوب الصحراء إلى سوق لترويج موادها المصنعة، وفي الوقت نفسه إلى مركز للحصول على المواد الخام، انطلاقا من ذلك انتهجت سياسة اقتصادية واضحة تقوم بالدرجة الأولى على التجارة، وقد عملت على تجهيز المنطقة أساسا لتحقيق مشروعها الاقتصادي، وهكذا قدمت التسهيلات للتجار الفرنسيين الذين كانوا يودون الانتقال إلى المستعمرات كما مر بنا سابقا ، وقام الحاكم الفرنسي "فيديرب" "faidherb" عام 1869م بتأسيس بنك السنغال، كما تم في المرحلة نفسها تأسيس غرفتين تجاريتين، في كل من مدينة داكار ومدينة غوري ([3]).

بالإضافة إلى ذلك قامت الإدارة الاستعمارية بإنشاء خطين للسكة الحديدية: الأول عام 1885م ويربط مدينة سان لويس بمدينة داكار والثاني في عام 1887م ويربط مدينة داكار بمدينة باماكو([4]).

في هذه الأثناء كانت الدور التجارية الفرنسية الكبرى الم تمركزة بمدينة بمرسيليا ومدينة بوردو، والتي بدأت بالانتشار في إفريقيا الغربية منذ أربعينيات القرن التاسع عشر الميلادي قد وصلت إلى درجة كبيرة من الأهمية بفضل تخصصها في تجميع وتصدير

---

[1]) ــ درك كارتن : إفريقيا – إفريقيا قارة تقف على قدميها ، ترجمة : أحمد فؤاد بلبع ، مراجعة حسن لطفي المنفلوطي ، مؤسسة سجل العرب ، مصر، 1965 م ،ص ص 26، 28 .

[2]) – عبد الواحد اكمير: المرجع السابق ، ص 138.

[3]) ــ سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص 183

[4]) ــ جودت حسنين جودت : مرجع سابق ، ص ص 25، 30.

المحصول الزراعي الإفريقي وترويج المصنوعات الأوروبية، و في الوقت نفسه ظهرت شركات ملاحة متعددة لقيت الدعم الكامل من قبل السلطات الفرنسية التي قامت بتشييد ميناء داكار والذي تحول منذ بداية القرن العشرين إلى أهم ميناء في القارة الإفريقية([1]).

المبحـــث الثالث الدور الاجتماعي للقوافل التجارية:

يعتبر الإسلام بالنسبة للوثنية الإفريقية صنو للرقي والتقدم والحضارة، و كان خطوة بناءة في تطور المجتمع الإفريقي في كثير من نواحيه وقد ساعد على نشوء ونمو كثير من المدن التجارية، وساهم في التقدم السياسي للدول والإمارات الإفريقية، وفي ظهور المراكز الثقافية كما ذكرنا سابقا ، ومن ثمة أظهر الإسلام تغيرا أساسيا في العادات والأخلاق فقد تغيرت بانتشار الإسلام العادات، مثل أكل اللحوم البشرية وتقديم القرابين البشرية ووأد الأطفال، تلك العادات البالية الرذيلة التي كانت الطابع الأساسي للوثنية ، حيث كان الناس يعيشون عراة بلا ملابس ولا يغتسلون، ولكن مع مجيء الإسلام أصبحوا يرتدون ملابسهم ويغتسلون من أجل أداء فريضة الصلاة يوميا لأن الشريعة الإسلامية تتطلب منهم الطهارة بل أنهم قد أصبحوا يباهون مواطنيهم الوثنيين بملابسهم البيضاء النقية ([2]) .

وكان لمنع الإسلام شرب الخمر أثرا بارزا في الاستقرار النفسي والصحي وفي إقبال الناس على أعمال الخير، والقيام بالواجبات . وقد حث الإسلام في المجال الاقتصادي على الكسب الحلال، فاقبل الناس على تعلم المهن الشريفة، وكان تحريم الإسلام للرقيق سببا في صون القوى البشرية في إفريقيا، حيث أتاحت سماحة الإسلام للإفريقيين أن يصبغوا بعقليتهم بعض النواحي الفقهية والسياسية والاجتماعية في الدين الإسلامي الحنيف([3]). ومن ناحية النسب كانت السلطة الأمومية مهيمنة في المجتمع الوثني وان حبل النسب كان مرتبطا بالأم ارتباطا وثيقا ولما جاء الإسلام أعطى القرابة الدموية من جهة الأب قوة عظيمة قال

---

[1]) ـ نقولا زيادة : المرجع السابق ،ص ص 369، 371.

[2]) – علي الحاتم: الإسلام في السودان الغربي وأثاره السياسية و الثقافية
http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=157
تم الاطلاع غليه بتاريخ 5.9.2008

[3]) ـ عبد الرحمن زكي : حركة الإصلاح الديني في غرب إفريقيا ،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد المجلد الثالث عشر ، مدريد 1965-1966 م ،ص ص 146،157.

تعالى" **أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند** الله "([1]) ومن ثم فقد أصبح للرجل دور هام في الحياة الاجتماعية، ومن جهة أخرى فقد حث الإسلام على صيانة حقوق المرأة ، لقد كان الإفريقي الوثني يحمل أسمه واسم عائلة أمه حسب نظام السيطرة الأمومي ثم أضيف إلى كل ذلك فيما بعد الاسم الإسلامي، وتطور الأمر إلى الاحتفاظ باسم القبيلة بدلا من اسم الأمإلى جانب الاسم العربي الإسلامي . وذلك بعد أن ازداد الدور الاقتصادي للرجل، الذي قدمه الإسلام على المرأة، مثل : (إسماعيل نوري، أبو بكر تراوري، إن الاسم الثاني هو اسم القبيلة).

وقد بد أ تفكك النظام القبلي تدريجيا بعد دخول الإسلام إلى تلك البلاد وأتيحت الفرصة لتآخي القبائل في ظل هذا الدين، بعد قرون من الحروب القبلية ال قاسية الضروس، وكان من نتيجة ذلك أن قامت الدول الإفريقية الإسلامية على التجمع القبلي الديني مثل: مملكة مالي، في وادي النيجر الأعلى التي عرفت بتجمع قبائل "الماندينغ" **"Mending"** المسلمين، ومملكة كايور في السنغال التي اعتمدت على سواعد قبائل 'الولوف" "Wolof" الذين اعتنقوا الإسلام في القرن السابع عشر الميلادي، أما مملكة غاو في وادي النيجر الأوسط (جمهورية مالي) فقد كانت عبارة عن تجمع قبلي إسلامي لقبائل" السونراي" **"Sonrai"** وكذا الإمارات الإسلامية الأخرى في منطقة نيجيريا الشمالية التي كانت رمز اتحاد "الهاوسا" **"Haoussa"** وقد ساعد الإسلام على تكوين طبقة جديدة حلت محل طبقة الزعماء القبليين([2])، وهذه الطبقة الجديدة هي طبقة الم ثقفين من رجال الدين، الذين عرفوا باسم الأئمة وقاد بعض هؤلاء حركات سياسية واجتماعية ودينية إبان القرن التاسع عشر الميلادي ومنذ أن وط أت أقدام المستعمرين أرض افريقية الغربية كان لبعض الأئمة دور بارز في إبقاء شعلة المقاومة حيث تولى بعضهم قيادتها واتسم بـالنضال المستميت إذ قام الشيخ محمد الأمين و احمد الشيخ وغيرهما في السنغال والحاج عمر وولده أحمد في وادي النيجر(السودان الغربي) والسلطان رتاج في تشاد، و ساموري توري في غينيا ([3]).

---

[1]) - قران كريم : السورة الأحزاب، الآية رقم :5.

[2]) – البروفيسور عثمان السيد اسماعيل: حركتا الشيخ عثمان بن محمد بن فودي و محمد احمد به عبد الله المهدي و أثارهما:(1168-1332هـ/1757-1817م، و 1260-1302هـ/1844-1885م) تم الاطلاع عليه في 5-9-2008.
http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=161

[3]) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص ص 147، 179.

وقد تمتع الم ثقفون من الأئمة ب احترام الحكام إذ كان لهم التقدير والتبجيل وهذه المكانة تدل على تدين الشعب الإفريقي واحترامه لفقهائه وعلمائه ، إذ أصبح هؤلاء العلماء لطبقة اجتماعية جديدة يملك الواحد منهم الأراضي الخصبة الواسعة التي يعمل فيها وفق نظام المشاركة، وقد تجسدت مؤثرات الإسلام بشكل جلي في الحياة اليومية في مملكة مالي ومملكة غاو فكان الأئمة العلماء والسلطان يتناولون طعامهم على مائدة البلاط ، وكان حكام هاتين المملكتين يجمعونهم في الخطوب ويتبادلون معهم الرأي في تسيير شؤون الدولة في الأخطار التي تتعرض لها، ثم يتخذوا معا التدابير اللازمة لحمايتها وحل مشاكلها ، وكانت سلطة العلماء والأئمة، وهم ممثلو الثقافة العربية، زمن السلطان محمد الحاج (مطلع القرن السادس عشر) واسعة ولها كامل الصلاحيات في الحل والربط([1]).

وقد آمن الإفريقيون بما زعمه بعض رجال الدين من ارتباط نسبهم بالأسرة الهاشمية من الأدارسة، ولقد لقب هؤلاء بالأشراف ووصل الاعتقاد ببعض المجتمعات إلى أن كثرة الأشراف في بلد ما، تؤدي بأهله إلى الجنة، و وصف الرحالة الانجليزي "جوزيف تومسون " صورة للحياة الاجتماعية في نيجيريا في كتابه " القبائل الإفريقية في الإمبراطورية البريطانية " حيث تعرض إلى وصف يبين الأثر الإسلامي في المجتمع الإفريقي ([2]).

بينما كانت تجارة الخمور والرقيق الأوربية تفتك بالقبائل الوثنية يقول "تومسون" الانجليزي بينما كانت الباخرة تسير في صعدا في مياه نهر النيجر، لم أجد إلا قليلا من التغيير في المناظر التي شاهدتها في ألمائتي ميل الأوليين حيث تسود الوثنية والوحشية وتجارة الخمور في ازدهار كبير، ولكن لما تركت ورائي المنطقة الساحلية المنخفضة، وألفيتني على مقربة من الحدود الجنوبية للسودان الأوسط (وادي النيجر الأدنى) لاحظت تحسنا مطردا في المظهر الأخلاقي عند الأهليين، لقد اختفت الوحشية والوثنية وزالت تجارة الخمور إلى حد واضح ، وصارت الملابس أكثر احتشاما وأصبحت النظافة عند القوم ظاهرة

---

[1]) ـ عبد الرحمن عمر الماحي : الدعوة الإسلامية في إفريقيا – الواقع والمستقبل ـ ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1410 هـ / 1989 م ص ص 85، 95.

[2]) ـ إصلاح محمد البخاري حمودة : انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء تنبكت – غدامس نموذجا (7- 11 هـ / 13 – 17 م) ، دار الكتب الوطنية ، ط 1 ، ليبيا ، 1372 هـ / 2004 م ص ص 205، 217

ودلت مظاهرهم الخارجية على وقار زائد وأدب جم ([1]).

وقد دل كل شيء على أن ثمة نواة لمبدأ أكثر رقي من المناطق التي تركتها ورائي وهكذا كان الإسلام يؤثر تأثيرا عميقا في طبيعة الزنجي ويجعل منه إنسانا جديدا وان هذا المؤثر هو الإسلام ولما مررت" بلوكوجا""(lokoaja)" عند ملتقى نهر" بينويه" "Benue"بالنيجر (إلى شمال الشرقي من لاغوس) تركت ورائي المراكز الأمامية لنشر الدعوة الإسلامية، ولما دخلت السودان الأوسط، وجدتني في دولة تقوم على العدل و بها جماعة نشيطة من التجار الأذكياء، وكان هناك صناع مهرة في المنسوجات والنحاس والجلد الواقع أنهم شعب متقدم تقدما ملموسا في مرافئ الحضارة([2]).

وقد شق المسلمون حملة عشواء على الرقيق وعلى المتاجرين به وحاربوه بكل وسيلة على أن نظام الرق الإفريقي لو قورن بمثيله الأوربي في العصور الوسطى، لان الإفريقي المستعبد في إفريقيا يتمتع بحياة مزاياها أفضل من تلك التي يعيش في ظلها الرقيق الأوربي، وقد اعترف بذلك الرحالة الفرنسي "روني كاييه" caillé René" الذي زار إفريقيا الغربية في حوالي سنة 1830م ([3]).

كان أثر الإسلام في المجتمع في غرب إفريقيا عميقا فقد غير من عادات الأفارقة وفي مظهرهم وطريقة تفكيرهم وخلق ثقافة إسلامية افريقية، ولا تكاد توجد ناحية من نواحي الحياة إلا وفيها تأثير الإسلام وتعاليمه ومن أهم خصائص الحياة في هذه البلاد التي أثر فيها الإسلام هي :

أ-المدن الإسلامية بغرب أفريقيا: أصبحت بعض مدن السودان الغربي مراكز علمية واقتصادية بفضل الإسلام ذائعة الصيت برزت فيها دور العبادة والعلم، ووقفت على قدم المساواة مع العواصم الإسلامية الأخرى في هذا المجال وقد كتب عن تلك العواصم وعن دورها الحضاري حيث نوه بها أكثر من واحد من المؤرخين الأجانب و العرب ([4])، فكانت

---

[1]) - محمد إبراهيم حسن :جغرافية إفريقيا وحوض النيل ،مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية مصر 1997 م .ص ص 521، 543.

[2]) - نعيم قداح : المرجع السابق ص 177.

[3]) - سعيد حراش : المرجع السابق ، ص 185.

[4]) – شوقي عطا الله الجمل: مرجع سابق (المناهل) ص 154.

تومبكتو حاضرة ثقافية على صلة بالعواصم الثقافية الأخرى في المغرب والعالم العربي مثل: (فاس) بالمغرب، و(القيروان) في تونس، (القاهرة) في مصر . ويذكر أن الكثيرين من علمائها رحلوا إلى فاس والى مصر واتصلوا بعلمائها ([1])، وقد تحدث المؤرخ السعدي عن العلماء الذين زاروا تمبكتو للتدريس بمعاهدها، من مختلف أنحاء الوطن العربي من مغاربة وأندلسيين و حجازيين ومصريين وي شير على أنها أصبحت من حواضر العلم يفد إليها الطلاب من السنغال والنيجر ومن إمارات الهوسا، وبرنو وكانم، ويذكر أنها كانت سوقا للكتب تنسخ فيها المخطوطات وتوزع في البلاد الأخرى .وقد أعطى المؤرخ "الحسن الوزان" صورة عن (تـومبكتو) حين زارها في أوائل القرن السادس عشر الميلادي كما زارها مؤخرا بعض الرحالة الأجانب من أمثال بارث "Barth"الذي زارها في الفترة (1853م-1854م) وتحدث عنها ([2]).

ب-الطابع الثقافي والفني: اشرنا إلى أن الثقافة العربية بل الثقافة بمعناها الواسع انتشرت في غرب إفريقيا في اثر الإسلام. و سبق لنا أن ذكرنا كيف أنشئت المدارس وبنيت المساجد لتثقيف الناس وتفقيههم في شؤون دينهم، ومن أهم ما تميز به التراث الثقافي في غرب إفريقيا تأثره إلى حد كبير بالتراث العربي المغربي الأندلسي .وقد أشرنا كيف انتقل علماء من المغرب وغيره من الأقطار العربية إلى المدارس من المغرب وغيره من الأقطار العربية إلى المدارس التي قامت بـتلك البلاد، كما انتقل الدارسون منها إلى معاهد العلم المغربية وغيرها .

والحقيقة أن الأثر الثقافي للإسلام في مجتمع إفريقيا كان قويا وعميقا، ولعل الصورة التي يقدمها "بالمر" "Palmer" عن علاقات ممالك غرب إفريقيا الثقافية بالبلاد العربية الأخرى توضح الأثر الثقافي للإسلام واللغة العربية في هذه البلاد، فقد شملت البلاد نهضة علمية، وقامت فيها مراكز ثقافية كانت بمثابة الشعلة التي تضيء طريق المستقبل، وبرز علماء وأدباء في مختلف المجالات، وتأثرت الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية بكل ذلك وساعد تشجيع كثير من السلاطين للحركة العلمية على أن تستمر الحركة في تحقيق

[1])- Dubois f : Tombouctou la mystérieuse (paris 1899) p. 175

[2])-Barth ,h: travels & discoveries in north & central Africa (London) 1858.Vol IV .p.p.403, 408.

أهدافها. فهناك قضية أهم هي نتيجة هذا الالتقاء بين حضارتين متباينتين، الحضارة العربية التي جاءت في ركاب الإسلام، والحضارات الإفريقية التي كانت قبل ذلك في هذه البلاد ، ويرى الكتاب والمؤرخون أن هذا الالتقاء بين الحضارتين خضع لنفس القواعد والنتائج التي تترتب على هذه الظاهرة، وانتهى المؤرخ الانجليزي (توينبي) بتقنينها في مبادئ محددة([1]).

ومهما يكن من أمر فان الإسلام دخل غرب افريقية حاملا معه ثقافة عربية زاهرة.وإذا كانت طبيعة الإسلام أن يبقى من التقاليد و النظم ومظاهر الحياة ما لا يتعارض وتقاليد الإسلام ومبادئه ، وما يلائم طبيعة المجتمع وسكانه، فان تأثر سكان غرب إفريقيا بالحضارة الإسلامية العربية، كان نابعا قبل كل شيء من رغبة داخلية وتطلع لمسايرة العالم الإسلامي في حضارته ونهضته، ولعل النقطة الغامضة التي تحتاج إلى دراسة أعمق هي، هل شمل هذا التغيير غالبية المواطنين في هذه البلاد؟ أم اقتصر الأمر على طبقة خاصة من المجتمع استطاعت أن تساير الثقافة الإسلامية العربية. بينما بقي عامة الناس بعيدين إلى حد ما عن جوهر الحياة الإسلامية ؟([2]).

ومن المعروف أن العامة لم يتخذوا اللغة العربية كلغة للتخاطب في حياتهم الخاصة، إنما ظلوا لفترة طويلة يستخدمون لغتهم الأصلية، بينما بقيت العربية لغة الثقافة ولغة الصلاة، كما أن الحركات الإصلاحية التي قامت، والتي اتسمت أحيانا بالعنف في هذه البلاد ، كان الدافع إليها ما لمسه القائمون بهذه الحركات من انتماء الكثيرين للإسلام بالاسم فقط مع إليها ما لمسه القا رئ مع ممارستهم لما اعتادوه من عادات وتقاليد وثنية بعيدة عن تعاليم الإسلام([3]).

حرصت فرنسا على تزكية حضورها الثقافي بتطبيقها لما عرف سياسة الاستيعاب (Assimilation) التي سعت من خلالها لدمج سكان المستعمرات في الثقافة الفرنسية على حساب هويتهم الثقافية، بحيث نهجت فيما يتعلق بالتعليم البرامج المقررة في فرنسا بالنسبة

---

[1]) - حسن أحمد محمود: مرجع سابق ص ص 10،11.

[2])- عبد الباقي مجمد كبير: انتشار الإسلام في إفريقيا بأقلام أوربية (مؤتمر الإسلام في إفريقيا 2006م)
http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=157
تم الاطلاع عليه في 13-8-2009.

[3]) - مدثر عبد الرحيم: المرجع السابق، ص 22، 24 .

إلى مواد مثل الأدب والتاريخ والجغرافيا (وما زالت هذه البرامج موجودة إلى اليوم في بعض البلدان) وهو ما جعل تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية في إفريقيا جنوب الصحراء يعرفون بشكل مفصل تضاريس فرنسا ويعرفون أعمال نبغائها في الفكر وملاحم عظماتها في التاريخ، لكنهم في مقابل ذلك لهم جهل تام بالتاريخ وجغرافية وأدب بلدانهم. وكان ذلك كله على حساب التعليم التقليدي الملقن بالعربية، والذي عملت فرنسا على تهميشه بشكل كامل، وكان حرص فرنسا على طبع إفريقيا جنوب الصحراء بثقافة فرنسية لا يقل حرصها على نشر الديانة المسيحية ،بخلاف إخفاقها في المغرب العربي ([1]) .

هذا على أن الفن الإسلامي في غرب إفريقيا لم يلق بعد بما يستحقه من دراسة تعليلية لكن نشير هنا إلى بعض معالم هذا الفن والمؤثرات التي أثرت فيه فقصور الأمراء والملوك التي أقيمت في غرب إفريقيا في ظل الإسلام وحضارته، تدل في هندستها ونقوشها، وشمسيات الزجاج وغير ذلك من معالمها على اثر الفن المغربي، كما أن المساجد بطريقة بنائها ونقوشها التي استخدم فيها الخط الكوفي، والخطوط الهندسية والآيات القرآنية بالخط الفاسي، تدل على التأثير المغربي الواضح، هذا وقد شاع في غرب إفريقيا بناء الأسوار حول المدن تشبها بما شاع في المغرب وهذا التشابه يعزى بمساهمة مهندسين مغاربة في بناء وتشييد هذه المساجد، فقد ساهم المهندس "إبراهيم الساحلي" في بناء مسجد (جانكوبر) في تومبكتو، ومسجد آخر في (غاو) ، كذلك ساهم في بناء مسجد في العاصمة (نيامي) ، وقصر به قاعة كبيرة لمجلس السلطان ،وقد وصف ابن بطوطة هذه القاعة عند زيارته للعاصمة "نيامي" عام 1353م أما مسجد (جنى) فهو من تصميم المهندس(إدريس المراكشي) ([2])، فدراسة الآثار العمرانية في مدينة جنى ومدينة تمبكتو تكشف لنا عن أسلوب البناء الذي ساد في هذه البلاد والذي يعود في أصله إلى الهندسة المعمارية في المغرب والتي حملها إلى هذه البلاد مهندسون مغاربة أو مهندسون أفارقة درسوا فن العمارة وتمرسوا عليه في فاس أو مراكش، وقد شاع في مدينة (كومبي صالح)،الحي المغربي بمنازله المغربية ونوافذه الزجاجية.

---

[1])- عبد الواحد اكمير : نفس المرجع السابق ص 139.

[2])- شوقي الجمل: مجلة المناهل العدد: السنة: ص ص 158، 159.

و قد ظل حكام هذه البلاد وشعوبها ينظرون لما يشيع في المغرب والبلاد العربية الأخرى التي اتصلوا بها من ألوان الحضارة على أنها مثل أعلى يحتذى بها([1]).

استنتاج:

بعد دراستنا لهذا الفصل نجد الإسلام ارتبط بالتعليم الديني و لهذا أصبح مؤثرا روحيا و أصبح قوة دفع قوت عزائم الإفريقيين لمقاومة الهجمة الاستعمارية الأوربية، التي اتخذت من نشر المسيحية ستارا لترسيخ دعائم الثورة الصناعية و القضاء على السلطة الإفريقية الحرة. و لقد اشرنا في أكثر من مكان إلى أن دول الإسلام غير الروح و الوجدان الإفريقي و حافظ في نفس الوقت على هيكل البناء الثقافي بهويته الإفريقية القاطعة، بمعنى أن النقلة الحضارية كانت بقدر التفاوت بين مدخلات الإسلام و الثقافة المحلية. و عرف الإفريقيون في الاقتصاد حق الفقير في مال الغني، و نظام بيت المال، و رد الأمانات إلى أهلها كما عرفوا في الآداب الدينية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و التزموا بترك المحرمات و أداء الصلاة، و عرفوا في الآداب الاجتماعية اللباس الفضفاض، و اهتموا بالنظافة اهتماما كبيرا، و التزموا بمراسم الوفاء، و علا شان المرأة، فمارست حقوقها بانطلاق و حرية و تغلغلت الشريعة الإسلامية شيئا فشيئا في المجتم ع القبلي بفضل الأحكام الشرعية التي كان يصدرها رجال القضاء الإسلامي في تلك البلاد، و كان كبار المشايخ و العلماء في منتهى الاستقامة و المعرفة بقواعد الإسلام، فكانوا لا يدّعون لأنفسهم كرامات أو خوارق. و كان العامة تنظر لهؤلاء العلماء نظرة تقديس، وهكذا حقق انتشار الإسلام نتائج ايجابية في حياة الأفارقة و هو ما يجعل المستقبل الحقيقي للإسلام في إفريقيا.

---

[1])- الأمين أبو منقة محمد: التراث الإسلامي في شرق إفريقيا و غربها دراسة مقارنة
http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=156
تم الاطلاع عليه في 13-8-2009.

خاتمة

بعد دراسة موضوع القوافل التجارية ودورها في ربط العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان الغربي جنوب الصحراء خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشرالميلاديين ، نلخص إلى النتائج الآتية:

أولا : إن التجارة جنوب الصحراء ظهرت قديما ، وتطورت بصورة واضحة في العصور الوسطى ، وكتب عنها المؤرخون العرب المسلمون أمثال ابن بطوطة ، والبكري وليو الإفريقي والسعدي ، وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشرالميلاديين ، ازدادت هذه التجارة تطورا ، كما اهتم الاوربيون والرحالة المحدثون منهم بدراسة ما كتبه الرحالة العرب القدامى عنها في دراساتهم الحديثة . أي أنهم اعتمدوا على ما كتبه العرب المسلمين من قبلهم .

ومن هنا نستطيع أن نستنتج ، أن منطقة غرب إفريقيا جنوب الصحراء ، قد ازدهرت ازدهارا واسعا منذ العصر الوسيط بفضل نشاط العرب والمسلمين التجاري ، وانعكس ذلك على المجتمع الذي ازداد تطورا بعد دخول الإسلام إلى المنطقة ، وتأثيره المباشر على مجتمع (غرب إفريقيا)

ثانيا: ظهور تنظيم اقتصادي مبني على الأسس الإسلامية، ومبادئ الدين الإسلامي السمحة، (الأمانة، الوفاء بالعهد، اجتناب الغش في المكاييل والموازين ، الكسب الحلال والابتعاد عن الربا).مما جعل الأفارقة ينبهرون لهذه المعاملة التجارية ، ويقلدون المسلمون في معاملاتهم وبذلك أدى إلى تطور الاقتصاد بالمنطقة ، وظهور ما يسمى ، بالاقتصاد الدولي ، في حين أن الغرب كان يعيش التخلف الاقتصادي .

ثالثا : التواصل الحضاري بين شمال القارة وجنوب الصحراء ، بفضل العلاقات التجارية والعلمية والاجتماعية فانتشرالإسلام والثقافة العربية ،ولم يكن الإسلام دينا فحسب ، وإنما كان دينا وثقافة متآلفين بعضهما البعض، وكان لهذا الارتباط اثرواضح في حياة الإفريقيين ، كما كان لانتشار الطرق الصوفية في تلك المناطق ، حيث وجدت الأرض الخصبة لنموها وانتشارها وظهور أتباعها إلى اليوم مثل (الطريقة القادرية ، الطريقة التيجانية وما تفرع عنها من طرق أخرى) .

رابعا : ظهور مجتمع جديد في غرب إفريقيا ، حمل لواء الحضارة العربية الإسلامية ، وتعلم اللغة العربية واكتسب ثقافتها ، ونبذ الوثنية ، وعمل على إصلاح مجتمعه ، وتزعم الإصلاح الاجتماعي ، وكافح وجاهد ضد الاستعمار الأروبي الحديث.

من هنا نستنتج أن مجتمع غرب إفريقيا كان قد تأقلم بسرعة، مع الإسلام ومبادئه، مما جعله مجتمعا إفريقيا إسلاميا، يحافظ على عاداته وتقاليده، متبعا المبادئ الإسلامية وهذه الميزة لا يجدها في ديانات أخرى.لأن الاسلام دين التسامح مصداقا لقوله تعالى في سورة الكافرون ((.... لكم دينكم ولي ديني)).

خامسا : نمو الوعي السياسي داخل المجتمع الإفريقي ، حيث ظهر نظام الدولة المركزية على غرار الدولة الإسلامية ، مبادئ الديمقراطية، والشورى في الإسلام ، فازدهرت الدولة ونما اقتصادها ، وظهور مؤسسات الدولة . وتأسست إمبراطوريات إسلامية قوية الجانب ، وكان للإسلام في تلك المنطقة من القارة الإفريقية الأثر الحضاري الواضح عليها ، فقد ساعد على تحول الحياة من القبلية الصرفة إلى نظام الدولة بمفهومه الحديث كأرض وشعب وحكومة ، وعملت الإمبراطوريات التي نشأت في هذه المناطق على توطيد أجزاء شاسعة وتجمع مجموعات بشرية عديدة في ظل النظم الإسلامية التي أخذت بها ، وطورت الحياة فيها إلى مستويات حضارية وثقافية عالية ، إذا قيست بمقياس عصرها وظروفها الجغرافية .

سادسا : إن تاريخ الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الغربي هو نفسه السجل الحضاري المتطور لهذه البلاد ،التى سارت في موكب الحضارة الإنسانية وارتبطت بالعالم الإسلامي من حولها بعد أن أخرجت إنسانها من الغابة ومؤانسة الوحوش إلى رحلة الحجيج ومراكز الثقافة والعلم ، التي يرى فيها النور والتقدم والازدهار الحضاري .

ومن هنا نستطيع القول أن الإسلام وما يحمله من تطور للإنسانية، وتقديسه للعلم، جعل من غرب إفريقيا أثناء تمسكها بمبادئه، من مصاف الدول المتطورة في جميع المجالات ، وهذا على مر مراحله التاريخية بعد وصوله اليها .

سابعا : ظهور الآثار الحضارية الإسلامية في غرب إفريقيا ، في العمران مثل (المساجد ، المدارس ، البنايات) لا تزال شاهدة لحد الآن على التأثير الحضاري العربي الإسلامي في غرب إفريقيا ، إلى جانب تعلم الأفارقة اللغة العربية ، وظهور علماء منهم حملوا رايةالإسلام الحضارية ، الباقية إلى يومنا هذا ، مساجد مدينة تنبكتو ، ومساجد مدينة جنى .وقد استنتجت أن الآثار وعلم الآثار، يلعب دورا كبيرا في التاريخ لغرب إفريقيا ، فهو شاهد على تاريخ تلك المنطقة ، دون تحيز لرأي ، أو فرقة معينة أو حزب معين .

ثامنا : غياب استقرار منطقة غرب إفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، بدخول الاستعمار إلى المنطقة ، بظهور الحركات الجهادية يتزعمها أفارقة أنفسهم ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة الدين الإسلامي في تأثيره الايجابي في المجتمعات المختلفة ، والصراع الحضاري بين الإسلام والمسيحية .

فالإسلام دخل المنطقة عن طريق التجارة ، وانتشر بالطرق السلمية ، بينما المسيحية جاءت مع الاستعمار فأصبح ينظر إليها نظرة تشاؤمية وانتقامية ، نظرة احتقار لما تحمله من معاملات عنصرية ، والتقليل من قيمة الإنسان الأسود ، وانتشرت حالة الرق بصورة عامة في غرب إفريقيا .

تاسعا : دفع الإنسان الإفريقي ثمنا باهضا خلال هذه الفترة الزمنية من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد .أثر تأثيرا سلبيا على النمو السكاني والحضاري لغرب إفريقيا إلى جانب هذه الثروة ، استنزف الاستعمار باقي خيرات غرب إفريقيا بعد أن تطورت وسائل المواصلات والتكنولوجية الحديثة

عاشرا: يمكننا القول أن الاستعمار الأوربي كان أحد الأسباب الرئيسة لتخلف غرب إفريقيا خاصة وإفريقيا عامة ، واستنزاف خيراتها ، رغم أنها كانت سباقة في التجارة الإقليمية والدولية ولكن التخلف العلمي والتكنولوجي ، جعلها فريسة الاستعمار والتخلف الحضاري .

احدى عشر: أما النتيجة الحادية عشر التي نستخلصها من هذا البحث فتتمثل في دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، والتمكين له ، خاصة الطريقة القادرية والطريقة التيجانية ، وظهور زعماء للطريقتين ، كل واحد منهما يريد السيطرة على الآخر كلما ظهرت الخلافات بينهما ، كانت ساعد ت على توغل الاستعمار الأوربي داخل المنطقة ولكن أن الطرق الصوفية ، رغم خلافاتها فإنها استطاعت أن تحمي الإسلام من الوثنية ومن الاستعمار والمسيحية ، كما كان للزوايا التابعة لها ، رفع لواء الجهاد ضد الاستعمار والحفاظ على اللغة العربية ، وتعاليم الدين الإسلامي ، لأن سكان غرب إفريقيا التفوا حول الطرق الصوفية ، وأيدوها ، ووقفوا إلى جانبها ، ومازالت هذه الطرق نشطة ومتحكمة في روابط المجتمع إلى يومنا هذا .

ملاحق

الملحق رقــم :

26 Août 1895 228

Monsieur L. Pillon
Saïda

Bien reçu reçu votre honorée lettre du 24 courant et je regrette vivement ne pouvoir faire affaire pour le moment.

J'ai encore presque tout le vin que j'ai acheté à Boudot. La vente est morte depuis 2 mois ou plus, car toutes les troupes sont dans l'extrême sud. De plus il vient des vignerons avec des vagons complets, qui filent directement sur Marseille, ce qui nous coupe.

Si, comme il faut l'espérer, les affaires changeaient de face d'un jour à l'autre, soyez certain que vous aurez la préférence.

Veuillez agréer Monsieur mes salutations empressées.

Jerez

الملحق رقـــم :

ترجمة الرسالة الأولى:

الرسالة مؤرخة في الخامس جويلية ألف وثمانمائة وخمسة وتسعون (5 جويلية 1895) والمسجلة تحت رقم:أربعمائة وواحد وستون .(461)

محتوى الرسالة :

إلى السيد مدير بنك السلف الليوني ،

وهران

ابعث لك في الدفع الأول المبلغ المقدر بـــ : ألف ومائتين وثمانون بيسيتاس ، هذه العملة التي رفض العرب التعامل بها .

وكنت قد راسلتك من قبل بان تبعث لي العملة الذهبية المعروفة : بالفونس الثاني عشر ، والفونس الثالث عشر ، فهي العملة الوحيدة التي يرغبون التعامل بها .

وكل العملات الأخرى فقدت قيمتها الاقتصادية .والباقي تم دفعه في ثمن النقل ذهابا وإيابا عن طريق السكك الحديدية .

أنا آسف لذلك مسبقا .

أرجو سيدي أن تتقبلوا مني تحية فائقة .

توقيع : بيراز

<u>ملاحظة:</u> تنشر هذه الرسالة لأول مرة

تحليل الرسالة :

من خلال ترجمتي لهاته الرسالة، فان فحواها يدل على: أن التجارة بمقاطعة العين الصفراء كانت متطورة ، ووصلت إلى التعامل بالعملة الذهبية التي كانت لها قيمة مالية آنذاك أواخر القرن التاسع عشر.

وا ن التاجر العربي كان مطلع ، وعلى معرفة ودراية بعالم العملات ، فلما أراد التاجر "بيراز " إدخال عملة جديدة ألا وهي عملة " البيستاس"، لم تلق استجابة من طرف التجار والمتعاملين الاقتصاديين .

وهذه الوثيقة التي تؤرخ للجانب التجاري لهذه المنطقة ، التي كانت همزة وصل بين التجار في المنطقة الشمالية وأوربا ، والمنطقة الجنوبية (السودان الغربي ، جنوب الصحراء)

الملحق رقــم :

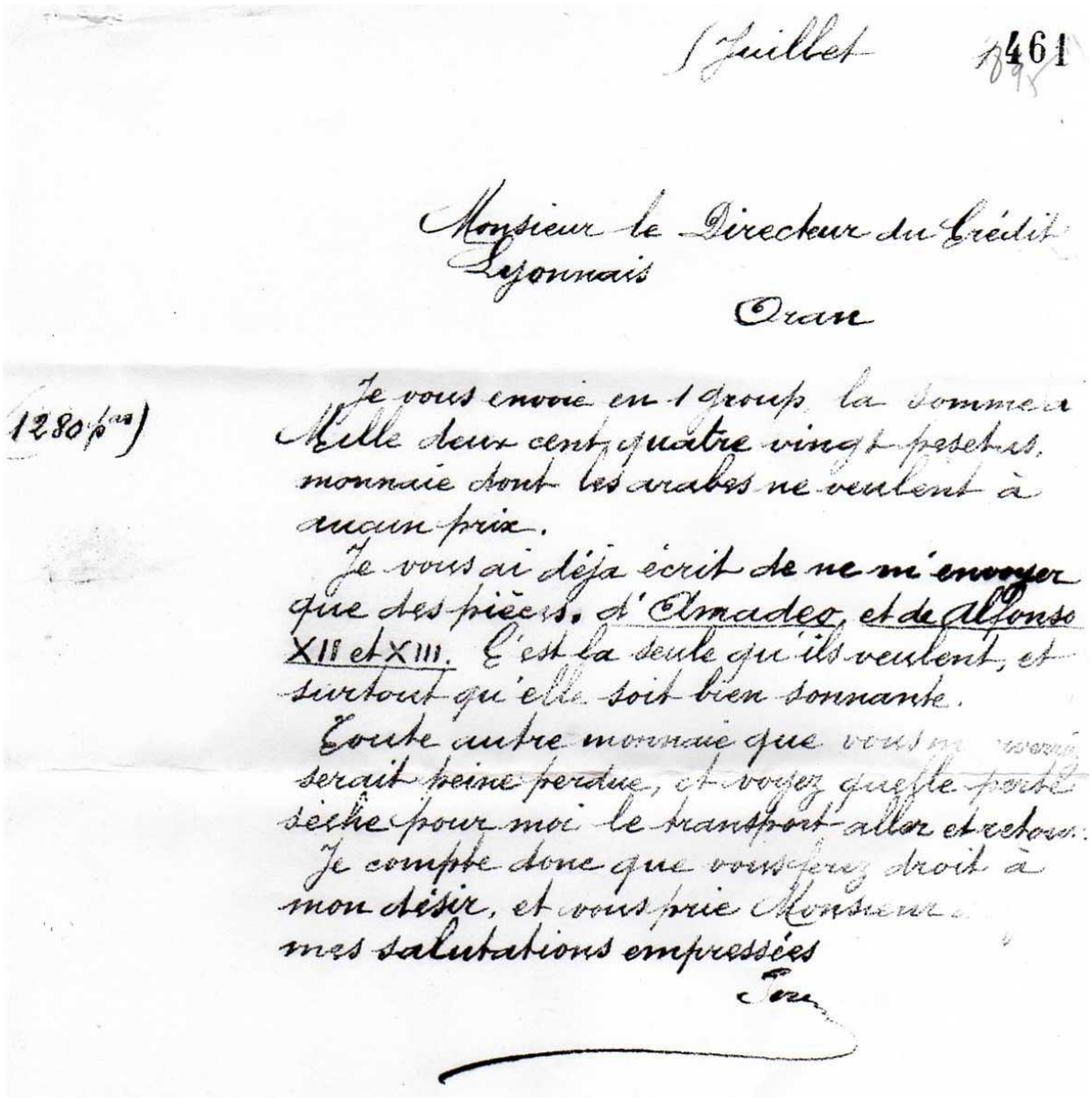

1 Juillet 1461

Monsieur le Directeur du Crédit Lyonnais

Oran

(1280 fcs)

Je vous envoie en 1 groupe la somme Mille deux cent quatre vingt pesetas. monnaie dont les arabes ne veulent à aucun prix.

Je vous ai déja écrit de ne m'envoyer que des pièces d'Amadeo et de Alfonso XII et XIII. C'est la seule qu'ils veulent, et surtout qu'elle soit bien sonnante.

Toute autre monnaie que vous m'enverriez serait peine perdue, et voyez quelle forte sèche pour moi le transport aller et retour.

Je compte donc que vous ferez droit à mon désir, et vous prie Monsieur mes salutations empressées

Leu

الملحق رقـــم :

ترجمة الرسالة الثانية

الرسالة مؤرخة في السادس والعشرون من شهر أوت من عام ألف وثمانمائة وخمسة وتسعون (26 اوت1895) ، والمسجلة تحت رقم:مائتان وثمانية وعشرون .(228)

محتوى الرسالة :

إلى السيد المتعامل التجاري

سعيدة

لقد تلقيت رسالتكم الموقرة المؤرخة في : الرابع والعشرون من شهر أوت من نفس السنة

إني اشعر بأسف شديد وعميق بعدم التمكن من القيام بأعمال تجارية الآن .

والسبب في ذلك يعود إلى كداس تجارة النبيذ ، الذي تم شراؤه من طرف السيد :" بودوت "، لم يبع منذ شهرين ، وهذا بسبب عدم وجود القوات العسكرية بهذه المنطقة ، بسبب ذهابها إلى أقصى الجنوب .

علاوة على ذلك ، فان هناك منافس آخر، تأتي حمولاته من مزارع الكروم، مع حمولات السيارات والتي تأتي مباشرة من منطقة "دوفريي"، التي كنا قد قاطعناها .

وليس على النحو المعمول به سابقا ، فالأعمال التجارية قد تغيرت بين ليلة وضحاها .

ورغم ذلك فعليك أن تكون متأكدا، من أن تكون لديك الأفضلية.

أرجو سيدي أن تتقبلوا مني تحية تواقة.

إمضاء بيريز

<u>ملاحظة:</u> تنشر هذه الرسالة لأول مرة

تحليل الرسالة :

من خلال ترجمتي لهاته الرسالة فان فحواها يدل على ازدهار التجارة بالمنطقة ، وان الأوربيون هم الذين يسيطرون عليها ، وظهور المنافسة التجارية بين التجار ، وان تجارة النبيذ هي نوع من التجارة التي يريد الاستعمار رواجها وأصبح تجار أوربيون يسيطرون وهم بارونات التجارة ، وكانوا همزة وصل بين التجارة الصحراوية والمناطق الشمالية وأوربا .

كما أن المعاملات التجارية قد تغبرت ، أما من الناحية السياسية : فتدل على ان الجيش الفرنسي بدا اكتشاف المناطق الجنوبية واستعمارها ومراقبة التجار العرب الذين يتاجرون مع السودان الغربي ، وجنوب الصحراء .

الملحق رقــم :

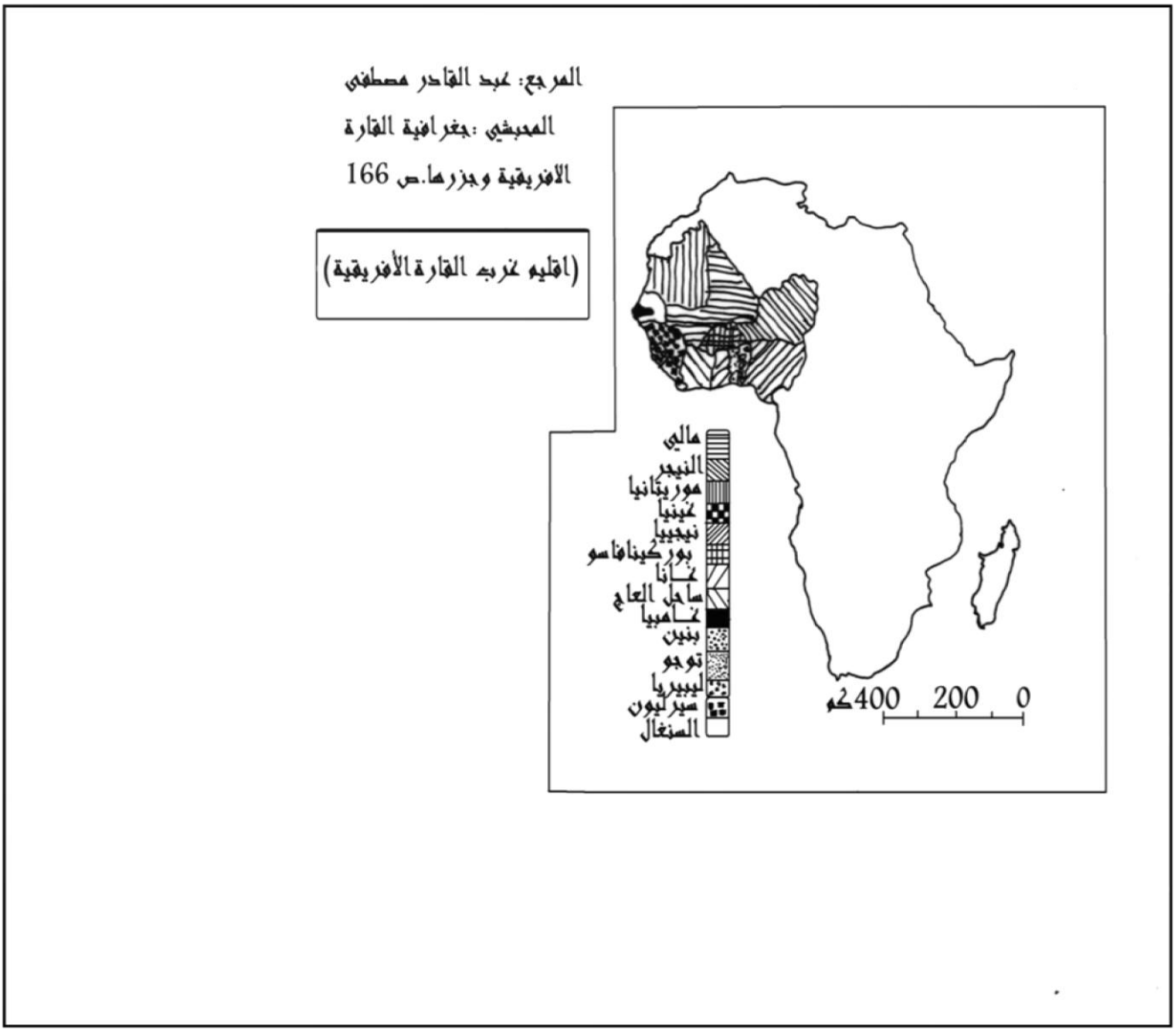

الملحق رقـــم :

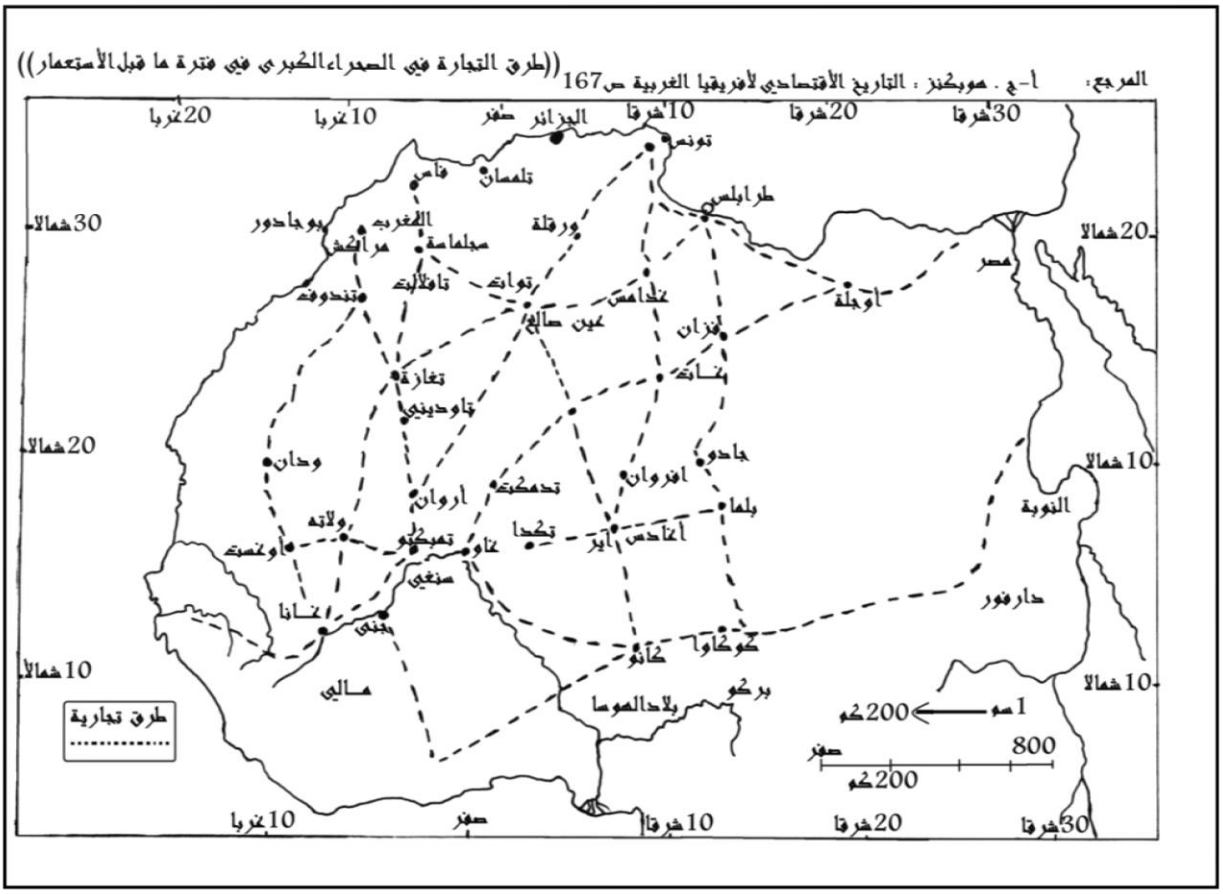

الملحق رقـــم :

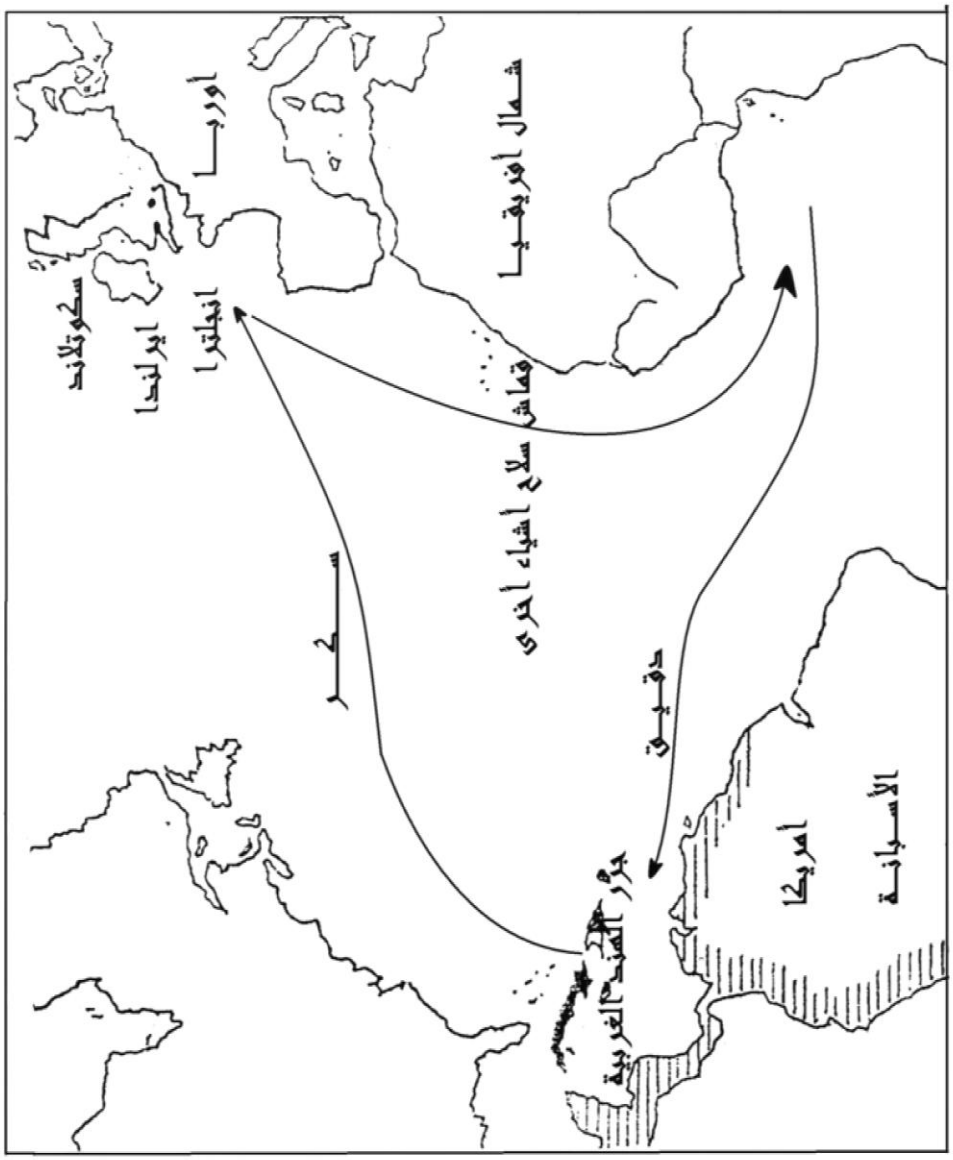

تجارة الأطلنطي المثلثة في القرن الثامن عشر

المرجع :
فيصل محمد موسي موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ص85

الملحق رقـــم :

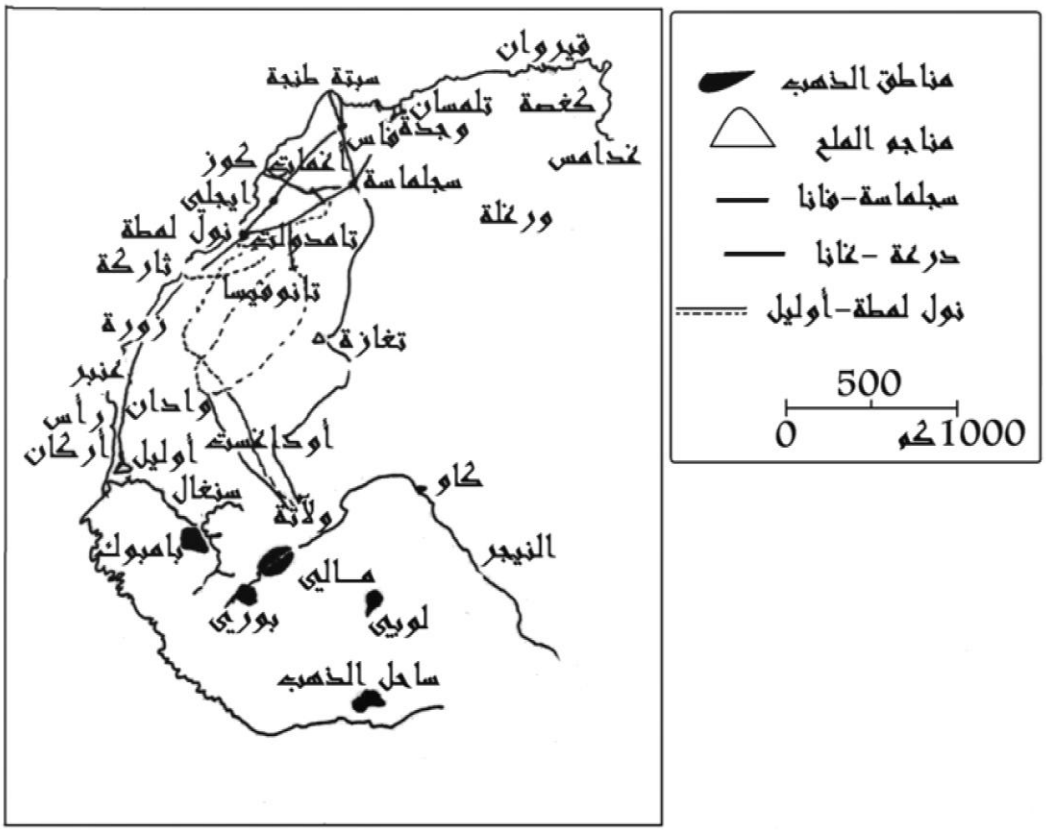

((المدن المغربية الجنوبية كمحطات طرقية باتجاه افريقيا جنوب الصحراء))

المرجع : سعيد حراش: مجلة المناهل.ص171

الملحق رقـــم :

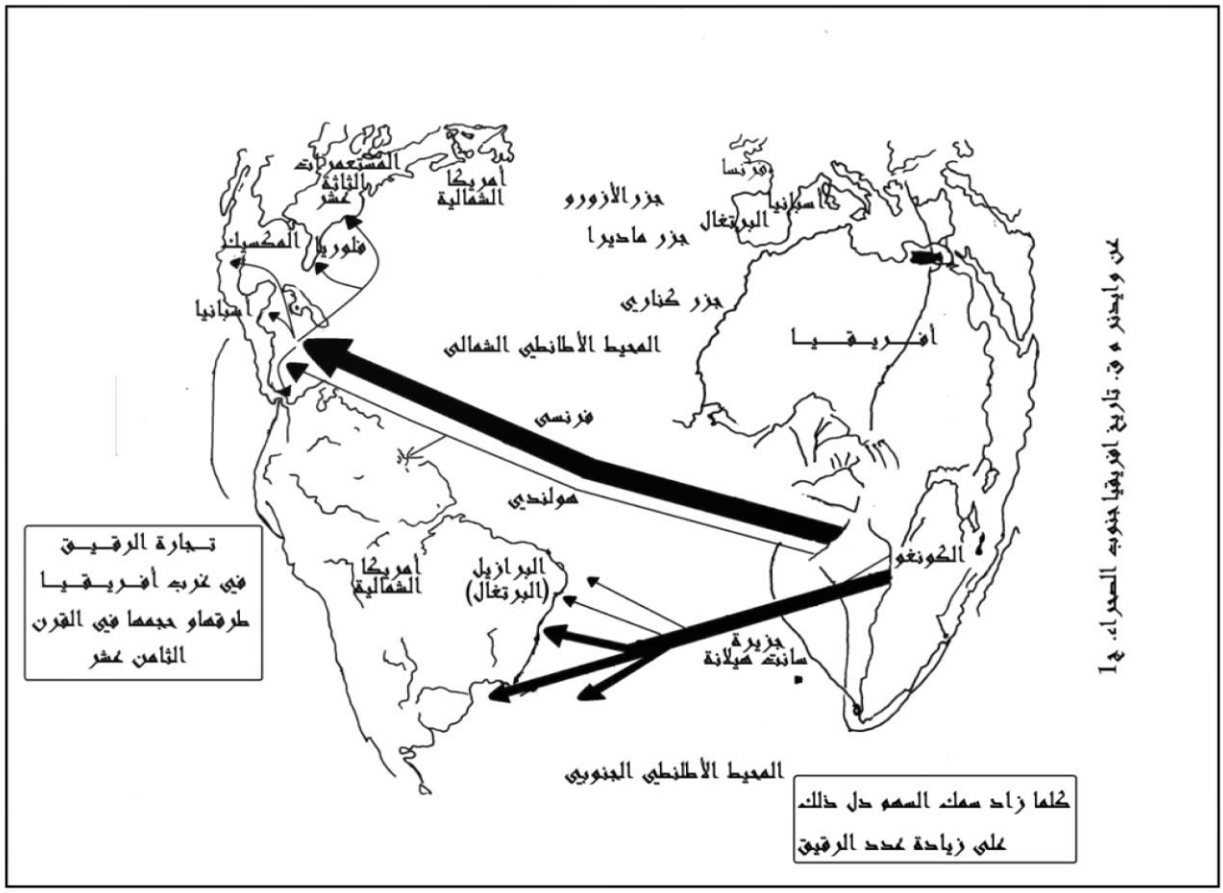

الملحق رقـــم :

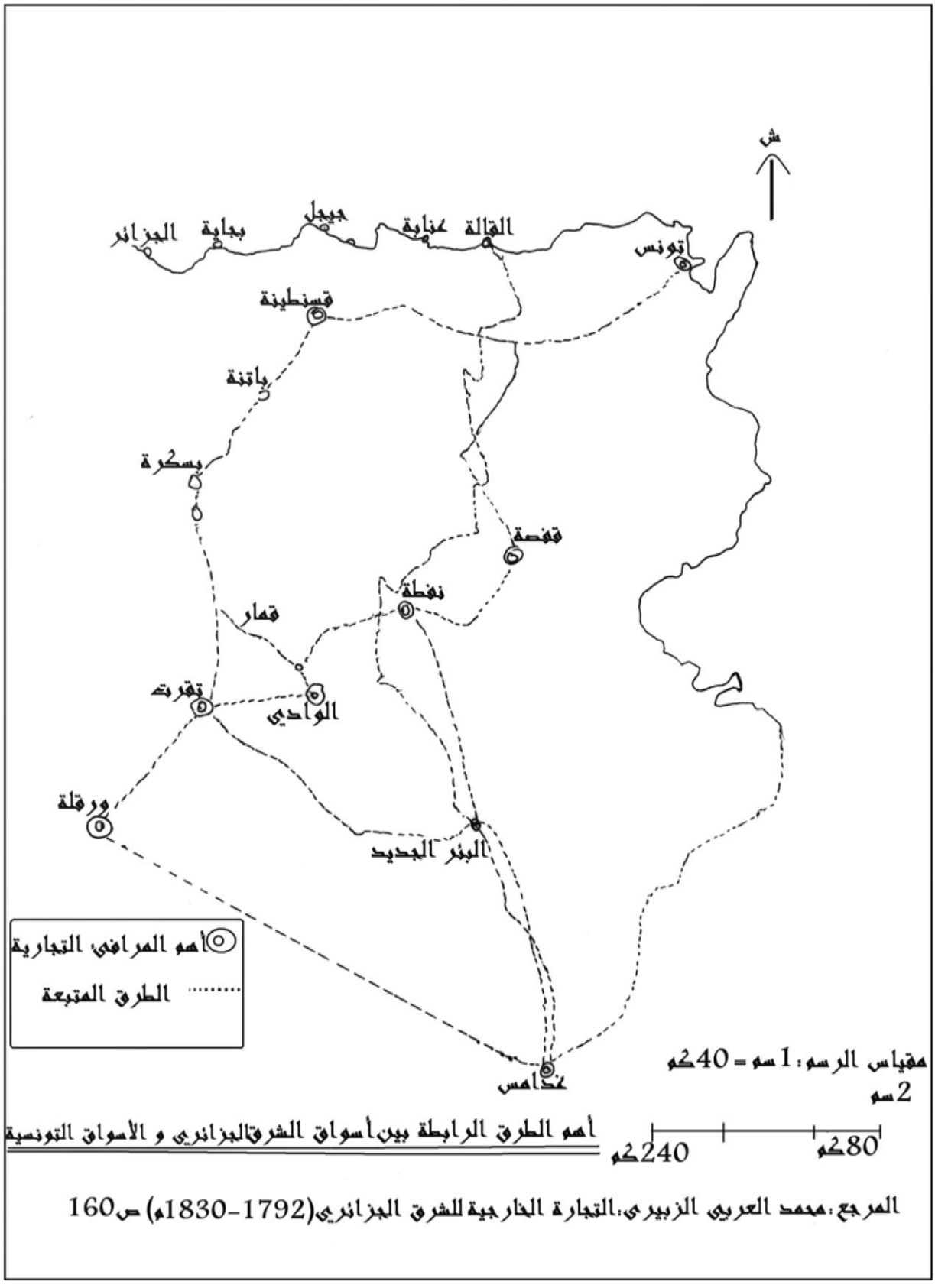

المرجع: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792-1830م) ص160

الملحق رقــم :

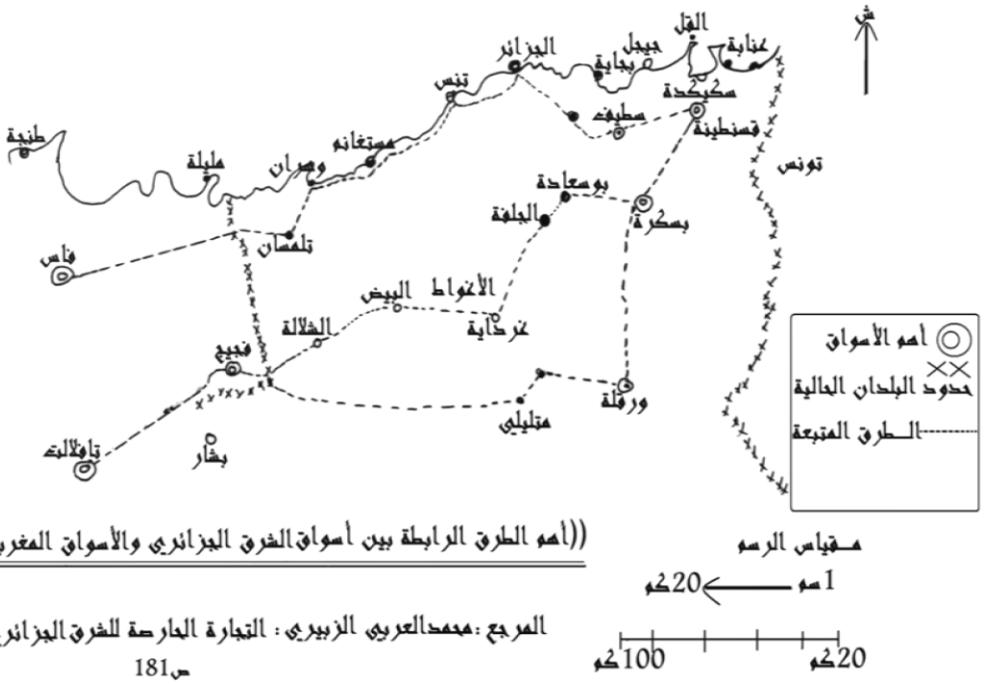

((أهم الطرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والأسواق المغربية))

المرجع : محمد العربي الزبيري : التجارة الحارسة للشرق الجزائري (1792-1830)
ص181

الملحق رقـــم :

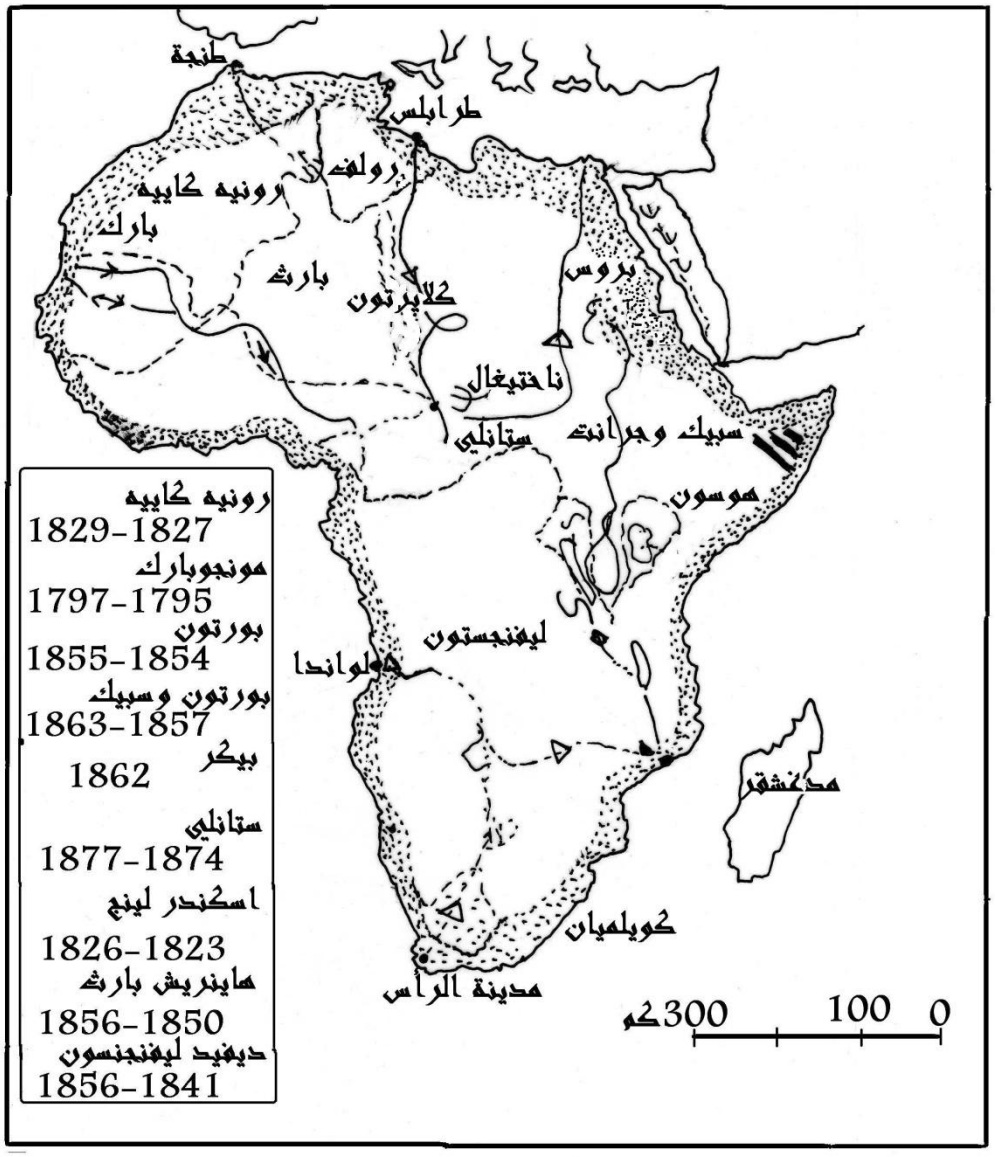

((أهم المكتشفون الأروبيون لأفريقيا))

المرجع :

جودة حسنين جودة : جغرافية افريقية الأقليمية . ص27

الملحق رقــم :

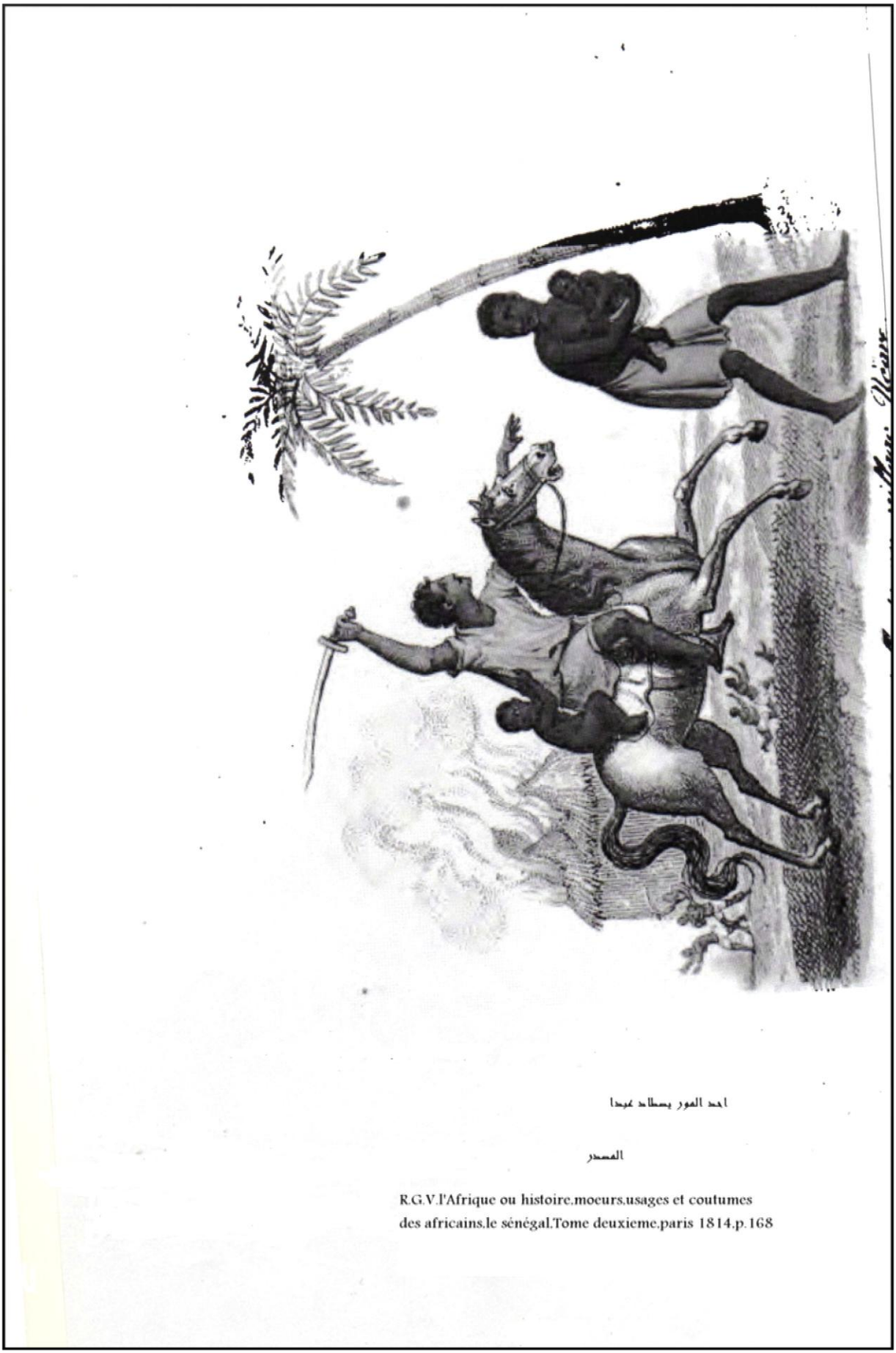

احد العور يصطاد عبدا

المصدر

R.G.V.l'Afrique ou histoire.moeurs.usages et coutumes des africains.le sénégal.Tome deuxieme.paris 1814.p.168

الملحق رقــم :

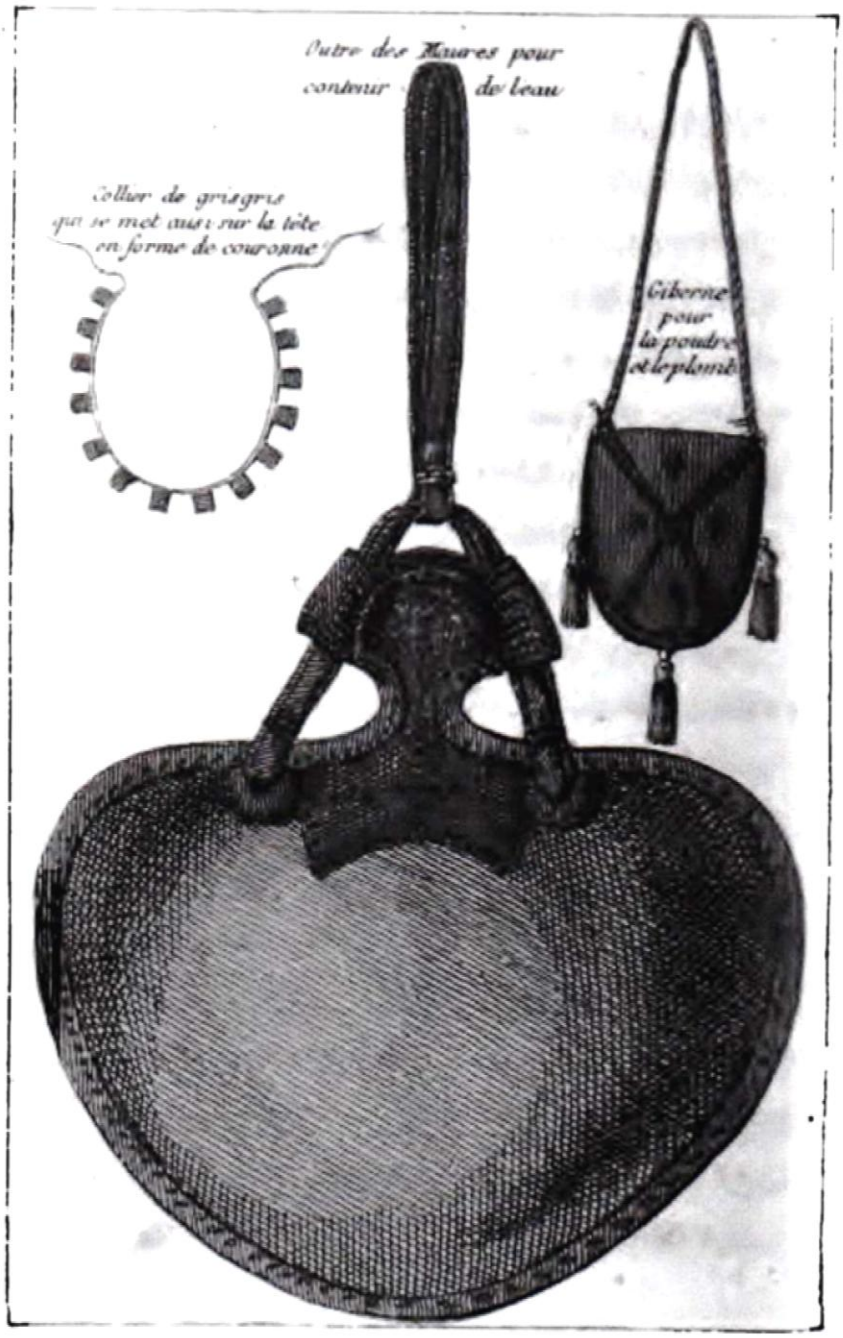

مجوهرات وأواني افريقية

المصدر:

R.G.V.l'Afrique ou histoire moeurs usages et coutumes des africains,le sénégal, Tome deuxieme · paris,1814,p.194

الملحق رقــم :

المصدر

زي المراة السينغالية

R.G.V.l'Afrique ou histoire.moeurs.usages et coutumes des africains.le sénégal.Tome premiere.paris 1814.p.100

الملحق رقــم :

صورة تعكس المجتمع الموري .بالسنغال خلال القرن الثامن عشر الميلادي

المصدر

R.G.V.l'afrique ou histoire,moeurs,usages,et coutumes des africains,le sénégal,tome deuxieme,paris 1814,p.82

الملحق رقـــم :

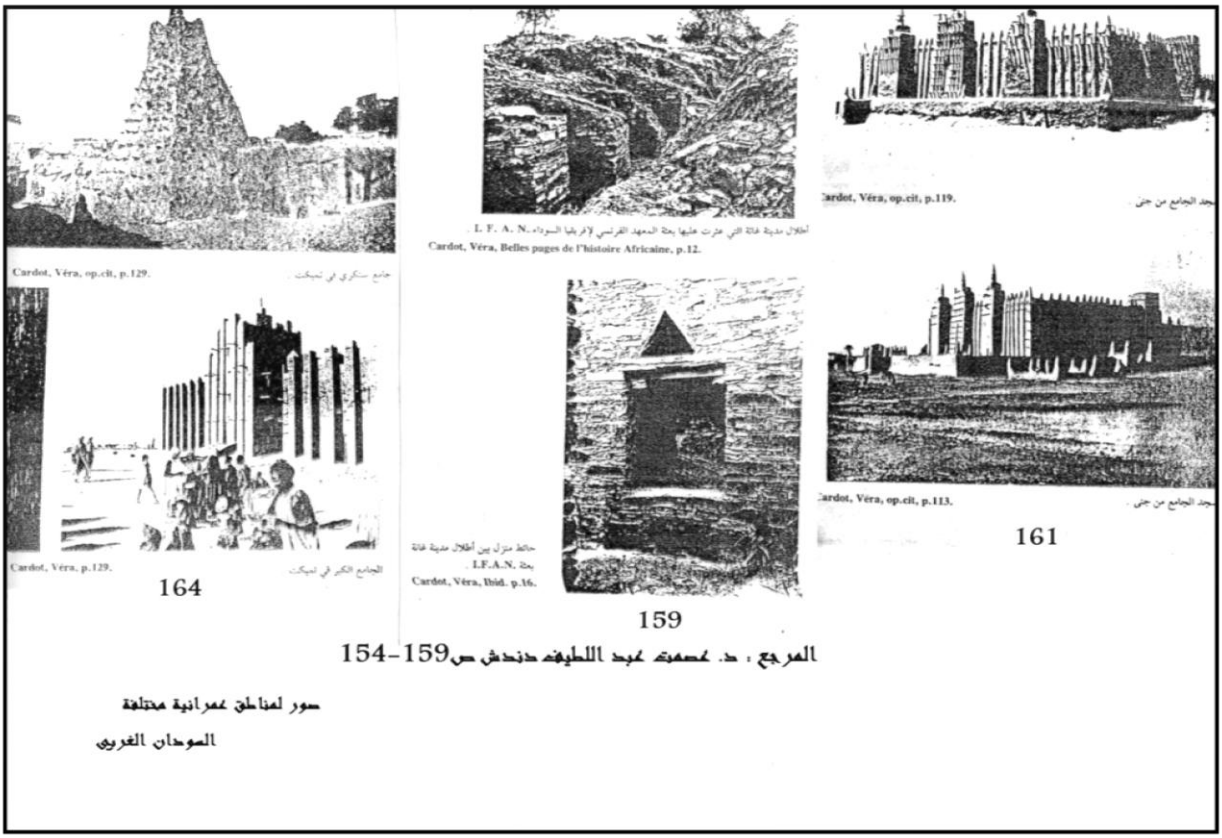

Cardot, Véra, op.cit, p.129. جامع سنكري في تمبكت

Cardot, Véra, Belles pages de l'histoire Africaine, p.12. أطلال مدينة غانة التي عثرت عليها بعثة المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء I. F. A. N.

Cardot, Véra, op.cit, p.119. مسجد الجامع من جني

Cardot, Véra, op.cit, p.129. الجامع الكبير في تمبكت

164

حائط منزل بين أطلال مدينة غانة
بعثة I.F.A.N.
Cardot, Véra, Ibid. p.16.

159

Cardot, Véra, op.cit, p.113. مسجد الجامع من جني

161

المرجع : د. عصمت عبد اللطيف دندش ص159-154

صور لمناطق عمرانية مختلفة

السودان الغربي

بيبليوغرافية البحث

بيبليوغرافيا البحث .....

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. أبن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت. مؤسسة جمال للطباعة والنشر 1979م،ج5.
2. ابن عبد الحكم ، فتوح البلدان والأندلس : **نشر النص العربي والترجمة الفرنسية ، ألبرت جامو 1948.**
3. الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الرابع .
4. أرنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن،القاهرة 1970م.
5. البكري أبو عبيد ، كتاب المسالك والممالك حققه وقدم له أدريان فان واندريه فيري ، تونس الدار العربية للكتاب 1992م ، ج2.
6. البكري أبو عبيد الله : المغرب في ذكر افريقية والمغرب ،باريس ، 1956 م.
7. بوفيل أي : الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ترجمة زاهر رياض ،القاهرة 1967 .
8. بوفيل أي : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة الهادي أبو لقمة ، محمد عزيز بنغازي جامعة قاريونس ،ليبيا ،1988م.
9. التازي محمد الهادي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، المجلد 1،2،3،4،5،6،7 ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ، 1408 هـ / 1988 م .
10. حيدة بن بابا : محمد الطيب ابن الحاج عبد الرحيم : (القول البسيط في أخبار تمنطيط) مخطوط محفوظ مكتبة باريس ، رقم 6399 .
11. دولفوس موريس : في دائرة المعارف الإسلامية ، ج5، (س.ر) ، ليد ، 1984.
12. السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر : تاريخ السودان ، هوداس، باريس، فرنسا، 1964،
13. الطنجي ابن بطوطة : (رحلة ابن بطوطة) المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، ج2، ط1، المطبعة الخيرية ، مصر، 1346هـ/1928م.
14. الطنجي ابن بطوطة: (رحلة ابن بطوطة) المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، ج1، ط1، المطبعة الخيرية ، مصر، 1322هـ/1904م.

بيبليوغرافيا البحث .....

15. الفاسي الحسن بن محمد الوزان ، المعروف بليون الإفريقي : وصف إفريقيا ، الجزء الأول ،ترجمة .مجمد حجي ،محمد الأخضر،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ، المغرب ،1403 هـ/ 1983م

16. فيج.جي.دي.: تاريخ غرب إفريقيا ، **ترجمة السيد يونس نصر ،ط 1 ، دار المعارف القاهرة مصر** 1982م.

17. القلقشندى أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القاهرة ، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر 1963م، ج5 .

18. كرفجال مارمول : إفريقيا الجزء الأول ، ترجمة : محمد حجي ، وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع 1404هـ، 1984م.

19. كروزيه موريس وآخرون : تاريخ الحضارات العام ، ج 1، ترجمة فريد، داغو وفؤاد ج، أبوريحان ، بيروت ، عويدات للنشر والطباعة ، 2003 .

20. ل .دونالد.وايدنر : تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، الجزء الثاني ، ترجمة ،شوقي عطا الله الجمل مؤسسة سجل العرب ، القاهرة مصر ،ديسمبر 1976 م

21. المغني محمد محمد : فتح الحنان المنان بجمع تاريخ السودان ، مخطوط مكتية الباحث دون تصنيف ورقة 20.

22. المقدسي شمس الدين أبي عبد الله احمد بن أبي بكر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، لندن 1906 م.

23. منظمة اليونسكو ، جون أفريك : تاريخ إفريقيا .ج1،ج2، ج3 ،ج4 ،ج5 ،ج7، 1984م،.

24. النصيبي أبو القاسم بن حوقل: كتاب صورة الأرض بيروت: دار مكتبة الحياة 1979.

25. هوارد .س. : أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996 م .

26. هوبكنز .أ.ج : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، تقديم ، محمد عبد الغني سعودي ترجمة احمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، 1998م .

ثانيا المراجع:

1. (دوفيك) مارسيل: بلاد الزنج ، باريس ، هاشيت ، 1983م .
2. (يسرى)الجوهري: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، مصر: الدار القومية للكتاب، 1969م.
3. إبراهيم عبد الله عبد الرازق وآخرون : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مصر ،2001م .
4. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل: تقويم البلدان ، تحقيق راينولد والبارون ماك كوكين ديسلان (باريس الطباعة السلطانية 1840 م) .
5. إسماعيل حلمي محروس: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ج1، مصر: مؤسسة شباب الجامعة 204م ، دار الكتب العلمية ، 2007 ،ط1، بيروت .
6. إسماعيل عبد الفتاح: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، 1985 م .
7. أفا عمر: التجارة المغربية في القرن التاسع عشر ، البنيات والتحولات 1830 ــ 1912 م ، مكتبة دار الامان ، الرباط المغرب ،ط1 ،1427 هـــ /2006 م .
8. أوليفر رولاند –جون فيج : موجز تاريخ إفريقيا ، مصر : الدار المصرية للتأليف.
9. بوعزيز يحيى: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين ، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع الجزائر 2001 م .
10. جاسم محمد ظاهر : إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال دراسة تاريخية المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة .مصر2003 م.
11. الجمل شوقي : تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ، القاهرة ، الانجلو مصرية 1980م.
12. الجمل شوقي وآخرون : تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم ،دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ، مصر ، 1996م
13. جودت جودة حسنين: جغرافية إفريقيا الإقليمية، **الطبعة التاسعة، منشاة المعارف بالإسكندرية 1996م.**
14. حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الرباط منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1977 م.
15. حسن يوسف فضل : دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب ، الجزء الثاني ،دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط1 ، السودان ، 1989 م

16. حمودة إصلاح محمد البخاري : انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء تنبكت – غدامس نموذجا (7– 11 هـ / 13 – 17 م) ، دار الكتب الوطنية ط1 ، ليبيا، 1372 هـ / 2004 م

17. الدالي الهادي المبروك : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، إلى بداية القرن الثامن عشر الميلادي ، الدار المصرية اللبنانية ط1 ، ربيع الثاني 1420 هـ /أوت 1999م.

18. الديناصوري جمال الدين :جغرافية العالم دراسة إقليمية **(إفريقيا ،استراليا)،طبعة القاهرة 1971،ج2.**

19. ذهني الهام محمد علي: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850م–1914م)، دار المريخ للنشر، مصر ، 1988م.

20. روكز (يوسف) : إفريقيا السوداء سياسة وحضارة ، **بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات ، 1986.**

21. زبادية (عبد القادر) : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، الجزائر : م.و.ك. ب.ت

22. زبادية عبد القادر : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989م .

23. زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الاسقيين ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

24. الزبيري محمد العربي : التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 م – 1830م ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984 م .

25. زيادة نقولا : إفريقيات ،دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي ،رياض الريس للكتب والنشر ،ط1 ،كانون الثاني /يناير 1991 م .

26. سون دافيد ، إفريقيا تحت أضواء جديدة ،ترجمة ،م . أحمد، بيروت: 1963م.

27. شلبي أحمد : التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، ج2 ، القاهرة : الانجلو مصرية .

28. الصقار فؤاد محمد: دراسات في الجغرافيا البشرية ، وكالة المطبوعات ، ط 2 ،الكويت 1975م.

29. ضياف نجمي رجب : مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي ط1 ،ليبيا ، 1429هـ / 1999 م .

30. طرخان إبراهيم : إمبراطورية غانا الإسلامية ، القاهرة 1970م.

31. عبد الله الشيخ عبد الرحمن: التطورات التعليمية والثقافية في إفريقيا (نموذج غانا)، الرياض، عالم الكتب 1984 م.

32. عطا الله الجمل شوقي و إبراهيم عبد الله عبد الرازق : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،دار الزهراء للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية ، ط 2 1422 هـ / 2002م

33. علي باري محمد فاضل وآخرون : المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ، دار الكتب العلمية ط1، 2007 .

34. الفاروقي إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء : أطلس الحضارة الإسلامية ،ترجمة .عبد الواحد لؤلؤة .مراجعة .رياض نور الله ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،مكتبة العبيكان المملكة العربية السعودية ،ط1 ،1419 هـ / 1998م.

35. فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1977م.

36. قاسم جمال زكريا: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر، 1975م.

37. قداح نعيم : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1977 م .

38. مجاهد حورية توفيق : الإسلام في إفريقيا روائع المسيحية والديانة التقليدية ، مكتبة الانجلو مصرية مصر ، 2002 م .

39. محمد إبراهيم عبد المجيد: دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 2005 م.

40. محمد سالم العياشي: رحلة العياشي ،ج1 ، طبعة فاس ،المغرب .

41. محمد مسعود جمال عبد الهادي ، وعلي لبن : المجتمع الإسلامي المعاصر ،(ب) إفريقيا ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ، مصر ، 1415 هـ / 1995 م .

42. المزروعي آمال حمزة : النظرية التربوية الإسلامية ، **جدة المملكة العربية السعودية 1402هـ /1982 م**

43. مصطفى المحشبي عبد القادر وآخرون : جغرافية القارة الإفريقية وجزرها ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،ط 1 : 1430هـ / 2000م.

44. النبراوي خديجة : تاريخ المسلمين ومشكلاتهم ، **النهار للطبع والنشر والتوزيع ، مصر 1418هـ** /1998.

45. النحوي الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط ، تونس 1907 م .

46. الهاشمي رضا جواد: تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد: 1404 هـ / 1984م.

47. يحي جلال: تاريخ افريقية الحديث والمعاصر،المكتب الجامعي الحديث مصر،1984م.

المجلات والدوريات:

1. ـ أغفيف محمد : المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية (العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية) ، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، منشورات عكاظ.

2. – الطيبي أمين : التجارة وطرق القوافل عبر الصحراء في العصر الوسيط ، مجلة الثقافة العربية العدد : الرابع ، السنة : التاسعة جمادى الثانية رجب 1391 هـ الموافق ابريل ماي 1982 م .

3. ـ جبران محمد مسعود : العلاقات الليبية مع إفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر كما يجسدها دور داعية مسلم ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس – الجماهيرية ،أيام 15–17 محرم 1428 هـ / 12–14 ماي 1998 م ، مراجعة وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية العظمى –طرابلس،ط1، 1429 هـ / 1999 م.

4. ـ حسن إبراهيم حسن : مسالك الإسلام إلى القارة الإفريقية ، مجلة البينة ،العدد الأول ، السنة الأولى ، ماي 1963 ، المغرب .

5. أبو القاسم ابراهيم: التجارة بين غدامس وتونس في القرن التاسع عشر من خلال مراسلات محمد عبد الحميد الغدامسي ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد الحادي والعشرون ، سبتمبر 2000 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان ، جامعة تونس الاولى.

6. أحمد محمد الملقب شفيع: التواصل الحضاري العريق بين المناطق الإفريقية الواقعة شمال الصحراء الكبرى وجنوبها ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الجماهيرية ، أيام . 15ــ 17 محرم 1428 هــ الموافق 12- 14 ماي 1998م، مراجعة د.عبد الحميد عبد الله الهرّامة ،طلية الدعوة الإسلامية ،ط1 الجماهيريّ العظمى،1429هــ/1999م.

7. أحمدون عبد الخالق : التواصل الحضاري بين المغرب والبلدان الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى من جلال وثيقة فقهية أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الجماهيرية ، ايام . 15ــ 17 محرم 1428 هــ الموافق 12ــ 14 ماي 1998 م ، مراجعة د.عبد الحميد عبد الله الهرّامة طلية الدعوة الإسلامية ،ط1 الجماهرية العظمى ،1429هــ/1999 م

الآداب تطوان المغرب ، وكلية الدعوة الإسلامية طرابلس ،الجماهيرية الليبية ، أيام . 15ــ 17 محرم 1428 هــ الموافق 12ــ 14 ماي 1998 م ، مراجعة د.عبد الحميد عبد الله الهرّامة ،كلية الدعوة الإسلامية ،ط1 الجماهيريّ العظمى ،1429هــ/1999 م.

8. ادريس الرشيد : علاقات المغرب العربي بإفريقيا ، مجلة دراسات دولية ، العدد. 73 ، تونس، ابريل 1999 م .

9. أكمير عبد الرحمن : الحضور المغاربي –الأوربي في إفريقيا الغربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 281 ،جويلية 2002 م /1424هــ.

10. بوعزيز يحيى : طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر الميلادي (البضائع –الغلات–الأسعار–الأساليب–التجار –المنطقة)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ،بغداد 1404هــ/1984م.

11. الترمانيني عبد السلام : الرق ماضيه وحاضره ،ط 2 ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،رجب 1405 هــ /أبريل 1985 م .

12. التميمي عبد الجليل : الأبعاد الحضارية للصلات المغربية الإفريقية حلال العصر الحديث (إفريقيا والثقافة العربية الإسلامية) منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ' الايسيسكو' الرباط ،1408 هـ ـ 1987 م.

13. التميمي عبد الجليل: الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة الثامنة ،العدد 21 و22 ، تونس أبريل 1981 م.

14. الجمل شوقي عطاء الله :الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا ،سماتها ودور المغرب فيها مجلة المناهل ، العدد السابع ، السنة الثالثة ،تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،الرباط المغرب ،ذو القعدة 1396 هـ/ نوفمبر 1976 م.

15. حراش سعيد : دور المدن الجنوبية في الربط الطرقي بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء كرونولوجيا ، مجلة المناهل ، العدد 58 ،السنة الثالثة والعشرون ، المغرب ، ذو القعدة 1418 هـ / مارس 1998 م.

16. حسن يوسف فضل: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، العرب وإفريقيا بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، ط1 ، العراق يناير 1984 م .

17. حمودي هادي حسن : الإسلام في غرب إفريقيا من النفوذ إلى الانتشار (أحمد بابا التنبكتي ، بحوث الندوة التي عقدتها – ايسيسكو–بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولاد ت ه) مراكش 22–25 صفر 1412 هـ / 2–5 سبتمبر1991م،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1414 هـ / 1993 م.

18. الحناشي بلقاسم : من إشكاليات تاريخية إفريقيا (نموذج جنوب غرب الصحراء) المجلة التاريخية المغاربية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات – زغوان ، العدد 116 السنة الحادية والثلاثون ، ماي 2004م.

19. دياب أحمد ابراهيم : طريق درب الأربعين بين سلطنة دارفور الإسلامية ومصر العثمانية ودوره الحضاري ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1404هـ /1984م.

20. ذهني الهام محمد علي : جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 – 1914م) ، دار المريخ للنشر ،الرياض المملكة العربية السعودية،1408 هـ / 1988 م.

21. زبادية عبد القادر : محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مجلة الأصالة ،السنة :الرابعة ، العدد: السادس والعشرون ، الجزائر 1975 م .

22. زنيبر محمد : تجارة القوافل في المغرب ، مجلة المناهل ، العدد 38، السنة 15 جمادى الأولى 1410 هـ ، الموافق لـ يناير 1989 م.

23. زيتون محمد محمد: العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد مسعود الإسلامية بالرياض، العدد 3، ص. (1399 هـ/1979 م).

24. سعيد عمر أحمد : نظرات حول اثر الإسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو ،مجلة دراسات افريقية ، العدد الخامس والعشرون ، السنة الثامنة عشر ، شوال 1423/ ديسمبر 2002 م.

25. سيد أحمد عثمان: الأصول التاريخية للعلاقا ت العربية الإفريقية بغرب إفريقيا ،، مجلة دراسات افريقية ، العدد الأول ، رجب 1405هـ/أبريل 1985 م.

26. الشيخلي صباح إبراهيم : النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، (ندوة .تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية) ،بغداد العراق،1404 هـ / 1984 م

27. صالح محمد عثمان : الصوفية دورها في نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، مجلة التصوف الإسلامي ،العدد الثالث،شعبان 1399 هـ / جوان 1979 م.

28. صالح مهدي ساتي : المكونات والأسس التربوية لبعض حركة التصحيح الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء ، مجلة دراسات افريقية ، العدد 34 ،السنة 21 ديسمبر 2005 م ، ذو القعدة 1426هـ.

29. طرخان إبراهيم علي : "الإسلام واللغة العربية في غرب إفريقيا "، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، مج 27، القاهرة : 1969م.

30. عبد الرحيم مدثر: الإسلام والتجانس الاجتماعي في إفريقيا، مجلة دراسات افريقية ، العدد الأول ، رجب 1405هـ/أبريل 1985 م.

31. العراقي السر سيد أحمد : تجارة القوافل بين الشمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ،بغداد 1404هـ/1984م.

32. علوي حسن حافظي : تجارة الملح من خلال نوازل محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنكيطي ، مجلة المناهل ، العدد 58 ،السنة الثالثة والعشرون ،تصدرها كتابة الدولة المكلفة بالثقافة، المغرب ، ذو القعدة 1418 هـ / مارس 1998 م.

33. عوض الله الشيخ الامين: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي ، ندوة حول (تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد 1404 هـ / 1984 م.

34. فخار إبراهيم : تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ،بغداد 1404هـ/1984م.

35. كاني أحمد محمد : الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد الهوسا قبيل الجهاد ،ورقة ثقافية 7(الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا)، الزهراء للإعلام العربي ،ط 1 ،1407 هـ /1987 م.

36. محمود حسن أحمد :"دور العرب في نشر الحضارة في غرب إفريقيا "، المجلة التاريخية المصرية، مج 14، مصر: جامعة عين شمس، 1968.

37. محمود محمد : العلاقة الثقافية بين السكان في شمال وجنوب الصحراء الكبرى ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ،الجماهيرية ، أيام 15ـ17 محرم 1428 هـ الموافق 12ـ 14 ماي 1998 م ، مراجعة د.عبد الحميد عبد الله الهرّامة ،طلية الدعوة الإسلامية ،ط1 الجماهيريّ العظمى ،1429هـ/1999 م.

38. محمود محمد : العلاقة الثقافية بين السكان في شمال وجنوب الصحراء الكبرى ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، تنظيم كلية

39. الناصري سيد أحمد علي : الجهاد الإسلامي والحروب الصليبية في غرب إفريقيا مجلة الدارة ، العدد 2 ، السنة الثالثة عشرة ، محرم 1408 هـ /أوت 1987 م.

40. ولد سالم حماه الله: قوافل الحجاج ومسالكها بين غرب الصحراء والسودان مع المغرب والمشرق خلال العهد العثماني المجلة التاريخية المغاربية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات – زغوان ، العدد 116 ، السنة الحادية والثلاثون ، ماي 2004م

الموسوعات:

1. أبو خليل شوقي: اطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، دمشق، ط 12، 1425هـ/2005م.
2. الخوند مسعود: الموسوعة التاريخية الجعرافية، ج1، دار رواد النهضة، لبنان، ب.ت
3. عتريس محمد: معجم بلدان العالم، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1422هـ/2002م.
4. ماكيفيدي كولن : أطلس التاريخ الإفريقي ،ترجمة مختار السويفي ، مراجعة محمد الغرب موسى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987 م .
5. وجدي محمود فريد: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد 1،2،3،4،5، ط3، دار المعرفة، لبنان، 1971م.

المراجع الأجنبية:

1. Ajavi & lan espie : athowssend years of west africain history (west African trude - a.D.1000.1800by Christopher fife .pp.239-241.

1. Barth ,H:Travels &Discoveries in north &central Africa (London)1858 .vol. IV.
2. Bovil .E.W.The Golden Trade of the Moors .London 1958.-
3. C.A .walckenear ,Histoire générale des voyages ou nouvelle collection des relations de voyage par mer et terre , tome v , A paris , chez lefevre ,librarie , MDCCCXXVI.
4. Cornevin r. "Fulani", encyclopedia of Islam.- .
5. Delanoye,F:le Niger et les explorations de l'Afrique centrale depuis Mungo Park.- j'usqu'a docteur Barth (Paris 1860).

6. Des Champ ;H: Les religions de l'Afrique noir .paris 1945.
7. Des champ, Hubert: PEUPLES ET NATION D'OUTRE –MER (AFRIQUE -islam-ASIE DU SUD.PARIS 1954.
8. Des champs, Hubert. Histoire générale de l'Afrique noir, (paris1975) Tome 2.- .
9. -Devisse (gean)"Route de commerce et echange en afrique occidentale en relation avec la méditerranée ", Revue d'hist.econ.et soc.L,1-3.1972 .
10. Fage .J.An atlas of African History Cambridge1958.-
11. −Félix Dubois , Tomboktou la mystérieuse (paris :e .Flammarion 1887.
12. Henri stuchli : le commerce de la France avec le soudan (paris .challamel 1864) .
13. Hun wick .j.o: (religion & stade in the Songhay empire) Islam in tropical Africa, -oxford press, l966.p.139.
14. Jamil abul Nasr ,The tijaniya ,Asufi order in the modern world ,London ,1965
15. Levinson , David ethic Groups worldwide : a ready Reference hand book ,phoenix - ,Arizona : Oryx press 1998.
16. P.cultru, Histoire du Sénégal du xv siècle a 1870 paris ,1910
17. -Palmer : Islam in west Sudan and the west coust of Africa
18. R.G.V.L'Afrique ou Histoire ,mœurs , usages et coutumes des Africains , le sénégale , Tome premiere ,paris ,Nepveu ; librairie , passage des panoramas , N° 26 ; 1814 .
19. R.G.V.L'Afrique ou Histoire ,mœurs , usages et coutumes des Africains , le sénégale , Tome deuxieme ,paris ,Nepveu ; librairie , passage des panoramas , N° 26 ; 1814 .
20. R.G.V.L'Afrique ou Histoire ,mœurs , usages et coutumes des Africains , le sénégale , Tome Troisieme ,paris ,Nepveu ; librairie , passage des panoramas , N° 26 ; 1814 .
21. Seligman ,E , RACES of AFRICA, (LONDON.1959.
22. Spenser Trimingham a his buy of Islam in west Africa ,London oxford univpress 1962
23. Vincent T.Manteil : L'islam Noir ,paris ,1964.

ويبوغرافيا: webgraphie

1ــ أحمد الياس : طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية؟

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=155

تم الاطلاع عليه بتاريخ 2008/09/05.

2 ــ بروفيسور / الأمين أبو منقة محمد : التراث العربي الإسلامي في شرق إفريقيا وفي غربها. دراسة مقارنة.

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=156

تم الاطلاع عليه بتاريخ 2009/08/13.

3 ــ د. عبد الباقي محمد كبير : انتشار الإسلام في إفريقيا بأقلام أوربية ،(مؤتمر الإسلام في إفريقيا 2006) .

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=157

تم الاطلاع عليه بتاريخ 2009/08/13.

4ــ حسين احمد: انتشار الإسلام في إفريقيا... دور العلماء والتجار .

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=159

تم الاطلاع عليه بتاريخ 2009/08/13.

5 ــ ابراهيم محمد احمد بلولة : الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية .

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=1160

تم الاطلاع عليه بتاريخ 2008/09/05.

6 ــ علي الحاتم : الإسلام في السودان الغربي وآثاره السياسية والثقافية .

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=158

تم الاطلاع عليه بتاريخ 2008/09/05.

7 ــ البروفسور عثمان سيد احمد إسماعيل : حركتا الشيخ عثمان بن محمد بن فودي ومحمد احمد به عبد الله المهدي وآثارهما : (1168 ــ 1332هـ / 1757ــ 1817 م)،(1260 ــ 1302 هـ / 1844 ــ 1885 م).

http : // www.mubarak-inst.org/ stud reas/ research view.php ?id=161

تم الاطلاع عليه بتاريخ 2008/09/05.

فهارس

فـهرس الأعـلام.....

ـ أ ـ

ابو العباس احمد بن محمد بن المختار التيجاني: 11

احمد سكيرج: 12،

ابراهيم عبد الله انياس: 12،: 13

ادريس الاول: 13

الاسكيين: 18

الاسقيا الاول محمد: 18،21، 115

احمدو لوبو الماسيني: 20

احمد الكونتي: 20

ابن خلدون: 25،26،38،42،50

ابو جعفر المنصور: 26

اوسطاش: 26

ابن بطوطة: 28،38،51،59، 81

ادم سميث: 28

ابو المنصور: 30،32

ابو عبيد الله الشيعي: 31

ابو الفتح: 32

ابن حوقل: 33،42،59

ابو العباس تنبوكتي: 40

ادوارد بلان: 43

اوسكار لينز: 44

انسور: 46

ابو المنتصر اليسع: 51

ابو سالم العياشي: 56

اجحمد باشا القرمنقلي: 57

فـهرس الأعـلام.....

الادريسي: 59،79

اسكندر لينج: 64

ابراهيم موسى: 105

ابو الحسن المريني: 125

ادريس المراكشي: 147

ـ ب ـ

بيكروفت: 4

بن عذارى: 14

بيوتان: 17

بولوكين بن زيري: 31

البكري: 37،42،51،59

بارث: 39،45،64

بوفيل: 39،43،69

بارجيس: 43

بوزودي: 43

بورقو: 43

بالا: 44

بورمان: 45

باري: 45

براون: 46

بورطون: 64

بيكر:64

بروس: 66

بورو: 90

بالمار: 117، 145

بول هول: 127

ـ ت ـ

تيرمينغ هام: 103، 108

ـ ج ـ

جوزيف بيتس: 58

جيوفاني ليون: 60

جون هوبكنز: 70

ـ ح ـ

الحاج عمر الفوتي: 12،

الحسن الوزان: 60،51،50،49،42

ـ خ ـ

خديوي المصري: 60

ـ د ـ

دوفيري: 46،45

دوبوا: 139

ـ ر ـ

رونيه كايي: 4،64،44، 144

رهلف: 46،45

ريتشارد بيرطون: 58

رودولف: 58

راموسيو: 60

ـ س ـ

سيدي محمد بن علي السنوسي: 12

سن علي: 18

سيف الدين: 32

ستوكلي: 43

سليم قبطان: 60

ستانلي: 64

سليمان جال: 105

ـــش ــ

شابيني المصري: 60

ــ ص ــ

صلاح الدين يوسف: 31،32

الصالح نجم الدين: 32

ــ ط ــ

طوماس ارنولد: 107، 114

طومسون: 143

ــ ع ــ

عثمان دان فوديو: 9، 105، 112، 132

عمر الفوتي: 12، 110، 124، 127

علي حرازم: 12،

عبد الرجمن بن حبيب الفهري: 14،17

عبد الله بن ياسين الجازولي: 14،18

عثمان بن عفان: 18

عثمان الفودي: 19

عبد الله بللو: 19

عكرمة: 30

عبد الرحمن بن رستم: 30

عبد الرحمن: 31

عجيب المانجيليك: 41

العمري: 42

العباسي: 42

عقبة بن نافع: 49

عثمان باشا تاقزلي: 56

العباس كونت الجندي: 116

ـ ف ـ

الفيزاري: 26،59

فاج: 43

فوجيل: 45،46

فريديناند ايزابيلا: 59

فاضل حنين محمد: 97

فودي محمد: 116

فرانسيس مور: 122

فيدريب: 126، 140

ـ ك ـ

كونفو شيوس: 16

كوداري: 43

كارين: 43

كولونيو: 44

كونيه: 46

الكاردينال اكسيموس: 59

كريستوف كلومبوس: 70

ـ ل ـ

ليرد: 4

ليفينج ستون:64،66

فـهرس الأعـلام.....

— م —

محيي الدين ابو محمد عبد القادر الجيلاني:10

محمد بللو بن عثمان: 12،19، 132

موسى بن نصير: 14،17

المرزا حسين علي النوري المازندراني: 15

الماي عثمان بن زينب: 18

محمد بن تيفاوت: 26

ماركو بولو: 28

مدرار بن عبد الله: 30

ميمون بن عبد الرحمن: 31

محمود كعت التنبكتي: 40

المغيلي: 42

موسون: 46

ماساري: 46

محمد علي: 60

مونجو بارك: 64

موفات: 64

مختار بن زقلاو: 90

مولاي سليمان: 138

— ن —

نور الدين محمود: 31

ناصر خسرو: 33

ناشتيغال: 45،46

— هـ —

هارجريفس: 128

ـ و ـ

الورتلاني: 42

ـ ي ـ

يحيي بن إبراهيم القدالي: 14،18

يقضان بن ابي يقضان: 31

يوسف باشا القرمنقلي: 57

فـهرس البلدان و الأماكن.....

ـ أ ـ

إفريقيا : 6،4،2 ،8،7 ،10 ،11 ،12 ،13 ،15 ،18 ،25 ،27 ،28 ،38 ،39 ،40 ،60 ،65 ،62 ،63 ،66 ،67 ، 72 ،

افريقيا الغربية: 12،10،6،4،3،2،41،40،25،21،20، 101، 113، 119، 140

الاودية: 2

الانهار: 3

اتاكورا: 3

الاستوائي: 5

اسيا: 6

اوربا: 6،32

اداماوا: 9،8

ايران: 10

اغمات: 32،17،13

اوداغوشت: 48،33،30،17،14

الادارسة: 26،17

ادرار: 19

الاندلس: 59،32،31،30،25

أمعدن: 26

الأمويون: 41،31،26

الأيوبيون: 31

اسوان: 46،33

ابوان: 39

اقادز: 40، 52،45

اهير: 43

ايجيدي: 44

اونان: 47،44

فـهرس البلدان و الأماكن.....

اوران: 44

اوغلت العزل: 44

اطار: 44

اوجيفت: 44

ام دريبينه: 44

ايجلي: 44

اقبلي: 44،47

ارزيو: 44

الأبيض سيد الشيخ: 44

الاغواط: 44

اقادم: 45

أمقيد: 45

ايفراون: 45

الاقصر: 46

اوجيله: 46

ابشر: 46

اسيوط: 46

اسينة: 46

اروان: 47

اسبانيا: 48،62

ايطاليا: 48،77

اجدابيا: 49

اوربا: 51،72،77

الاغالبة: 51

اسطنبول: 57

المانيا: 62

امريكا: 72،77

ـ ب ـ

بحيرة تشاد: 2

بوركينافاسو: 22،3،5،10

بوتشي: 3

بنين: 15،22،4

باماكو: 4

بحيرة فولتا: 5

بورنو: 13،19،37،39،41،42،43،8،9

بغداد: 31،10

برقه: 13

بيغو: 22

بني زيري: 31

البجر الأبيض المتوسط: 31،48،49

البجر الأحمر: 34،46،48

البمبارا: 41

بني العباس: 41

البرشاف: 44

بير تيرشومين: 44،47

البيض: 44

البليدة: 44

بوغار: 44

بئر عسيو: 45،47

باتنة: 45

بسكرة: 45

البيوض: 45

بلما: 45

بئر بكر: 45

بنغازي: 46

بربر: 46،47

البوري: 138

باماكو: 140

بوردو: 140

بينويه

ـ ت ـ

التضاريس: 2

تومبوكتو: 11،4،60،51،47،46،45،44،40،39،37،36،27،21،19، 83، 107، 113، 115، 116، 120، 134، 135، 139، 147

تشاد: 5،49،47،45،43،13، 142

التوات: 10،50،47،44،39،38،36،19

التامبو: 11

التكرور: 15،13،40،18

تاجرجرة: 26

تدغة: 26

تلمسان: 43،36،32،26، 86

تاغصة: 26

تاغازا: 39،30،26

تاكادا: 52،27

تيهرت: 51،32،31،30

تادمكة: 37،30

تونس: 51،49،43،37،32، 110

تقرت: 45،36

تمنطيط: 44،38

تافيلالت: 39

تاوديني: 47،44،39

تاغلة: 42

تارودانت: 44

تاوريرت: 44

تندوف: 44

تيوروت: 44

تانتيلوست: 47،45

تيميساو: 47،45

تيماسين: 45

تيجري: 45

تومود: 45

تاهينة: 46

تيديكلت: 47

تيميمون: 86

– ج –

جنوب الصحراء: 6،3،42،18،15

الجزائر: 8، 10، 11، 13، 32، 42،50،49،48،44، 129، 133، 135

جيلان: 10، 12،

جيني: 39،36،27

الجوف: 44

الجرف الأصفر: 44

جبادو: 45

جغبوب: 46

جالو: 46

جومو: 128

– ح –

الحجاز: 33

حاسي بوتلان: 44

– خ –

خط الاستواء:2

خط غرينيتش: 2

خليج غينيا: 2،3

خوراسان: 33

الخيثر: 44

الخرطوم: 46،47

– د –

داكار: 20

داجونبا: 41

دنجله: 41،46

دارفور: 42،46،47

درنه: 46

درعة: 51

دانمرك: 63

– ر–

الراس الاخضر: 20،22،70

الرستميون: 30

الروم: 31،49

رالسن: 44

رواندا: 69

ـ ز ـ

زندر: 13

زيز: 26

زاقورة: 26

زاويلة: 37، 48،49

زاريا: 41

زمور: 44

ـ س ـ

السهول: 2،3

سهوب: 3

السودان: 25،35،41،42،46،47،50،59،3

السينغال: 10،9،8،5،3،43،42،29،22،21،20،13، 105، 118، 120، 127

السودان الغربي: 11،9،6،35،33،32،29،27،26،18،17،16،14، 36، 63،53،50،49،46،40،39 ، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 79، 82، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 94، 95، 96، 98، 101، 104، 105، 108، 116، 119، 129، 130، 142

السفانا: 7

سوكوتو: 9،45،41،19

السنغاي: 40،39،18،15،51،41

ساحل العاج: 22،15

ساجلماسة: 50،48،43،39،36،33،32،29،26

السودان الأوسط: 2

السلجوقية: 33

سوس: 38

السعديين: 40

سايجو: 41

سيار: 42

الساورة: 44

سكيكدة: 45

سناون: 45

سبها: 45،49

سرت: 46

سرهن: 46

سليمة: 46

سنار: 46،47

سواكن: 46،47

سوتوتو: 47

ساوتومي: 70

سلا: 121

ــش ــ

الشام: 31

شمال إفريقيا: 31،39،40،68

شاش: 44

الشرق الجزائري: 94، 95

شنقيط: 120

ــ ص ــ

الصحراء الكبرى: 2،12،28،29،34،36،37،38،48، 133

الصحاري: 2،23

فـهرس البلدان و الأماكن.....

الصحراء الإفريقية: 5

صوصو: 15،41

الصين: 28

صقلية: 32

ـ ط ـ

الطوغو: 5،62،22،15

طنجة: 84،26

طرابلس: 37، 43،57،49،46، 85، 89، 90، 98،91، 107، 129

ـ ع ـ

العيون: 2

عين ماضي: 11

العباسيون: 31،26

العراق: 33

عيذابة: 34،33

عين صالح: 47،45،44،39

عين رنان: 44

عين الصفراء: 44، 86

ـ غ ـ

غرب إفريقيا:5،4،3،2،60،59،43،42،23،13،12، 63، 73 ،74، 77، 103، 115، 147

غربا: 3

الغابات الاستوائية: 3

غينيا: 10،4،22

غانا: 11،10،9،5،68،50،43،41،38،33،30،27،22،18،15،14،13، 118، 124

الغابون: 8

غامبيا: 11،10،9،21،20

غوبر: 19

غالام: 21

غيمارا: 26

الغزنوية: 33

غاو: 109،39،37،36، 110، 115، 121، 134، 147

غدامس: 52،49،45،43،39،37، 87

غات: 45،43، 93

غورنية: 43

غرداية: 44

ـ ف ـ

فوتاتورو: 131،2

فوتاجالون: 11،3،19، 125، 132

الفولتا: 12،3،41

فاس: 44،26،12

فزان: 52،49،47،43،37،32،30،13

فرنسا: 13

الفاطميون: 31

فارس: 33

الفونج: 41

فقيق: 44

فرافرة: 46

فاشر: 47،46

الفوجة: 47،46

فرنان: 47

فاندو: 47

فرناندو بو: 62

ـ ق ـ

القارة الافريقية: 6،

القاهرة: 12،145

القيروان: 31،32،49، 145

قروية: 44

القلته: 44

قصبة المخزن: 44

القليعة: 44

قسنطينة: 44

القصر الجديد: 46

قورارة: 47

ـ ك ـ

الكاميرون: 2،6،8،10،63

كتل جبلية: 3

الكونغو: 4

كانو: 9،13،27،30،41

كانكان: 11،19

كوكو: 15،18

الكونغ: 22

كامبي صالح: 27

كانم: 39،42

كادتا: 41

كاتسينا: 41،45،47

كوار: 43،45

الكفرة: 43، 47

كوكا: 45

كيانو: 46

كيارطا: 126

الكايور: 142

ـ ل ـ

لوما: 3

ليبيا، 8،52،49،48،43،37،13

ليبيريا: 15،22

لمتونا: 25

ـ م ـ

المحيط الأطلسي: 10،4،3،2،48،44،29،28،20

المنطقة الشمالية: 2

المنطقة الوسطى: 2

المنطقة الجنوبية: 3

مراعي: 3

موريتانية: 10،9،3،44،22

مالي: 11،10،9،8،4،3،41،39،37،22،21،20،18،15، 124

منطقة داخلية: 340

مرتفعات: 3

منخفضات: 3

منطقة ساحلية: 3

مراكش: 4،53،44،43،32

المداري: 5

ماسينا: 8،44

فـهرس البلدان و الأماكن.....

المغرب العربي: 10،63،40،39،33،29،27،23، 87،83، 89، 94، 145

المغرب الأقصى: 10،63،50،48،32،30،13

مستغانم: 12

مامسا: 13

المرابطين: 38،26،25،18،17،14

الموحدون: 18

المغرب: 63،43،40،39،38،36،35،34،33،32،31،18، 145

مرت: 19

المدراريين: 26

المريرة: 26

المغرب الأوسط: 50،30

مصر: 52،48،46،43،41،37،32،31

المهدية: 32

الموسي: 41

مكناس: 44

مبروك: 47،45،44

المسينز: 44

المعسف: 44

المشرية: 44، 86

المنقب: 44

ماوا: 46،45

مرزوق: 45

مسيدة: 45

المحيط الهندي: 48

مدايرا: 70

ماسينا: 133

مرسيليا: 140

ـ ن ـ

النيجر: 10،8،4،3،51،43،41،40،39،38،30،22،21،13،12، 105

نيميا: 3

نهر النيجر: 4

النيل: 4،33،27

نهر شاري: 4

نهر بينوي: 4

نهر كاسمانس: 5

نيجيريا: 12،9،6،41،22،19،15

نفيس: 13

النوبة: 41

ـ هـ ـ

هضبة: 2

هضاب النيجر: 3

الهرمتان: 5

الهاوسا: 9،43،41،39،19

الهند: 16

الهقار: 93

الهوسلاند: 132

ـ و ـ

وادي النيجر:2

الوديان: 3،2

الواحات: 2

وادي درعة: 14،17،30،37

ولاتة: 27،36،38،51

وانغارا: 27

ورجلان: 32،36،37،49

واد سوف: 37،45

وادي تارجة: 37

وداي: 43،45،46

وادي غير: 44

وهران: 44، 86

واد زوزفانة: 44

ورقلة: 45

وادي مليه: 46

والن: 47

وداي: 47

يولا: 9

اليوروبا: 41

فـهرس الشعوب و القبائل.....

ـ أ ـ

الاكان: 22

آل السباركي: 124

ـ ب ـ

البيقمي: 8

البيضان: 9

بيديات: 13

البانمانا: 21

بني ورتيلان: 25

بني مدرار: 26

البرابيش: 92

ـ ت ـ

تيبستي: 13

التكرور: 16

التوكولور: 16

ترونكاوا: 19

ـ ج ـ

الجورما: 16

الجيبولا: 22

ـ ح ـ

الحاميون: 8،16

ـ د ـ

الداجوزبا: 16

الديولا: 21

ـ ز ـ

الزنوج: 8،10

ـ س ـ

الساميين: 16

السونانكي: 16،21،22

سجلماسة: 26

ـ ش ـ

الشواء: 19

الشونا: 129

ـ ص ـ

الصنهاجيين: 13،17،25،26،31

ـ ط ـ

الطوارق: 8

ـ ع ـ

العبدلاب: 41

ـ ف ـ

الفولاني: 8،9،16، 135

الفي: 21

الفونج: 41

ـ ك ـ

الكاسونكي: 21

ـ ل ـ

اللمتونيين: 17

ـ م ـ

المور:8،9

المصامدة: 13

الموفيين: 13

الماندي: 16،20،21،142

الموسي: 16

المادنجو: 18،21،22

المالنكي: 21،22

ميديتش: 60

المالاجاشي: 132

ـ هـ ـ

الهوسا: 16،19، 108، 142

ـ و ـ

الولوف: 16،20

الونغارا: 22

الورو: 22

ـ ي ـ

اليوروبا: 41

فهرس الموضوعات.....

المقدمة..... أ

الفصل الأول : البيئة الطبيعية لإفريقيا الغربية

المبحث الأول: الدراسة الطبيعية..... 02

المبحث الثاني: الثروة النباتية والحيوانية..... 06

المبحث الثالث: السكان ونشاطهم..... 07

نقد و استنتاج..... 23

الفصل الثاني : التجارة والقوافل التجارية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين

المبحث الأول: التجارة الصحراوية..... 25

المبحث الثاني: الطرق والمسالك التجارية..... 29

المبحث الثالث: أهم الرحالة..... 58

نقد و استنتاج..... 66

الفصل الثالث: الأهمية الاقتصادية للقوافل التجارية

المبحث الأول: تجارة الرقيق..... 70

المبحث الثاني: تجارة الذهب والملح..... 79

المبحث الثالث: تجارة السلع الأخرى.....83

نقد و استنتاج..... 99

الفصل الرابع: الدور الحضاري للقوافل التجارية الصحراوية

المبحث الأول: الدور الديني والثقافي..... 101

المبحث الثاني: الدور السياسي والاقتصادي للقوافل التجارية..... 123

المبحث الثالث: الدور الاجتماعي للقوافل التجارية..... 141

نقد و استنتاج..... 148

الخاتمة..... 149

الملاحق..... 153

بيبليوغرافيا البحث..... 171

فهرس الموضوعات.....

الفهارس

فهرس الأعلام.....186
فهرس : الشعوب والقبائل.....193
فهرس البلدان والأماكن :.....196
فهرس الموضوعات:.....211